

جامعة النّجاح الوطنيّة

كلية الدراسات العليا

التفسير الكبير لبشير الدين محمود الأحمدي القادياني: دراسة منهجية نقدية

إعداد

أحمد يوسف أحمد ضميري

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

د. سعيد دويكات

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة في نابلس، فلسطين.

2021م

التفسير الكبير لبشير الدين محمود الأحمدي القادياني دراسة منهجية نقدية

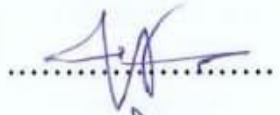
إعداد

أحمد يوسف أحمد ضميري

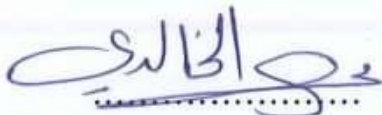
نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2021/7/15م، وأجيزت.

التوقيع









أعضاء لجنة المناقشة

1. أ. د. عودة عبد الله / مشرفاً ورئيساً

2. د. سعيد دويكات / مشرفاً ثانياً

3. د. محمد عياش / ممتحناً خارجياً

4. د. محسن الخالدي / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى روح خاتم النبيين وإمام المرسلين الصادق الأمين

سيدي وحببي وشفيعي وإمامي وقائدي وقدوتي

محمد - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم -

الذي لا نبي بعده

وإلى روح الصحابة أجمعين، منهم جدي الصحابي بشر بن سحيم الضمري - رضي الله عنه -،
الذي بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - على أنه رسول الله وأن لا نبي بعده، وإني على بيعته
وعهده ما حييت.

وإلى حبي الكبير وعشقي العظيم، ومعلمتي الأولى، وجنتي في الأرض التي من دون رضاها لن
أبلغ جنة السماء

أمي الغالية - أمد الله في عمرها وصحتها وجعلها من أصحاب الجنان -

وإلى أبي الحبيب، الذي علمني القرآن في صغري، وحلم علي في كبري، فهو ظهري وسندي،
وحبي في صغري وكبري.

وإلى من يبحث عن حقيقة الجماعة الأحمدية القاديانية، وحقيقة تفسيراتها، وموقف الشرع منها
بكل موضوعية.

أهديهم جميعاً هذه الرسالة

شكر وتقدير

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن لَّا زِيدَنَّكُمْ شَكَرْتُمْ﴾ (1)

الشكر لله العلي العظيم العليم، الذي علمني من علمه، وأنار دربي من هديه، ووفقني بتوفيقه، على إنجاز هذه الرسالة

ثم الشكر العظيم لأبي الأستاذ الشيخ يوسف الضميري، الذي لا أنسى له تدقيقه الإملائي على رسالتي.

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الأستاذ الدكتور عودة عبد الله، صاحب العلم الوفير والعقل الرزين والمنهج القويم. على تفضله بقبول إشرافه على هذه الرسالة، وما قدمه لي من توجيه وجيه، ووقت ثمين، وعلم نفيس، جزاه الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر الجزيل أيضاً إلى فضيلة الدكتور سعيد الدويكات الذي تعلمت منه أسس البحث العلمي وأهم هذه الأسس أن تكون موضوعية، والذي غمرني بكرمه في إشرافه على هذه الرسالة، والشكر ممدود إلى معلمي الفاضل الدكتور محسن الخالدي الذي تعلمت على يديه الكثير، وعلى قبوله مناقشة هذه الرسالة. كذلك الشكر للدكتور محمد عياش على مناقشته للرسالة.

كما ولا يفوتني أن أشكر السيد محمد شريف عودة (أمير الجماعة الأحمدية القاديانية في البلاد المقدسة)، وجميع من معه، على إمدادي بالمراجع والمعلومات اللازمة وأحياناً ترجمة بعض النصوص الأوردية إن لزم الأمر.

وختاماً لا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير، إلى كل من قدم يد العون كي يرى هذا العمل النور، وأخص بالذكر أختي عربوب الضميري، وابنتي عمي: هبة حسين ضميري، ودينا ماهر ضميري.

أقول لهم جميعاً .. جزاكم الله خيراً

(1) سورة إبراهيم: 7.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدّم الرسالة التي تحمل العنوان:

التفسير الكبير لبشير الدين محمود الأحمدي القادياني دراسة منهجية نقدية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يُقدّم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالب: أحمد يوسف أحمد ضميري

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ: 2021/07/15

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ي	فهرس الأشكال
ك	الملخص
1	المقدمة
7	الفصل التمهيدي: مدخل إلى الجماعة الأحمدية القاديانية
8	المبحث الأول: التعريف بالجماعة الأحمدية القاديانية وبيان نشأتها وتطورها
14	المبحث الثاني: عقائد الجماعة الأحمدية القاديانية
17	المبحث الثالث: موقف الجماعة الأحمدية القاديانية من القرآن الكريم
20	المبحث الرابع: جهود الجماعة الأحمدية القاديانية في تفسير القرآن الكريم
22	الفصل الأول: التعريف بالتفسير الكبير وصاحبه
23	المبحث الأول: التعريف بالمفسر المرزا بشير الدين محمود أحمد
23	المطلب الأول: اسمه ونسبه
23	المطلب الثاني: مولده وأبرز المراحل في حياته
27	المبحث الثاني: التعريف بالتفسير الكبير
27	المطلب الأول: مقدمة عن التفسير الكبير
29	المطلب الثاني: ترجمة التفسير الكبير للغة العربية
30	المطلب الثالث: محتويات التفسير الكبير وأهم مصادره
36	الفصل الثاني: منهج التفسير الكبير في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي
37	المبحث الأول: منهج التفسير الكبير في التفسير بالمأثور
38	المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن
39	المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة
45	المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين
49	المبحث الثاني: منهج التفسير الكبير في التفسير بالرأي

49	المطلب الأول: موقف الجماعة الأحمدية من التفسير بالرأي
51	المطلب الثاني: ألوان التفسير بالرأي عند المفسر بشير الدين محمود
57	المبحث الثالث: ملامح التفسير بالرأي عند المفسر بشير الدين محمود
57	المطلب الأول: التأثر بمعتقدات وأقوال المرزا غلام احمد
63	المطلب الثاني: التفسير الإشاري
71	المطلب الثالث: التفسير الباطني
73	المطلب الرابع: المناسبات
80	الفصل الثالث: منهج التفسير الكبير في علوم القرآن
81	المبحث الأول: الاهتمام بأسباب النزول
85	المبحث الثاني: موقفه من المكي والمدني
87	المبحث الثالث: الأخذ بترتيب آي القرآن وسوره
87	المطلب الأول: عدد الآيات وترتيبها في سورها
89	المطلب الثاني: ترتيب سور القرآن وأسمائها
90	المبحث الرابع: موقفه من رسم المصحف والأحرف السبعة والقراءات القرآنية
95	المبحث الخامس: الاهتمام بالحروف المقطعة في أوائل السور
102	المبحث السادس: الأخذ بإعجاز القرآن
105	المبحث السابع: موقفه من الناسخ والمنسوخ
108	المبحث الثامن: الاهتمام بالإسرائيليات
113	الفصل الرابع: منهج التفسير الكبير في التفسير اللغوي والعلمي
114	المبحث الأول: منهج التفسير الكبير في التفسير اللغوي
115	المطلب الأول: بيان معاني ألفاظ القرآن وغريبه
129	المطلب الثاني: الأخذ بمسائل النحو والإعراب
133	المطلب الثالث: قلة الاهتمام بالأساليب البلاغية
138	المبحث الثاني: منهج التفسير الكبير في التفسير العلمي
148	الفصل الخامس: منهج التفسير الكبير في تفسير آيات العقيدة
149	المبحث الأول: منهج التفسير الكبير في التوحيد
150	المطلب الأول: توحيد الربوبية
151	المطلب الثاني: توحيد الألوهية
153	المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات

157	المبحث الثاني: منهج التفسير الكبير في القضايا الغيبية
157	المطلب الأول: الملائكة والجن
161	المطلب الثاني: القضاء والقدر
162	المطلب الثالث: يوم القيامة وعلاماتها
167	المطلب الرابع: الجنة والنار
171	المبحث الثالث: منهج التفسير الكبير في الأنبياء -عليهم السلام-
171	المطلب الأول: الإيمان بالأنبياء -عليهم السلام-
181	المطلب الثاني: إيمان المفسر بادعاء المرزا غلام أحمد النبوة
186	الفصل السادس: منهج التفسير الكبير في المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية
187	المبحث الأول: منهج التفسير الكبير في فقه العبادات
188	المطلب الأول: الصلاة
193	المطلب الثاني: الزكاة
196	المطلب الثالث: الصيام
199	المطلب الرابع: الحج
206	المبحث الثاني: منهج التفسير الكبير في فقه المعاملات
206	المطلب الأول: البيع
209	المطلب الثاني: الدين والربا
214	المطلب الثالث: النفقات
217	المبحث الثالث: منهج التفسير الكبير في فقه العقوبات
217	المطلب الأول: حد الردة
219	المطلب الثاني: القتل والقصاص
220	المطلب الثالث: السرقة والحراية
221	المطلب الرابع: شرب الخمر
222	المطلب الخامس: الزنا
225	المطلب السادس: القذف
227	المبحث الرابع: منهج التفسير الكبير في فقه الأحوال الشخصية
227	المطلب الأول: الزواج
229	المطلب الثاني: الطلاق والنفقة
233	المطلب الثالث: الميراث والوصية

236	المبحث الخامس: منهج التفسير الكبير في القضايا الأخلاقية والاجتماعية المعاصرة
236	المطلب الأول: الآداب الشخصية
239	المطلب الثاني: القضايا الاجتماعية
250	الخاتمة
250	النتائج التوصيات
257	فهرس الآيات القرآنية
267	فهرس الأحاديث النبوية
256	فهرس الأعلام
257	قائمة المصادر والمراجع
B	Abstract

فهرس الأشكال

الصفحة	العنوان	رقم الشكل
117	استخدام المفسر بشير الدين محمود المعاجم والمراجع عند تفسيره لمعاني أفاظ القرآن الكريم يلاحظ من هذا الرسم البياني:	الشكل (1)
248	مدى موافقة المفسر للمذاهب الأربعة	الشكل (2)

التفسير الكبير لبشير الدين محمود الأحمدى القاديانى

دراسة منهجية نقدية

إعداد

أحمد يوسف أحمد ضميرى

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

د. سعيد دويكات

الملخص

يلقى هذا البحث نظرة تحليلية نقدية موضوعية على التفسير الكبير لصاحبه المفسر الأحمدى القاديانى بشير الدين محمود (ابن مؤسس الجماعة الأحمدية القاديانية وخليفته الثانى)، مبيناً منهج أحد أهم تفاسير القرآن الكريم عند الجماعة الأحمدية القاديانية، وأكثر التفاسير اعتناء به من خلال ترجمته لعدة لغات، وتدرسه بين طلبتهم، ونشره في وسائل الإعلام المختلفة.

بدأ الباحث دراسته في فصل تمهيدى يوضح نشأة الجماعة الأحمدية القاديانية وتطورها، وحقبة عقائدها، وموقفها من القرآن الكريم، وجهودها في تفسير القرآن الكريم.

بعد ذلك بدأ بالتحدث عن التفسير الكبير من خلال التعريف به وبصاحبه في الفصل الأول، وفي الفصل الثانى تحدث عن منهج التفسير الكبير في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى، وفي الفصل الثالث منهجه في أهم علوم القرآن، وفي الفصل الرابع منهجه في التفسير اللغوي والعلمي، وفي الفصل الخامس منهجه في تفسير آيات العقيدة، وفي الفصل السادس والأخير منهجه في المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية.

وتوصلت الدراسة إلى أن التفسير الكبير تفسير تحليلى مقارن، يعتمد على الرأى والمناقشة، ويتميز بالدفاع عن الإسلام وتفنيد شبهات المستشرقين والعقائد الباطلة كالهندوسية وغيرها، إضافة إلى اعتناؤه بالقضايا الأخلاقية والروحانية، ويؤخذ عليه تأثيره بأهم عقيدة عند الجماعة الأحمدية القاديانية وهي نبوة والده المرزا غلام أحمد التى ادعاها، مما أدى إلى بعض التفاسير الباطنية عنده، ويؤخذ

عليه أيضاً تفسيره بالمدلول اللغوي للفظة القرآنية بمعزل عن التفسير المأثور، مما أدى إلى بعض الانحرافات في تفسيره.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا وشفيعنا وقائدنا وقدوتنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فتأتي هذه الدراسة مكملةً لجهود العلماء والباحثين في دراسة المناهج المختلفة للتفسيرات المتعددة للقرآن الكريم، فهي تتناول وجهة نظر الجماعة الأحمدية في تفسيرها للقرآن الكريم من خلال التعرف على منهج التفسير الكبير لحضرة بشير الدين محمود أحمد؛ لأن هذا التفسير هو التفسير الأساس المعتمد لدى الجماعة، فهو يمثل منهج الجماعة الأحمدية في تفسير القرآن الكريم.

يعتقد الأحمديون أن تفاسير الجماعة الأحمدية، وتحديداً "التفسير الكبير" بأنه أكمل التفاسير وأحسنها وبأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مضيفين عليه نوعاً من القدسية. محتجين بأنه قريب إلى الواقع بعيد عن الخيال، على الرغم من كثرة الأخطاء التي وقع فيها الأب غلام مرزا أحمد وابنه محمود في تفسيره الكبير الذي يعدّ هذا التفسير امتداداً لتفسيره.

من ناحية أخرى، يصعب وجود دراسات منصفة تناولت "التفسير الكبير"، وعرضت محاسنه التي لا يستطيع منصف إنكارها، وكشفت وناقشت الأخطاء والمآخذ والانحرافات التي وقع فيها، ووقع فيها والده من قبله، وأعضاء الجماعة من بعده، بكل موضوعية وحيادية. فمعظم الدراسات المتعلقة به، إما دفاع مستميت، وإما هجوم مقيت.

لذلك، كانت هذه الدراسة عن منهج "التفسير الكبير" لبشير الدين محمود (الخليفة الثاني للجماعة الأحمدية القاديانية وابن مؤسسها)، في كيفية تعامله مع التفسير المأثور، والتفسير بالرأي، وعلوم القرآن. ومنهجه في التفسير اللغوي والعلمي، وآيات العقيدة والأحكام، والقضايا الأخلاقية. وبيان أبرز ملامح تفسيره، واضعاً منهجه على قواعد التفسير والحديث والفقهاء التي أقرها علماء أهل السنة والجماعة، والتي استقرؤها من خلال القرآن الكريم وسنة الحبيب الكريم. كما استعان الباحث بكتب الجماعة الأحمدية التي طبعوها في مطابعهم، ونشروها على مواقعهم، أو في مراكزهم، عند الحديث عن آرائهم وتفسيرهم، ومقارنتها بمنهج المفسر في تفسيره الكبير. مع قراءة متأنية وموضوعية، لكتب

الجماعة، وللتفسير الكبير، حتى لا يُظلمون، ولا يُتَّهَمون بما ليس فيهم كما فعلت جُلّ الدراسات التي تحدثت عنهم. اتباعاً لأمر الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيَّ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

الدراسات السابقة

إن جُلّ الأبحاث والكتب التي تحدثت في شأن الأحمديّة تحدثت عن عقيدتها والرد عليها، ولم تتحدث عن فقه الجماعة أو تفسير الجماعة للقرآن بمعناه الواسع أو الأحاديث النبوية التي استندت عليها الجماعة ومنهجهم في ذلك، وإن تحدثوا عنها وهو قليل نادر، فإنها تأتي في سياق الرد على العقائد. ومن أهم الدراسات التي تحدثت عن تفسير الجماعة الأحمديّة لبعض من مواضع القرآن الكريم:

1- "طائفة القاديانية وتأويلاتها الباطنية لآيات القرآن الكريم" للدكتور سامي الجيتاوي⁽²⁾.

عرض فيها الباحث لتاريخ الجماعة الأحمديّة القاديانية وعقيدتها، موضحاً بعض تفسيرات المرزا غلام أحمد ومحمد علي في الآيات التي تحدثت عن عيسى -عليه السلام-، وختم النبوة، والإسراء والمعراج، والجن.

وهذه الدراسة شابها كثير من الأخطاء، مثل: أن الجماعة تؤمن برب ذو طول وعرض وله أرجل وأيد لا تحصى، وأن الأحاديث التي تخالف إلهام مؤسس الجماعة تستحق أن تلقى مع الأوراق الرديئة في سلة المهملات، وأن القيامة ليست آتية، وغيرها من التفاسير الخاطئة؛ والتي وقع فيها بسبب عدم اقتباسه من الكتب الأصيلة للجماعة.

(1) سورة المائدة: 8

(2) الجيتاوي، سامي عطا: طائفة القاديانية وتأويلاتها الباطنية لآيات القرآن الكريم. دنيا الوطن. 2008.

2- "المعجزات عند القاديانية" لسماح شعشاعة⁽¹⁾.

تناولت الباحثة معجزات الأحمديّة والرد عليها، وموقف الجماعة الأحمديّة من معجزات الأنبياء، من خلال استعراض تفسيرات المرزا غلام أحمد، وابنه بشير الدين محمود، ومحمد علي، والتفسيرات المنقولة على لسان كتب الجماعة للآيات التي تحدثت عن معجزات الأنبياء والرد عليها.

وهذه دراسة تتناول موضوع المعجزات فقط، ولا شك أنها بذلت مجهوداً في ردها على تفاسير الجماعة الأحمديّة في معجزات الأنبياء، وكانت موضوعية عندما اقتبست هذه التفسيرات من كتب الجماعة، لكنها أخطأت خطأ جسيماً في ذكر بعض عقائد الجماعة، مثل: أن الله تعالى يصوم ويصلي ويكتب ويوقع ويخطئ ويصيب، وأنهم يؤمنون بالحلول والتناسخ. وهذه عقائد ليست من الجماعة في شيء. كما أخطأت عند ذكرها لموقف القاديانيين من القرآن الكريم. وعجبت كيف تقتبس أقوالاً من كتب المعادين للجماعة، وهي تتحدث عن عقائدها. مع أنها وفق ادعائها قرأت بعض كتب وتفاسير الجماعة، ولا بد أن تكون قد استطاعت أن تشكل فكرة موضوعية عنهم!!

3- "التفسير الكبير لبشير الدين محمود أحمد القادياني: دراسة نقدية" لنزار بني عامر⁽²⁾.

وهي دراسة نقدية لأقوال وتفسيرات المفسر في ترتيب السور القرآنية، والوحي، وختم النبوة، ومعجزات الأنبياء، وقتل المرتد، والجهاد. حيث يعرض أقوال المفسر ثم يرد عليها دون بيان منهج المفسر فيها.

وهذه دراسة نقدية لبعض مواضيع التفسير الكبير وليس جميعها كما يوحي بذلك العنوان، كما أن الباحث وقع في بعض الأخطاء العلمية فيما نسبه إلى المفسر من أقوال. مثل: قوله إن المفسر أنكر ترتيب السور القرآنية وحذف بعض السور، مدلساً عليه أحد أقواله. ولو أنه قرأ مقدمات التفسير الكبير، وقرأ التفسير قراءة كاملة، لما نسب هذا القول للمفسر. فالمفسر يؤمن تماماً بأن ترتيب السور

(1) شعشاعة، سماح وائل مصطفى: المعجزات عند القاديانية (دراسة ونقد). رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية - غزة. 2017.

(2) بني عامر، نزار أحمد: التفسير الكبير لبشير الدين محمود أحمد القادياني. رسالة ماجستير. جامعة آل البيت. 2010.

والآيات كان توقيفياً من الله تعالى، وقد صرح بذلك في تفسيره بل دافع عنه. ومن الملاحظات على الباحث، ضعف بعض ردوده على المفسر في كثير من مواطن بحثه.

ما يميز هذه الدراسة

تتميز هذه الدراسة باستقراءها ودراسة كافة ما ورد في "التفسير الكبير" أحد أهم التفاسير في الجماعة الأحمديّة، واستخراج الطريقة التي استخدمها بشير الدين محمود القادياني في تفسيره، وتحليلها، ومقارنتها مع المنهج الذي اتبعه أهل السنة والجماعة، بطريقة علمية موضوعية، مع مقارنته أحياناً ببعض التفسيرات الأحمديّة الأخرى. ووضعاً تفسير الجماعة الأحمديّة على ميزان يبين ما لها من محاسن ويظهر ما عليها من مأخذ.

أهمية الدراسة

تظهر أهمية هذه الدراسة في عدة جوانب، منها:

- 1- نقص المعلومات اللازمة عند كثيرٍ من المسلمين فيما يتعلق بالجماعة الأحمديّة.
- 2- تبيين فساد استدلال المفسر بشير الدين محمود الأحمدي القادياني عند عرض ومناقشة بعض الانحرافات التي ذكرها في تفسيره، وإيضاح ذلك بشكل خاص للجماعة الأحمديّة.
- 3- ندرة وجود دراسات حول تفسيراتهم.
- 4- واقعية موضوع الدراسة، لا سيّما بعد انتشار الجماعة الأحمديّة في أوروبا بشكل لافت، حيث عرضت قناة ألمانية أن عدد مساجد الجماعة الأحمديّة في ألمانيا أصبحت تساوي جميع جوامع المسلمين بمختلف فرقهم من سنة وشيعة، إضافة إلى انتشار مقاطع فيديو ممولة من قبل الجماعة، تنشر تفسيراتهم بكل قوة.

مشكلة الدراسة

تتضح مشكلة الدراسة من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

- 1- ما هو منهج "التفسير الكبير" لبشير الدين محمود؟

2- هل خالف التفسير الكبير صحيح المأثور وما هو معلوم من الدين بالضرورة في مسألة العقائد والأحكام الفقهية بالذات؟

3- هل تأثر "التفسير الكبير" بتفسيرات الجماعة الأحمديّة للقرآن الكريم؟

4- هل تأثر التفسير الكبير بعقيدة مؤسس الجماعة الأحمديّة؟

5- هل يعتبر التفسير الكبير من التفسيرات الباطنية؟

أهداف الدراسة

1- الإسهام في خدمة الدراسات التي تتحدث عن مناهج المفسرين، خاصة أن العديد من الدراسات، تحدثت عن مناهج الفرق والطوائف الإسلامية المتعددة في تفسيرها للقرآن، دون التحدث عن تفسير الجماعة الأحمديّة للقرآن الكريم.

2- اعتبار الجماعة الأحمديّة "التفسير الكبير" لبشير الدين محمود أحمد القادياني، التفسير الرئيسي والأساسي للجماعة، فمن خلال الاطلاع عليه ودراسة منهجه، يمكننا معرفة رؤية ومنهج وتفسير الجماعة الأحمديّة للقرآن الكريم.

3- احتواء "التفسير الكبير" للجماعة الأحمديّة على تفسيرات جديدة لم تذكر في أي من كتب التفسير، ولابد من عرضها على القرآن والسنة ومنهج السلف الصالح؛ لنرى مدى صوابها من خطئها.

4- بيان العقيدة المنحرفة للجماعة الأحمديّة من خلال التفسير الكبير.

5- بيان عقيدة المفسر بشير الدين محمود، ومدى تأثر عقيدته وتفسيره بعقيدة وفكر وتفسيرات والده المرزا غلام أحمد (مؤسس الجماعة الأحمديّة).

6- محاولة تقديم الحقيقة والرأي الصواب في الحكم على تفسير الجماعة الأحمديّة للقرآن الكريم، من دون تشويه ولا ادعاء عليهم.

7- معرفة منهج الجماعة الأحمديّة في التفسير، وخاصة بسبب عدم وجود دراسات في هذا المجال؛ وذلك لعدم اهتمام علماء الأمة بهذا الأمر، في حين أنهم قدموا العديد من الدراسات في منهاج تفسير المعتزلة والشيعة والبهائية وغيرهم.

8- كشف اللثام عن "التفسير الكبير" لأحد قادة الجماعة الأحمديّة القاديانية، والذي أصبح محط إعجاب من الحداثيين بدعوى أنه يوافق العقل والمنطق.

9- توضيح الأخطاء التي وقع بها "التفسير الكبير" وكشفها أمام أفراد الجماعة من ناحية، وأمام المعجبين به من ناحية أخرى.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة المناهج الآتية:

- 1- المنهج الاستقرائي لاستقصاء جميع ما جاء في التفسير الكبير للجماعة الأحمديّة.
- 2- المنهج التحليلي لمعرفة الطريقة التي سار عليها المفسر بشير الدين والأسس التي اعتمدها في تفسيره. وهو الأساس في هذه الدراسة.
- 3- المنهج النقدي لنقد منهجه وما تم استقراؤه ومقارنته بغيره من التفسير وقياسه على صحيح المأثور.

الفصل التمهيدي

مدخل إلى الجماعة الأحمديّة القاديانيّة

المبحث الأول

التعريف بالجماعة الأحمدية القاديانية وبيان نشأتها وتطورها

الجماعة الأحمدية وتسمى أيضاً "القاديانية" وهو مصطلح دارج كثيراً عنهم، وخاصة من خصومهم، وسميت بالقاديانية نسبة إلى البلدة التي تأسست فيها هذه الجماعة. بينما اسم الجماعة الرسمي هو "الأحمدية" نسبة إلى مؤسسها المرزا غلام أحمد.

ولد المرزا غلام أحمد⁽¹⁾ في قرية قاديان في إقليم البنجاب بالهند عام 1835م، لأسرة جاءت من فارس كانت تحكم مقاطعة ضمت قرية قاديان وأكثر من ثمانين قرية أخرى تحت حكم الامبراطورية المغولية. وكان منذ صغره يميل إلى العزلة، وكان مواظباً على الصلوات في المسجد. اهتم والده بتعليمه بأن هياً له معلمين ليعلموه مبادئ اللغة العربية والفارسية، ودرس أيضاً القرآن الكريم وبعض كتب الحديث على يد معلميه، ودرس بعض الكتب الطبية التقليدية على يد والده الذي كان طبيباً. وكان يقضي وقتاً طويلاً في دراسة كتب اليهود والنصارى والهندوس، لدرجة أفاقته والده؛ بسبب عزوفه عن العمل وعن مخالطة الناس، فأراد والده أن يدفعه دعماً، فكلفه بمتابعة قضاياها التي كان يرفعها أملاً في استرداد أملاك الأسرة. وأمن له والده وظيفة كاتب في المحكمة في سيالكوت، فالتحق بهذا العمل، وبعد أن قضى ما يقارب أربع سنوات في سيالكوت طلب منه والده أن يستقيل ويعود إلى قاديان، واستمر في الانقطاع للدراسة والعبادة والدعاء.⁽²⁾

في عام 1872م، بدأ المرزا غلام أحمد يكتب مقالات في الجرائد دفاعاً عن الإسلام في مواجهة الحملات التبشيرية النصرانية في الهند⁽³⁾. وفي عام 1880م ألف كتابه الأول "البراهين الأحمدية على حقيقة كتاب الله القرآن والنبوة المحمدية" بهدف تفنيد الأفكار الفاسدة والمعتقدات الباطلة، وبيان

(1) المرزا: كلمة فارسية بمعنى ابن الأمير، وغلّام: كلمة فارسية بمعنى خادم، ويطلق عليه "غلّام" لأنه خادم للنبي صلى الله عليه وسلم - كما يعتقدون.

(2) ينظر: أبو دقة، تميم: النشأة الثانية للإسلام. ط2. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2018م. ص86-90.

(3) ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1428هـ -2007م. ج7، ص240.

صدق الإسلام وعظمة الكتاب المجيد -على حد قوله-، لكن الكتاب أظهر تأثر المرزا غلام أحمد بالصوفية الهندية⁽¹⁾، بادعائه رؤيا وكشوف والهامات ومخاطبة الله له، منها: "يا أحمد بارك الله فيك، ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"⁽²⁾، وإلهاماً بالإنجليزية: "I Love you"⁽³⁾، وقال أيضاً: "أن مشيئة الله تهيج لإحياء الدين، ولكن لم ينكشف على الملاء الأعلى بعدُ تحديد الشخص المحيي، فذلك هم يختلفون. وفي أثناء ذلك رأيت في الرؤيا أن الناس يبحثون عن هذا المحيي، وأتى أحدهم أمام هذا العبد المتواضع وقال مشيراً إلي: "هذا رجل يحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"⁽⁴⁾، وقال أيضاً: "وسينزل المسيح -عليه السلام- في الدنيا في منتهى الجلال، ويطهر الطرق والكلأ والشوارع كلها ... إن العصر الراهن إنما هو إرهاص لذلك العصر"⁽⁵⁾. والإلهام الأخير الذي ادعاه في كتابه كان مقدمةً لانحرافات خطيرة تبعته.

ففي عام 1889م، وبعد فترة اعتكاف قضاها في مدينة هوشياربور، أخذ البيعة على تأسيس جماعة إسلامية تسعى لنشر الدين الإسلامي، وتم ذلك في منطقة لدهيانة الهندية ببيت الصوفي أحمد جان، وقد بايعه يومها أربعون من مريديه، كان أولهم الحكيم "نور الدين القرشي"⁽⁶⁾. وبذلك تأسست الجماعة الأحمديّة رسمياً.

(1) وقد عرض المفسر بشير الدين محمود ابن مؤسس الجماعة، قول الشاعر "إقبال" الذي أثبت اقتباس المرزا غلام أحمد لكثير من أقوال صوفية وتأثره بأفكارها، ورد عليه، بقوله: "لا شك أن المسيح الموعود -عليه السلام- قد ذكر بعض المواضيع التي قد تناولها بعض الصوفية من قبل، ولكن الفرق هو كالفارق بين ما يرسمه شخص عادي وما يرسمه فنان ماهر". بشير الدين، محمود أحمد: **التفسير الكبير**. 10 مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1431هـ - 2010م. ج9، ص165.

(2) ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: **البراهين الأحمديّة**. ترجمة: عبد المجيد عامر. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2013م. ص461.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص566

(4) ينظر: المرجع السابق، ص577

(5) ينظر: المرجع السابق، ص579

(6) ولد نور الدين القرشي البهيري في مدينة "بهيرة" في مقاطعة البنجاب في عام 1841م. سمي بالقرشي؛ لأنه الابن الرابع والثلاثين الذي انحدر من نسل حضرة عمر بن الخطاب. درس الطب واللغات، وكتاب صحيح البخاري في بلده. وسافر بعدها لأداء فريضة الحج في بلاد الحجاز، وعندما عاد إلى وطنه عمل كطبيب شخصي للمهراجا. وفي عمر الثالثة والأربعين التقى بالمرزا غلام أحمد وصاحبه وتأثر بأفكاره، وكان نور الدين أول من بايعه. تولى قيادة الجماعة بعد وفاته عام 1908م، واستمر فيها إلى أن توفي عام 1914م. له عدد من المصنفات، منها: "فصل الخطاب في مسألة فاتحة الكتاب". ينظر: عودة، عائشة، **حضرة المولوي نور الدين، مجلة البشرية**، ص20-23.

وفي أواخر عام 1890م، ادعى المرزا غلام أحمد بأن المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام- قد توفي، وأن عقيدة حياته في السماء عقيدة فاسدة غير صحيحة، وأنه هو المسيح الموعود المراد في الأحاديث. فأعلن هذا الإعلان، وبدأت معارضة المسلمين وعلمائهم له.⁽¹⁾

وفي عام 1900م، بدأ بإظهار فكرة "النبوة" وإن لم يكن بقوة ووضوح تام، لكن القرار النهائي في هذا الاعتقاد، كان عام 1901م التي بدأ يدعيها بكل قوة⁽²⁾. فكُفّر من قبل علماء المسلمين، وأبرز من عارضه وكفّره "محمد حسين البطالوي"⁽³⁾. بعد سبع سنوات⁽⁴⁾ من ادعائه النبوة، مات المرزا في عام 1908م، ودفن في مقبرة بهشتي (مقبرة الجنة) التي أقامها قبل وفاته ليُدفن فيها هو وأبناء جماعته⁽⁵⁾. وبعد وفاته، بايع الأحمديون نور الدين القرشي على قيادة الجماعة، ليكون الخليفة الأول للمرزا. وقد تمت في عهده ترجمة معاني القرآن الكريم للغة الإنجليزية، كما وأرسل أول بعثة أحمديّة إلى (إنجلترا)، وتأسست في عهده مطبوعات هامة تتحدث عن نشاط الجماعة الأحمديّة، منها: جريدة (الفضل)، وجريدة (النور) في قاديان، ومجلة (الحق) في دلهي. توفي عام 1914م. ليُبايع بعدها "بشير الدين محمود"⁽⁶⁾ خليفة ثانياً وقائداً للجماعة، وهو ابن خمس وعشرين سنة. فرفض المولوي "محمد علي"⁽⁷⁾

(1) ينظر: أبو دقة، تميم: *النشأة الثانية للإسلام*، ص 96-100.

(2) ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: *حقيقة النبوة*. تعريب: عبد المجيد عامر. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2018م. ص 163.

(3) محمد حسين البطالوي (1256-1338هـ): هو أبو سعيد محمد حسين بن رحيم بخش بن ذوق محمد الهندي البطالوي، أحد كبار العلماء في الهند، درس الحديث على يد علماء عصره، وأسس المجلة الشهرية "إشاعة السنة" للرد على الفرق المبتدعة، وله تسع مصنفات، منها: "البرهان الساطع". ينظر: المرعشلي، يوسف: *نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر*. ط1. لبنان: دار المعرفة. 2006م. (1/1140-1141).

(4) خلال هذه السنوات السبع، قدم المرزا عدة إنجازات هامة للجماعة، منها: تأسيس المنارة البيضاء في قاديان عام 1903م، وتأسيس المدرسة الأحمديّة عام 1906م، وإنشاء مؤسسة "صدر انجمن أحمديّة" عام 1907م. ينظر: يحيى، مصلح الدين، *الاحداث الهامة في تاريخ الأحمديّة*، مجلة البشرية، ص 67.

(5) ينظر: أبو دقة، تميم: *النشأة الثانية للإسلام*، ص 151

(6) هو ابن مؤسس الجماعة (المرزا غلام أحمد)، وصاحب هذا التفسير، وسنتحدث عن ترجمته في المطلب الأول من الفصل القادم.

(7) ولد عام 1874 في البنجاب (الهند)، وحصل على درجات في اللغة الإنجليزية (ماجستير) والقانون (بكالوريوس) بحلول عام 1899. وانضم إلى الحركة الأحمديّة في عام 1897. وعين محرراً لمجلة مراجعة الأديان، والتي بدأ نشرها في عام 1902. في عام 1905م، عين أميناً للمجلس التنفيذي لصدر أنجمن الأحمديّة (الهيئة التي تحكم الحركة الأحمديّة). عندما توفي نور الدين القرشي في 1914م، ترك قاديان، وأسس مع أعضاء بارزين آخرين جمعية الأحمديّة أنجومان للإسلام (جمعية الأحمديّة لنشر الإسلام) في لاهور، توفي عام 1951م. ينظر: <http://www.ahmadiyya.org/m-ali/contents.htm>

ونفر من أصحاب المناصب العليا في إدارة الجماعة مبايعته؛ بسبب ظنهم أنهم أولى بالخلافة، وأنه لم يكن لائقاً للمنصب الذي انتخب له؛ لأنه كان يضلل المجتمع في مذاهب خاطئة⁽¹⁾، وذهب هؤلاء إلى لاهور ليؤسسوا هناك جمعية منفصلة عن باقي الجماعة، وبناتوا يعرفوا باللاهوريين⁽²⁾.

في عام 1947م، قُسمت الهند وتأسست على إثرها جمهورية باكستان الإسلامية، وغادر عدد كبير من الأحمديين بلاد الهند إلى باكستان؛ بسبب شن الآلاف من طائفة السيخ هجوماً على قاديان بدعم من الشرطة الهندية، وقتل الكثير من الأحمديين، مما اضطر بشير الدين محمود أن يغادر معهم لباكستان ويؤسس هناك قرية للجماعة اسمها "ربوة"، وهكذا انتقلت قيادة الجماعة الأحمدية للمرة الأولى من موطنها الأم (قاديان) إلى مكان آخر⁽³⁾. في باكستان ازدادت قوة الجماعة بعد تعيين أحد أبنائها "ظفر الله خان"⁽⁴⁾ وزيراً لخارجيتها، فوظف أبناء جماعته بوزارة الخارجية، والمصالح الحكومية الأخرى. وسيطروا على مناصب رفيعة في الجيش الباكستاني والشرطة ومصحة الطيران. فشعرت الجماعات الإسلامية وكبار علماء باكستان بالخطر، فطلبوا من الحكومة عام 1953م أن يجعلوا الأحمديين (القاديانيين) أقلية غير مسلمة، واندلعت احتجاجات شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان (وزير الخارجية)، ونجحوا في إقالته⁽⁵⁾. لتبدأ مرحلة جديدة في حياة الجماعة الأحمدية.

Split in the Ahmadiyya Movement by Maulana Muhammad Ali: ahmadiyyah anjuman islam (1)
Lahore,u.s.a,1994. Page: 14

(2) ينظر: مجلة البشري. الجماعة الأحمدية. حيفا. أيار 2008م. ص22-29.

(3) ينظر: مجلة التقوى. تصدر عن المكتب العربي بالجامعة الأحمدية في لندن. بريطانيا. ديسمبر 2008. ص155-157.

(4) محمد ظفر الله خان (1893-1985م): وُلد في "سيالكوت" في باكستان، وانضم إلى الجماعة الأحمدية مع أبيه عام 1904م. تلقى دراسته الابتدائية في المدرسة الحكومية في بلده، ثم اجتاز امتحان الثانوية محققاً المركز الأول وهو لم يبلغ من العمر سوى 14 عاماً فقط. ثم تخرّج محرراً المرتبة الأولى من الكلية الحكومية في "لاهور" عام 1911م. وبعدها بدأ مستقبله المهني في المحاماة عام 1915 في "سيالكوت". في عام 1947 أصبح أول وزير خارجية "باكستان"، وأصبح رئيس محكمة العدل الدولية في الفترة من 1970 إلى 1973م. له مصنفات كثيرة، منها: "العبادة الإسلامية". ينظر: خان، محمد ظفر الله: حضرة المولوي نور الدين. ترجمة: مصطفى ثابت. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2007م. تعريف بالمؤلف.

(5) ينظر: الندوي، أبو الحسن وأبو الأعلى المودودي ومحمد الخضر: ثلاث رسائل عن القاديانية. (بلاط). الكويت: مكتبة

دار البيان. 2017م. ص14-15، ينظر: دامسون، إيان: رجل الله (قصة الخليفة الرابع). ترجمة: وسام البراقي. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2019م. ص59.

وفي عام 1965م، توفي بشير الدين محمود، وتلاه ابنه "ناصر أحمد" على قيادة الجماعة، الذي واجه مع جماعته صعوبات عديدة في باكستان بسبب إيمانهم بنبوة المرزا، وتوفى عام 1982م. ليخلفه بعد ذلك على قيادة الجماعة أخوه "طاهر أحمد" الذي فوجئ بقرار المحكمة الشرعية الفيدرالية الباكستانية بإسلام أباد عام 1984م، القاضي بتكفير القاديانيين من كلتا الفرقتين: الفرقة اللاهورية والفرقة القاديانية، وحظر ومعاينة أنشطتهما⁽¹⁾. فغادر طاهر أحمد الباكستان مباشرة إلى لندن، واتخذها مقراً جديداً لقيادة جماعته⁽²⁾، ومن حينها إلى الآن، بقي مقر قيادة الجماعة الأحمدية في لندن ببريطانيا.

وفي عام 1994م أسس طاهر أحمد قناة فضائية للجماعة باسم (mta)، واحتفلت الجماعة في عهده باليوبيل المئوي على تأسيسها. وتوفى عام 2003م، ليقود الجماعة بعده "مسرور أحمد" (ال خليفة الحالي للجماعة الأحمدية)⁽³⁾. وهو الخليفة الخامس للجماعة، الذي أسهم في تقديم الخدمات المجانية في مجالات الصحة والتعليم والتنمية في البلدان الفقيرة والمناطق المنكوبة وخاصة في أفريقيا. وقد استمر على نهج من سبقوه في قيادة الجماعة بتشديد المدارس والكليات والمستشفيات. إضافة إلى مئات المستوصفات في مختلف أصقاع العالم، وتقديم المساعدات الإنسانية لأهل المناطق المنكوبة في العالم بغض النظر عن فوارق العرق والدين⁽⁴⁾. مما ساعد على ازدياد عدد المنتمين للجماعة في أوروبا وأفريقيا.

وقد انفق علماء الإسلام في بلاد العرب والقارة الهندية على تكفير الجماعة الأحمدية (القاديانية)، في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الذي عقد بمكة عام 1394هـ-1974م، وأعلنوا كفر القاديانية، فقد قرر المجلس بالإجماع: "اعتبار العقيدة القاديانية المسماة أيضاً بالأحمدية، عقيدة خارجة عن الإسلام خروجاً كاملاً، وأن معتقبيها كفار مرتدون عن الإسلام، وأن تظاهر أهلها بالإسلام إنما هو

(1) ينظر: المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية: القاديانية فئة كافرة. تعريب: محمد بشير. (بلاط). باكستان: حديث أكادمي. (بلاط). ص 7-16.

(2) ينظر: دامسون، رجل الله (قصة الخليفة الرابع)، ص 130-141.

(3) ينظر: خطاب، راشد، حضرة الخليفة الرابع، مجلة البشرى، ص 54-56.

(4) ينظر: أبو دقة، تميم: النشأة الثانية للإسلام، ص 176.

للتضليل والخداع، ويعلن مجلس المجمع الفقهي أنه يجب على المسلمين حكومات، وعلماء، وكتاباً ومفكرين، ودعاة وغيرهم مكافحة هذه النحلة الضالة وأهلها في كل مكان من العالم".⁽¹⁾

ومن أفتى بتكفيرهم أيضاً: مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي⁽²⁾، ودائرة الإفتاء الأردنية⁽³⁾. وغيرهم الكثير من دور الإفتاء وعلماء الأمة الإسلامية.⁽⁴⁾

(1) المجمع الفقهي الإسلامي: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة: ط2. المملكة العربية السعودية: رابطة العالم الإسلامي. (بلا.ت). ص29

(2) مجمع الفقه الإسلامي، منظمة التعاون الإسلامي، الدورة الثانية، قرار رقم: 4 (2/4) بشأن القاديانية، تاريخ النشر: السبت 28 / ديسمبر / 1985، <https://www.iifa-aifi.org/ar/1576.html>

(3) دائرة الإفتاء الأردنية، القاديانية ليست من فرق المسلمين، رقم الفتوى: 341، تاريخ النشر: 27-09-2009، <https://aliftaa.jo/Question>

(4) ينظر: حكم علماء الإسلام في القاديانية، رقم الفتوى (105675)، اسلام ويب، تاريخ النشر: 2008/3/12، [/https://www.islamweb.net/ar/fatwa/105675](https://www.islamweb.net/ar/fatwa/105675)

المبحث الثاني

عقائد الجماعة الأحمدية القاديانية

نشرت الجماعة الأحمدية القاديانية كتاباً لها عام 2005م باللغة العربية، بعنوان "الجماعة الإسلامية الأحمدية عقائد، مفاهيم، نبذة تعريفية"، وتحدثت فيه عن أهم عقائدها، قائلة: (1)

- عقيدتنا في الله تعالى: نعتقد بأن الله تعالى حق، ووجوده حق، وأن الإيمان به اعتراف وإقرار بكبرى الحقائق جميعاً، وليس مجرد اتباع للأوهام والظنون، وتؤمن بأن الله واحد لا شريك له في الأرض ولا في السماء، وكل ما عداه مخلوق، وهو لم يلد ولم يولد، وليس له أم أو زوجة أو أخ أو أخت، هو الأحد المنفرد في توحيده وتفريده... كما نؤمن بأن الله قدوس ومنزه عن كل عيب، وأن قدرته لا نهائية وعلمه غير محدود، وهو يحيط بكل كائن في الوجود علماً، ولا يحيط به شيء، كذلك هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو خالق جميع الكون.

- عقيدتنا في الرسول -صلى الله عليه وسلم-: نؤمن قطعاً بأن سيدنا ونبينا محمد المصطفى -صلى الله عليه وسلم- هو عبد الله ورسوله، وهو خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخرين. ونعتقد أن اتباع سنته وطاعة أمره، والتأسي بأسوته، والافتداء بهديه واجب على كل مسلم.

- عقيدتنا في القرآن الكريم: نؤمن بأن القرآن كامل، ونؤمن بأن لا نسخ فيه إطلاقاً، بل نؤمن بأن كل تعاليمه عاملة، ولا تناقض بين آياته ولا اختلاف.

وتحدثوا عن عقيدتهم بالنبي عيسى -عليه السلام-، والمرزا غلام أحمد مؤسس جماعتهم في كتيب آخر، بعنوان: "الجماعة الإسلامية الأحمدية في الديار المقدسة والعالم"، قالوا فيه: (2)

- يعتقد الأحمديون أن النبوة وحي الله لم ينقطع، وأن ذلك الباب لم ينسد بعد وفاة الرسول الأكرم محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأنه ما زال مفتوحاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وأن

(1) الجماعة الإسلامية الأحمدية. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2005م. ص 6-9.

(2) عودة، فلاح الدين محمد: الجماعة الإسلامية الأحمدية في الديار المقدسة والعالم. ط1. حيفا: الجماعة الإسلامية الأحمدية. 2015م. ص 9-10.

- ميرزا غلام أحمد مؤسس الجماعة، بكونه مسيحاً ومهدياً، جاء نبياً ظلياً لنبي الإسلام محمد - صلى الله عليه وسلم-.

- يعتقد الأحمديون أن المسيح لم يمتم على الصليب ولم يرفع الى السماء، لكنه أغمي عليه، وأنزل عن الصليب على يد الجنود الرومان، وقام تلاميذه بعلاج جروحه، ثم أخذوه خفية إلى الخليل، وقطع حدود الأرض المقدسة حتى وصل الهند ترافقه أمه مريم الصديقة -عليها السلام- وبعض تلاميذه، وهناك مات عن عمر (120) سنة بعد أن أنجز مهمته كمسيح مبعوث إلى بني إسرائيل.

- يعتقد الأحمديون أن مؤسس الجماعة حضرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام هو المسيح الموعود والمهدي المعهود⁽¹⁾. ووضحوا ذلك في كتاب آخر، قالوا فيه: "أن أكثر الأحاديث الواردة في شأن الدجال ونزول المسيح ابن مريم وعلامات ظهوره، إنما هي من قبيل الاستعارة والمجاز. وأن المراد من نزول عيسى ابن مريم هو بعثة رجل آخر من أمة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- يشبه عيسى ابن مريم من صفاته وأعماله وحالاته، وقد ظهر هذا الموعود في قاديان في الهند باسم "ميرزا غلام أحمد"⁽²⁾.

- يصلي الأحمديون الصلوات الخمس، ويصومون شهر رمضان، ويؤدون الزكاة ويحجون إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، كما ويحتفلون بالأعياد الإسلامية وبعض المناسبات في تاريخ الإسلام والأحمدية.

(1) للتوضيح: يعتقدون أن المهدي والمسيح المراد ظهوره آخر الزمان هو شخص واحد، مستدلين بالحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه (1340/2)، وقد أجمع على ضعفه الشديد، مثل: "لَا الْمُهْدِيُّ إِلَّا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ". وأتعب منهم، فهم يرون أن كل الأحاديث التي تتحدث عن نزول عيسى ابن مريم -عليه السلام- على سبيل المجاز والاستعارة، إلا هذا الحديث المنكر!! ينظر: حكم الألباني للحديث أنه "منكر". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (175/1).

(2) الجماعة الإسلامية الأحمدية، ص108.

وهذه العقائد سنتحدث عنها في "الفصل الخامس" بإذن الله، ولكن ما ينبغي توضيحه أيضاً، أن هناك بعض الكتب التي تحدثت عن الأحمديّة القاديانية قائلة: إن الجماعة تؤمن بالحلول⁽¹⁾ وتناسخ الأرواح⁽²⁾، وهذا أمر خاطئ، لم أجده في كتبهم، ولا في كتب مؤسسهم، بالعكس، دحض المفسر بشير الدين محمود (الخليفة الثاني للجماعة) وفنّد هذه العقيدة في تفسيره "التفسير الكبير"، قائلاً: "التناسخ. وأول ما يقال في تفنيدها هو أن أساسها الظنّ والتخمين... إن التسليم بالتناسخ يستلزم التسليم بأن الكون كله قائم على الإثم -والعياذ بالله- ذلك أن القائلين بالتناسخ يقولون أن الحيوانات تُخلق في العالم نتيجة آثام الناس، فبعضهم يتحول بسبب ذنوبه بقرةً في خلقه الجديد، وبعضهم يُخلق جاموساً، وبعضهم حصاناً، وبعضهم حماراً. وحيث إن الخضار والنباتات تتمتع بنوع من الحياة، فلا بد أن تكون قد خُلقت نتيجة ذنوب الناس. وحيث إن الحيوانات كلها قد خُلقت نتيجة آثام الناس فثبت أن الكون قائم على الإثم وحده، ولو محي الإثم لم تكن هناك بقر وجواميس يشرب الإنسان لبنها، ولا خيل يركبها، ولا خضار يأكلها، وهكذا اختلّ نظام الكون كله... باختصار، إن عقيدة التناسخ مخالفة للعقل كالعقيدة البوذية"⁽³⁾.

(1) ينظر: النجار، عامر: القاديانية. ط1. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. 2005م. ص 61-63، وذكر عامر النجار معنى الحلول في صفحة (61)، فقال: "أن الله سبحانه وتعالى حل في بعض خلقه وامتزج به بحيث تلاشت الذات الإنسانية بالذات الإلهية، فصارتا متحدتين غير منفصلتين".

(2) ينظر: المرجع السابق، وذكر عامر النجار معنى التناسخ في صفحة (61)، فقال: "فهو انتقال الروح بعد الموت من جسد إلى آخر، وقد يكون التناسخ من جسم إنساني إلى جسم آخر إنساني أو حيواني أو نباتي من إنسان إلى جماد".

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص 290-296.

المبحث الثالث

موقف الجماعة الأحمدية القاديانية من القرآن الكريم

قال المرزا غلام أحمد (مؤسس الجماعة الأحمدية): "الفرقان الكريم كتاب قد ثبت تواتره لفظاً، وهو وحيٌّ منلُوقٌ قطعي يقيني، ومَن شكَّ في قطعته فهو كافر مردود عندنا ومن الفاسقين".⁽¹⁾

وقال ابنه بشير الدين محمود (ال خليفة الثاني للجماعة) في مقدمة تفسيره "التفسير الكبير": "إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يمكن أن يسمى (كلام الله). أما الكتب الأخرى، وإن كانت تدعى كتباً الهامية. ولكن لا يمكن أن تسمى (كلام الله).. ذلك لأن كلام البشر قد أضيف إليها وخالطها. أما (كلام الله) الخالص في كل حرف منه. من الباء في قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) الى السين في قوله تعالى (من الجنة والناس). فإنما هو القرآن الكريم وحده. لا يزال هذا الكتاب إلى يومنا هذا هو كما أنزل. لم تنقص منه كلمة واحدة. ولم تضاف إليه كلمة واحدة. ليس فيه أمر لا يمكن العمل به. لم تنسخ منه آية واحدة. كل سكونة أو حركة في ألفاظه بفتح أو ضم أو كسر محفوظة. وكل موقف كما هو. لذلك ليس هناك سوى القرآن كتاب نستطيع أن نتخذه منارا لحياتنا متيقنين بأن لا شبهة في أي أمر فيه"⁽²⁾. وتحدث في تفسيره كثيراً عن إعجاز القرآن الكريم وعظمته باحتوائه على معان واسعة ومعارف سامية ونبوءات عظيمة تفوق قدرة البشر⁽³⁾، وأنه غذاء روحي يحتاج إليه الإنسان⁽⁴⁾، وأن القرآن كان سبباً هاماً في نهضة العالم⁽⁵⁾، وأنه يتصف بصفات لا توجد في أي

(1) القادياني، المرزا غلام أحمد: باقة من بستان المهدي. (بلاط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2007م. ص24.

(2) بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1413هـ-1993م. ج1. مقدمة التفسير.

(3) ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1418هـ-1997م. ج3، ص549.

(4) ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1425هـ-2004م. ج4، ص72.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص374-379

كتاب سماوي⁽¹⁾، وأن القرآن محفوظ من التحريف، وغيره لم يسلم من التحريف والاختلال⁽²⁾. واستدل بأقوال المستشرقين أنفسهم في إثبات عدم تحريف القرآن.⁽³⁾

أنهت الجماعة الأحمدية بتحريف القرآن الكريم من قبل معارضيها، لكن الجماعة نشرت كتاباً لأحد أبناءها بعنوان "كتاب محفوظ" فنّد فيه جميع المقولات المنسوبة عن المرزا غلام أحمد، أو التي فهمت خطأ، أو التي اجتزئت من سياقها.

ولقد شاهدت أثناء زيارتي لمراكز الجماعة الأحمدية في فلسطين سواءً "دار الأمن" في كفر صور بطولكرم، أو مركزهم الرئيسي في حيفا بما فيه مسجدهم "بشير الدين محمود"، استخدامهم للمصاحف المطبوعة من مطبعة الملك فهد، وقراءتهم منه، فلم يغيروا منه حرفاً، أو يبدلوا.

مع أنني رأيت في موقعهم الإلكتروني طبعات قديمة للمصحف الشريف طبعتها الجماعة الأحمدية باسم "قرآن مجيد" توافق المصاحف المطبوعة من مطبعة الملك فهد إلا أنها تختلف في كيفية الطباعة، واحتساب البسمة كآية ما عدا سورة التوبة فليس لها بسمة، وتسمية أربع سور من سور القرآن كسورة الإنسان بسورة الدهر. وهذه اختلافات لا تمس بجوهر القرآن وسوره وآياته.

وقد اعتنت الجماعة الأحمدية بتعليم القرآن لأعضائها، وتفسيره، وترجمته. وبدأ الاهتمام بترجمة القرآن الكريم في زمن مؤسس الجماعة الذي رأى أن الترجمة ضرورية جداً، وطلب من جماعته ترجمة القرآن الكريم بكل اللغات⁽⁴⁾، فسعى نور الدين القرشي في حياة المرزا إلى ترجمة القرآن الكريم باللغة الأوردية وانتهى من ذلك عام 1907م وسلمها إلى الشيخ عبد الرشيد الميرتهي لينشرها⁽⁵⁾. كما فوض نور الدين القرشي (ال خليفة الأول للجماعة) المولوي محمد علي أن يترجم القرآن إلى

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص4.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص81.

(3) من أقوال المفسر: "لقد فشلت تماماً محاولات العلماء الأوروبيين في إثبات أي تحريف في القرآن فيما بعد. (الموسوعة البريطانية، القرآن) هذه شهادات من ألد أعداء الإسلام، والفضل ما شهدت به الأعداء". بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص26.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص81.

(5) ينظر: شيخ عبد القادر، حياة نور. تعريب: عبد المجيد عامر، ومحمد طاهر نديم. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2008م. ص394.

الإنجليزية⁽¹⁾، الذي انتهى من ترجمته عام 1917م⁽²⁾. بعدها انطلقت الجماعة الأحمدية في تفسير القرآن بلغات متعددة، أما اليوم، فبلغت ترجمات القرآن الكريم على ما يزيد عن السبعين لغة عالمية⁽³⁾. ولكن يشوب هذه الترجمات أخطاء كثيرة؛ بسبب تأثرها بالتفسيرات الأحمدية للقرآن. قالت د. عفاف شكري⁽⁴⁾ بعد دراستها لعدد من ترجمات الجماعة: "قامت⁽⁵⁾ بترجمة الآيات بما يتناسب معهم ومع معتقداتهم، فتضمنت الكثير من المنكرات والتأويلات، ونسبوا للقرآن الكريم، خدمة لهم"⁽⁶⁾. فأبرز الانحرافات في ترجماتهم هي: أن باب النبوة لم يُغلق، وأن المرزا غلام أحمد المسيح الموعود، والنبى المبعوث، وكان يأتيه الوحي من الله، كما يزعمون بأن عيسى بن مريم -عليه السلام- لم يرفع إلى السماء حيًّا، بل مات ميتة طبيعية، وأن المعجزات الواردة في القرآن الكريم ما هي إلا من قبيل المجازات القرآنية، والتعبيرات الرمزية.⁽⁷⁾

لهذا منع شيخ الأزهر ومفتي بيروت من تداول هذه الترجمات، فقال محمد رشيد رضا⁽⁸⁾: "منع شيخ الأزهر ومفتي بيروت لإدخال المصحف الشريف المطبوعة معه هذه الترجمة الإنكليزية الى مصر وسورية لئلا يضلّ المسلمون بهذا التحريف... وعندي لا ينبغي للمسلمين أن يعتمدوا على هذه الترجمة ولا غيرها في فهم القرآن والعمل به".⁽⁹⁾

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 154.

(2) The first edition of Maulana Muhammad Ali's translation of the Holy Quran with commentary, 1917, <http://www.ahmadiyya.org/m-ali/quran-1917.htm>

(3) أبو دقة، تميم: النشأة الثانية للإسلام، ص:174.

(4) مدرسة بقسم التفسير والحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة الكويت. ينظر: شكري، عفاف علي: حول ترجمة معاني ألفاظ القرآن. مجلة الشريعة الدراسات الإسلامية (الكويت). العدد 42: 2000م. ص17.

(5) يقصد بها: قامت الجماعة الأحمدية.

(6) شكري، عفاف علي: حول ترجمة معاني القرآن الكريم، ص20.

(7) ينظر: ما رأيكم في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية لمحمد علي؟، إسلام ويب، رقم الفتوى: (253489)، تاريخ النشر: 2014/5/19،

<https://www.islamweb.net/ar/fatwa/253489>

(8) محمد علي رشيد رضا: وُلد عام ١٨٦٥م، في قرية "القلمون" الواقعة بـ "جبل لبنان"، حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة والحساب. وتلقّى تعليمه الابتدائي في "المدرسة الرشيدية" ثم التحق بـ "المدرسة الإسلامية" بطرابلس. تتلمذ على يد مجموعة من مشايخ عصره في لبنان، عندما وجد صعوبة التعلّم على يد "جمال الدين الأفغاني" انتقل إلى مصر ليُدرس على يد "محمد عبده". أسس جريدة "المنار" ليجعلها منبرًا ينشر منه أفكاره. ومن كُتبه: تفسير المنار، وتاريخ الأستاذ الإمام، وغيرها. توفي عام 1935م. ينظر: مؤسسة هندواوي، <https://www.hindawi.org/contributors/64835824>

(9) رضا، محمد رشيد: فتاوى الإمام محمد رشيد رضا. تحقيق: صلاح الدين المنجد. (بلاط). (بلام): دار الكتاب الجديد. 2005م. ص2058-2059.

المبحث الرابع

جهود الجماعة الأحمدية القاديانية في تفسير القرآن الكريم

بعد أخذ فكرة عن ترجمة الجماعة الأحمدية للقرآن الكريم، وهي جزء من تفسيراتهم، نتحدث بشكل سريع عن جهود الجماعة في تفسير القرآن.

أول من فسر القرآن الكريم في الجماعة الأحمدية هو مؤسس الجماعة الأحمدية (المرزا غلام أحمد)، الذي فسر سورة الفاتحة باللغة الأوردية في كتابه "البراهين الأحمدية"، بعد ذلك فسر سورة الفاتحة باللغة العربية في كتابه "إعجاز المسيح" مدعياً أنها إحدى معجزاته!!⁽¹⁾. كما أن له بعض التفسيرات التي نشرت في كتبه، وكتب جماعته، لكنه لم يفسر القرآن الكريم كاملاً⁽²⁾، وهكذا نور الدين القرشي (ال خليفة الأول للجماعة) الذي فسّر القرآن الكريم كاملاً⁽³⁾ لكنه لم ينشره، فقال: "المسيح الموعود - عليه السلام-، وهو المبعوث الإلهي لخدمة القرآن الكريم، لم ينشر أي ترجمة ولا تفسير له. إن الناس تجني الكثير من الفوائد من ترجمات القرآن المجيد والتفسير التي نُشرت له، ولكن معظم الناس يميلون إلى اعتبار تلك التفسير هي الكلمة الأخيرة، ويتوقفون عن التفكير والتدبر في القرآن الكريم اعتماداً عليها، مما يتسبب في الكثير من الضرر. لقد كتبت تفسيراً للقرآن المجيد، وحتّى بعض الأصدقاء على طبعه ونشره. ثم تفكرت في أن أولئك الذين سوف يأتون من بعدي قد يعتبرونه الكلمة الأخيرة في التفسير، فيغلقون على أنفسهم باب الحق والحكمة التي يحتويها القرآن المجيد... ومن أجل هذا فقد تخلّيت عن فكرة أن أحاول وضع مياه المحيط في إبريق"⁽⁴⁾. بيد أنه بعضاً من تفاسيره نشرت في مجلة "تعليم الإسلام" ومجلة "مقارنة الأديان"، وفي غيرها من الكتب. بعد وفاته، جمع أحد أبناء الجماعة (ضياء الإسلام برس) تفسيراته في كتاب "حقائق الفرقان" بأربعة مجلدات شملت تفسيره الكامل لسور القرآن الكريم.

(1) ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: إعجاز المسيح. (بلاط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2011م. ص4.

(2) اعتنى حفيده ناصر أحمد (ال خليفة الثالث للجماعة) بهذه التفسيرات فجمعها في 4 مجلدات، بينما تم تجميع النسخة المطبوعة الحالية في 8 مجلدات في عام 1968م، وسماها "تفسير".

(3) هو أول مفسر من الجماعة فسّر القرآن الكريم كاملاً بكل آياته.

(4) خان، محمد: حضرة المولوي نور الدين، ص127-128.

في عام 1923م، نشر المولوي محمد علي تفسير القرآن الكريم باللغة الأوردية في ثلاثة مجلدات، وانتقد تفسيره بشير الدين محمود الذي رأى فيه سرقات كثيرة من تفسيرات نور الدين القرشي⁽¹⁾، فكتب بشير الدين محمود أحمد (ال خليفة الثاني للجماعة) تفسيراً مختصراً للقرآن الكريم باللغة الأوردية بعنوان "التفسير الصغير" وصدرت بالجلسة السنوية للجماعة عام 1957م، وشرعَ بعدها بكتابة تفسيره "التفسير الكبير" الذي ترجم باللغتين العربية والإنجليزية.

ونُشر لناصر أحمد (ال خليفة الثالث) تفسير القرآن كاملاً من خطاباته بعنوان "أنوار القرآن" في ثلاث مجلدات باللغة الأوردية. كما نُشرَ طاهر أحمد (ال خليفة الرابع للجماعة) تفسيراً مختصراً باسم "قرآن كريم ترجمة الأوردية" عام 2000م، وله دروس تفسيرية مطولة في تفسير القرآن الكريم ترجمتها قناة (mta3) للغة العربية، وتعرضها في حلقات تلفزيونية بعنوان "درس القرآن"، وله تفسيرات علمية مترجمة للإنجليزية والعربية في كتابه "الوحي"، وهذه التفسيرات كلها تدور حول منهج واحد، مع اختلاف بسيط بينها⁽²⁾، وأكثر التفسيرات اعتناءً بها وترجمة لها من قبل الجماعة الأحمديّة، وترجمة لها، هو "التفسير الكبير" لبشير الدين محمود أحمد، الذي يبين منهج تفسير الجماعة للقرآن الكريم.

كما في الجماعة مجموعة أخرى من المفسرين، وأسميهم (المقلدين)، فهم يقتبسون تفسيرات المرزا وخلفاء الجماعة، فيشرحونها بلغتهم، ويدللون عليها بأدلتهم. من العجم: تفسير القرآن للسير سيد أحمد خان، وترجمة "قرآن مجيد" للسيد مير محمد إسحاق. ومن العرب: هاني طاهر قبل خروجه من الجماعة⁽³⁾. وسليم الجابي الذي نُشر بعض التفسيرات⁽⁴⁾، وله كتاب "منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره" يرى فيه أن تفسير القرآن لا يكون إلا وفق منهجية وأصول، استنبطها من تفسيرات المرزا غلام أحمد وابنه بشير الدين محمود، وهي عشرة أصول قسمها على فصول كتابه⁽⁵⁾.

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص214-216

(2) من هذه الاختلافات: يرى نور الدين القرشي أن أزر كان عملاً لسيدنا إبراهيم -عليه السلام-، ولكن بشير الدين محمود يرى أن أزر هو والد سيدنا إبراهيم -عليه السلام-. ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1426هـ-2005م. (212/5).

(3) كان لهاني طاهر برنامج تلفزيوني بعنوان "مقارنة التفاسير" ويقارن بين "التفسير الكبير" وغيرها من التفاسير، لكن قناة (mta3) توقفت عن عرض برامجه بعد خروجه من الجماعة.

(4) منها: في ظلال دلالات سورة الكهف، في ظلال دلالات سورة الإسراء، في ظلال دلالات سورة هود.

(5) ينظر: الجابي، سليم: منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره. ط1. دمشق: (بلان). 2006-2007. ص500-503

الفصل الأول

التعريف بالتفسير الكبير وصاحبه

المبحث الأول

التعريف بالمفسر المرزا بشير الدين محمود أحمد

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو محمود بن مرزا غلام أحمد بن مرزا غلام مرتضى بن مرزا عطا محمد بن مرزا گل محمد بن مرزا فيض محمد بن مرزا محمد قائم بن مرزا محمد أسلم بن مرزا دلاور بيگ بن مرزا إله دين بن مرزا جعفر بيگ بن مرزا محمد بيگ بن مرزا محمد عبد الباقي بن مرزا محمد سلطان بن مرزا هادي بيگ، من ذرية الحاج برلاس عم الأمير تيمورلنك المشهور في سمرقند (1). وسأقف سريعاً عند بعض الأشخاص في نسب المفسر:

1. جده مرتضى: كان طبيباً، وقد بنى في آخر حياته مسجداً في قاديان سمي "بالمسجد الأقصى"، لكنه عمل في شبابه بجيش الاحتلال البريطاني للهند، وقاتل معهم في إخماد ثورة شعبية اندلعت ضد الانجليز عام 1848م. (2)

2. جده هادي بيگ: رحل من سمرقند إلى البنجاب في عام 1530م، وكان من نفس العائلة الملكية التي ينتمي إليها الإمبراطور بابر الجالس على عرش الإمبراطورية الهندية ويرأس الحكومة المركزية في دلهي، فمنحه مقاطعة من الأرض تحتوي على مئات من القرى، وعينه قاضياً للمقاطعة والمناطق المجاورة. وبذلك صارت القرية التي أنشأها تعرف باسم "قاضي إسلام بور"، وبمرور الزمن وصارت تعرف باسم "قاضيان"، ثم تطور الاسم إلى "قاديان". (3)

المطلب الثاني: مولده وأبرز المراحل في حياته

وُلد المفسر بشير الدين محمود أحمد في 12 يناير 1889م من والده المرزا غلام أحمد (مؤسس الجماعة الأحمدية) وأمه السيدة نصرت جهان بيغم (الزوجة الثانية للمرزا) في قاديان.

(1) ينظر: ثابت، مصطفى: السيرة المطهرة. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2006م. ص38.

(2) المرجع السابق. ص37-38.

(3) المرجع السابق. ص36.

أخذه والده وهو في المهد إلى لدهيانه ليحضر البيعة وتأسيس الجماعة، وكان عمره وقتها شهر وعدة أيام. عندما بلغ السادسة من عمره بدأ يتعلم قراءة القرآن من الحافظ أحمد الله الناغفوري، وختم القرآن أول مرة بعد عام، فأقام له والده حفلة كبيرة. التحق في سن الثامنة بالمدرسة الأحمدية التي أسسها والده، ودرس فيها (1) القرآن واللغة العربية وغيرها من المواد، أثناء فترة دراسته كان شديد الاهتمام بدروس تفسير القرآن الكريم التي كان يلقاها نور الدين القرشي، فتعلم على يديه القرآن الكريم وصحيح البخاري وعلم الطب. (2)

تزوج محمود للمرة الأولى (3) في الثالثة عشر من عمره، بالأحمدية محمودة بيغم (أم ناصر). كان حينها طالباً في المدرسة، وناظراً لخدمة الدراويش في قاديان (رئيس قسم المراقبين). وفي عام 1905م تقدم لامتحان الثانوية العامة لكنه لم يقدر على اجتيازه. فتفرغ بعدها لتعلم التفسير، وقراءة العديد من الكتب، وكتابة المقالات والأبحاث العلمية، مما دفعه الى تأسيس مجلة "تشحيد الأذهان" في عام 1906م، وكان أول رئيس تحرير لها. بعدها عينه والده عضواً في "مجلس المعتمدين" لمؤسسة "صدر أنجمن أحمدية". بعد عامين توفي والده، فبايع قائدهم الجديد نور الدين القرشي (ال خليفة الأول). وفي عام 1910م بدأ محمود بإلقاء دروس القرآن وتفسيره بعد صلاة المغرب في المسجد بقاديان. وفي 1911م عينه نور الدين القرشي رئيساً لمؤسسة "صدر أنجمن أحمدية"، وبعدها بعام سافر إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، وعاد إلى وطنه عام 1913م. بعدها بعام، توفي نور الدين القرشي ليبايع بشير الدين محمود قائداً للجماعة الأحمدية وخليفة ثانياً لوالده. واستمر زعيماً للجماعة الأحمدية طوال الواحد وخمسون عاماً من عمره. (4)

(1) من معلميه الذين تتلمذ عليهم: القاضي أمير حسين، والسيد محمد سرور شاه، الحكيم عبيد الله وغيرهم.

(2) ينظر: المصلح الموعود، مجلة التقوى، ديسمبر، 2008، ص130.

(3) تزوج بشير الدين محمود عدة مرات في حياته، وزوجاته هن: السيدة محمودة بيغم أم ناصر، السيدة أمة الحي، السيدة مريم بيغم أم طاهر، السيدة سارة بيغم، السيدة عزيزة بيغم أم وسيم، السيدة مريم صديقة أم منين، السيدة بشرى بيغم.

(4) ينظر: شيخ عبد القادر، حياة نور، ص319. ينظر: المصلح الموعود، مجلة التقوى، ديسمبر، 2008، ص128-

أما أبرز إنجازاته في الجماعة، من عام 1914م إلى 1965م: (1)

1. عارض بشير الدين محمود فكرة المولوي محمد علي بإلغاء الخلافة، وجعل الخلافة (قيادة الجماعة) لمؤسسة "صدر أنجمن أحمديّة". مما أدى إلى انشقاكه مع مؤيديه من الجماعة.
2. إقامة مجلس الشورى للجماعة عام 1922م، وإنشاء تنظيمات فرعية في الجماعة، فأسس مجلساً للشيوخ وسماه "مجلس أنصار الله"، ومجلساً للشباب باسم "مجلس خدام الأحمديّة"، ومجلساً للسيدات باسم "لجنة اماء الله"، ومجلساً للصغار الذكور باسم "أطفال الأحمديّة"، ومجلساً للبنات باسم "ناصرات الأحمديّة".
3. بعد زيارته إلى البلاد العربية (مصر، وسوريا، ولبنان، وفلسطين)، أرسل بعثة من الأحمديين، للدعوة لعقائدهم في البلاد العربية في عام 1925م، إلى دمشق بالذات بقيادة الداعية جلال الدين شمس. الذي لم يمكث فيها إلا ثلاث سنوات، ثم اتجه إلى مدينة حيفا ومنها إلى قرية الكبايير المجاورة لها، فاعتنقت عائلة عودة مذهب الأحمديّة، ووضع حجر الأساس لأول مسجد للجماعة الأحمديّة في البلاد العربية، الذي ما زال قائماً إلى يومنا هذا باسم "جامع بشير الدين محمود".
4. حوّل المدرسة الأحمديّة إلى معهد باسم "الجامعة الإسلامية الأحمديّة" في أيار 1928م، وانتقلت الجامعة بعد انقسام الهند إلى لاهور في باكستان، ثم استقرت إلى ربوة بشكل دائم.
5. إقامة مركز ربوة للجماعة الاحمديّة عام 1948م، بعد هجرة عدد كبير من أبناء الجماعة من قاديان.
6. وقف مواقف مشهودة للعرب، وخاصة في قضية تقسيم فلسطين واحتلالها، فمن مواقفه، نشره في الصحف من أجل نصرّة القضية الفلسطينية، قائلاً: "القضية ليست قضية فلسطين وإنما هي قضية المدينة المنورة. والمسألة ليست مسألة بيت المقدس وإنما هي مسألة مكة المكرمة ذاتها. القضية ليست قضية زيد أو عمرو بل هي قضية عرض محمد رسول الله -صلى الله عليه

(1) ينظر: عودة، هديل، سيرة المصلح الموعود، مجلة البشرى، ص25. ينظر: عودة، فلاح الدين: الجماعة الإسلامية في

الديار المقدسة والعالم، ص4-6

وسلم- . لقد اتّحد العدو ضد الإسلام متناسياً أوجه الخلاف الكثيرة بينه . أولاً يتّحد المسلمون بهذه المناسبة رغم وجود آلاف من أوجه الاتحاد بينهم".⁽¹⁾

في سنة 1954م، تعرض بشير الدين محمود لمحاولة قتل وأصيب بجروح عديدة، شفي من الجروح بعد ذلك، ولكن صحته بقيت ضعيفة منذ تلك الفترة، فسافر إلى أوروبا مرة ثانية لتلقي العلاج، ولكن أخذت صحته تضعف رويداً رويداً حتى توفاه الله عام 1965م.⁽²⁾

(1) أحمد، طاهر: الخدمات البارزة للجماعة الأحمدية لأجل العالم العربي. (بلاط). لندن: (بلان). (بلا.ت). ص4-5.

(2) ينظر: عودة، هديل، سيرة المصلح الموعود، مجلة البشرى، ص36.

المبحث الثاني

التعريف بالتفسير الكبير

المطلب الأول: مقدمة عن التفسير الكبير

هو تفسير تحليلي لبعض سور القرآن الكريم، من المفسر بشير الدين محمود أحمد، حيث فسر 59 سورة من سور القرآن الكريم⁽¹⁾، بما يقارب الثلاثة عشر جزءاً للقرآن الكريم⁽²⁾. يعتمد منهجه على الاتجاه العقلي في التفسير، بمعنى أنه يشرح الآيات القرآنية شرحاً عقلياً ويرجحها على صحيح المأثور إن عارضته. والاتجاه العقلي، جعل تفسيره بعيداً كل البعد عن الروايات الخرافية، وظهر منهجه جلياً من خلال طرحه الأسئلة (الأسئلة الاستنتاجية) التي تتبادر إلى الأذهان بمجرد التمعن في قراءة الآية ومعناها، فيجيب عليها، ويناقش المواضيع بشكل مفصل. فمن محاسن تفسيره، نقاشه ودحضه للمعتقدات الأخرى كالزرادشتية والبوذية وخاصة اليهودية والنصرانية، ودحضه للمذاهب المنحرفة كالجبورية، والخوارج، والشيعية، والمعتزلة، والصوفية والبهائية وغيرها. وعرضه لشبهات المستشرقين عن الإسلام وتشريعاته، والقرآن الكريم، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم-، وشبهات العلمانيين والملحدين، ومناقشتها، وبيان ضعفها، وتناقضها، وإبطالها بطريقة علمية. كما أنه يقارن تفسيره لبعض الآيات، مع التفسيرات الأخرى سواء التفسيرات الأحمدية، أو تفسيرات المعتزلة، أو تفسيرات أهل السنة والجماعة، ويناقشها وأحياناً يرجح بينها.

حرص المفسر على ربط تفسيره للآيات ومضمونها بواقع المسلمين ومشاكلهم السياسية والاجتماعية، مقدماً النصائح للمسلمين وبالذات لأبناء جماعته، أكثر من استنباط الدروس والفوائد من الآيات القرآنية. وسعى المفسر إلى إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، والسياق الواحد الذي يؤلف بين آياتها وسورها.

(1) السور على ثلاثة أقسام: القسم الأول (أول القرآن): سورة الفاتحة والبقرة، وبعدها القسم الثاني (نصف القرآن): من سورة يونس إلى سورة العنكبوت، وآخرها القسم الثالث (آخر القرآن): من سورة عم إلى سورة الناس.

(2) الأجزاء هي: الجزء الأول، والجزء الثاني، وما يقارب نصف الجزء الثالث، وما يقارب نصف الجزء الحادي عشر، والجزء الثاني عشر، والجزء الثالث عشر، والجزء الرابع عشر، والجزء الخامس عشر، والجزء السادس عشر، والجزء السابع عشر، والجزء الثامن عشر، والجزء التاسع عشر، والجزء العشرين، وأوائل الجزء الواحد والعشرين، والجزء الثلاثين.

لكن الاتجاه العقلي، أوقعه بمآخذ وانحرافات في تفسيره، أبرزها: الدفاع عن عقيدته الأحمدية القاديانية -المبنية على اجتهادات عقلية لمؤسس الجماعة- بمحاولة إثبات دعوى والده المرزا غلام أحمد أنه نبي، وأنه بعث إلى المسلمين كمثيل لعيسى -عليه السلام- الذي بعث إلى بني إسرائيل. وأن الجماعة الأحمدية هي خاتمة السلسلة المحمدية، كما كانت النصرانية خاتمة السلسلة الموسوية.

وهذا الدفاع أوقعه بهفوات وانحرافات، خرجت بالنص القرآني عن معناه الظاهر في عديد من الأحيان، إلى تأويلات بعيدة وتفسيرات غريبة. فإذا مر بلفظ يشتبه عليه ظاهره ولا يتفق مع مذهبه، يحاول بكل جهده أن يبطل هذا المعنى الظاهر، ويثبت للفظ معنى آخر موجوداً في اللغة. كما حاول التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية خصوصاً في القضايا العلمية.

قال المفسر بشير الدين محمود في مقدمته للتفسير الكبير مبيناً سبب تأليفه لهذا التفسير: "ولقد أردت بكتابة هذا التفسير لكلام الله تعالى أن يجد فيه من لا يعرفون اللغة العربية. أو من ليس لديهم وقت للتدبر في كلام الله. أو من لا تتولد في قلوبهم رغبة لذلك.. فرصة لفهم كلام الله تعالى. والاطلاع على محاسنه المكنونة".⁽¹⁾

- أما تأليفه، فكان عبارةً عن جمع ملخصات عديد من الدروس القرآنية والخطب والمحاضرات التي ألقاها على جماعته في مناسبات عدة، لكنه رتبها، وبدأ في نشرها باسم "التفسير الكبير"، ولكن بطريقة غير متسلسلة. فأصدر المفسر بشير الدين محمود في عام 1940م تفسير السور القرآنية من سورة يونس إلى سورة إبراهيم.

وفي عام 1945م، أصدر المفسر تفسير النصف الأول لجزء "عم" وقد تبرع بمبلغ (10000 روبية هندية) لنشره، والريح الحاصل منه جعله كصدقة جارية لزوجته مريم بيغم "أم طاهر"، وفي عام 1946 م أصدر المفسر تفسيره لباقي جزء "عم".

وفي عام 1948م، أصدر المفسر بشير الدين محمود تفسير سورة الفاتحة وجزء كبير من سورة البقرة في لاهور -باكستان-.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص: (س-ش).

وفي عام 1958م، تولى جلال الدين شمس (رئيس الشركة الإسلامية)⁽¹⁾ إصدار تفسيرات السور القرآنية للمفسر بإذنه من سورة مريم إلى سورة الفرقان. وفي عام 1960م أصدر تفسير السور القرآنية للمفسر من سورة الشعراء إلى سورة العنكبوت، وكلها بإذن من المفسر.

وكان آخرها تكملة تفسير سورة البقرة للمفسر التي أصدرتها الشركة الإسلامية (الشركة الناشئة) بإذن المفسر عام 1962م.

ولم يكمل جلال الدين شمس من إصدار تفسيرات أخرى للمفسر؛ بسبب اشتداد المرض على المفسر، وعدم قدرته على مطالعة أو قراءة أي شيء قام به شمس. ثم فارق الحياة بعدها. فقامت الشركة الناشئة بترتيب تفسير السور القرآنية في عشر مجلدات بناء على تسلسلها القرآني.⁽²⁾

المطلب الثاني: ترجمة التفسير الكبير للغة العربية

بدأت ترجمة "التفسير الكبير" في مطلع التسعينيات، بعد طلب قدمه أحد أبناء الجماعة الأحمدية "طه الفزق (أبو المطيع)" لخليفة الجماعة -آن ذاك- المرزا طاهر أحمد (الخليفة الرابع الجماعة)، وقد قبل اقتراحه وتبرّع الخليفة أيضاً بدفع جميع التكاليف المالية من حرّ ماله⁽³⁾. وأنجز ترجمة الجزء الأول منه في عام 1993م، واستمرت الترجمة حتى عام 2011م الذي توج بالانتهاء من ترجمة الجزء العاشر. لتصبح الأجزاء أو المجلدات العشرة للتفسير الكبير مترجمة للغة العربية ترجمة كاملة.

أما منهج المترجمين في ترجمة "التفسير الكبير"، فقد ذكروا ما يلي:⁽⁴⁾

1. روعي في هذه الترجمة تمام الالتزام بالأصل إلا في مواضع قليلة. حذف في بعضها شيء، مما هو خاص بالمزاج والتمدن الهنديين. والذي قد يصعب تذوقه وفهمه على القارئ العربي، وفي

(1) وهي الشركة الناشئة للتفسير الكبير، وجميع كتب الجماعة الأحمدية القاديانية.

(2) ينظر: في مقدمة الناشر، ومقدمة المفسر في جميع أجزاء "التفسير الكبير" محور هذه الدراسة.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الوسيط، ص3.

(4) ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1432-

2011م. ج10. مقدمة الناشر.

بعضها قصد إلى الإيجاز تحاشياً للتكرار. ولكن المترجمين أكدوا أن هذه الترجمة لم تضيف أي فكرة أو معنى إلى التفسير الأصلي.

2. اقتبس المفسر من الحديث النبوي الشريف، والسيرة، والتاريخ، وغيرها بألفاظه وأسلوبه، وليس بنصها الحرفي، فقام المترجم بالحفاظ على نصها، مع الإشارة بذكر النص الأصلي أو مرجعه في الهامش.

3. أحيانا يشير المفسر إلى بعض الأمور إشارة عابرة، فقام المترجم بتوضيحها في الهامش تسهيلا للقارئ.

4. لاحظ الباحث أيضاً⁽¹⁾، عندما يقع المفسر في خطأ اسم شخص أو مكان، يقوم المترجم بالإشارة إلى موضع الخطأ، وتوضيح الصواب في الهامش.

اقترح بعض المترجمين للتفسير، في جلسة بمنزل الدكتور حاتم الشافعي -النجل الأكبر لأبرز المترجمين محمد حلمي الشافعي- على التقدم باقتراح لمرزا مسرور أحمد -ال خليفة الحالي للجماعة- بتعويض الأجزاء الناقصة في التفسير الكبير، من التفسير المنشور باللغة الإنجليزية. غير أن المرزا مسرور أحمد لم يوافق على دمج التفسيرين أو الخلط بينهما، ورأى أن تُنشر الترجمة العربية للتفسير الكبير كما هي، وأن تُنشر أيضاً ترجمة التفسير المنشور باللغة الإنجليزية كاملة، وبذلك يُتاح للعرب مصدران من مصادر التفسير باللسان العربي.⁽²⁾

المطلب الثالث: محتويات التفسير الكبير وأهم مصادره

يتكون كل جزء من أجزاء التفسير الكبير مما يلي:

أولاً: غلاف التفسير الكبير: في الطبعة العربية الغلاف بالأزرق، والكتابة باللغتين العربية والانجليزية بالأصفر في وجه الغلاف مكتوب باللغة العربية ما يأتي:

(1) كما انتقد الباحث أيضاً، وجود بعض الأخطاء في الترقيم، وأخطاء نحوية في الترجمة العربية للتفسير الكبير.
(2) ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الوسيط. إعداد: لجنة من كبار علماء الجماعة. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2016م. ص3-4.

1. الآية القرآنية بالخط العثماني: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} (1).
 2. التفسير الكبير: وهو اسم التفسير الذي اختاره.
 3. حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد: وهو اسم المؤلف، مع لقبه (بشير الدين).
 4. عدد المجلد: إذا كان الأول يكتب "المجلد الأول"، وإن كان الثاني يكتب "المجلد الثاني"، وهكذا في جميع المجلدات العشر.
 5. الشركة الإسلامية: وهي شركة تابعة للجماعة الأحمدية، تعنتي بطباعة مؤلفات الجماعة ونشرها. وفي نهاية غلاف التفسير، ترجمة لما في مقدمة الغلاف باللغة الإنجليزية.
- ثانياً: يتكون من ورقة داخلية فيها: اسم التفسير، والمفسر، ورقم المجلد من سورة كذا الى سورة كذا، واسم الشركة الناشرة له. أيضا سنة الطباعة، ومكان الطباعة، مع ترجمة انجليزية له. وينتهي بالرقم الدولي للكتاب (ISBN). وهذا في كل جزء. بعد ذلك ورقة بيضاء أخرى منفصلة مكتوب عليها فقط "بسم الله الرحمن الرحيم" بطريقة مخططة جميلة. بدأت الشركة بوضع هذه الورقة بدءاً من الطباعات التي طبعت عام 1997م.
- ثالثاً: كلمة الناشر: وهي كلمة للشركة الإسلامية، فيها بعض الملحوظات عن الترجمة، وأهم من أشرفوا على الترجمة في كل مجلد، وينتهي بتاريخ الانتهاء من الترجمة. في الجزء الأول فقط، أفردت الشركة الإسلامية تعريفاً عن المفسر بعد كلمة الناشر.
- رابعاً: كلمة المفسر: وهي كلمة كتبها المفسر بشير الدين محمود في مقدمة أربعة من أجزاء تفسيره: الجزء الأول، والجزء الثالث، والجزء الثامن، والجزء التاسع. أما في الأجزاء الأخرى وتحديداً في الجزئين الخامس والتاسع، فلا نرى "كلمة المفسر"، لكن جلال الدين شمس (المدير العام للشركة الإسلامية) سابقاً، كتب مقدمة للجزئين.

(1) سورة الحجر: 21.

أما الأجزاء الأخرى، وهي: الجزء الثاني، والجزء الرابع، والجزء السادس، والجزء العاشر. فلا نرى أي كلمة ولا أي مقدمة بعد كلمة الناشر. من كلمة الناشر الى السور المفسرة مباشرةً.

خامساً: السور المفسرة: وهي سور القرآن الكريم التي فسرهما المفسر بشير الدين محمود في المجلدات أو الأجزاء العشرة. حيث احتوى كل جزء عدداً من سور القرآن التي فسرهما المفسر. وهي على النحو الآتي:

المجلد الأول: احتوى على تفسير سورة الفاتحة، وسورة البقرة من الآية 1 إلى الآية 83.

المجلد الثاني: احتوى على باقي تفسير سورة البقرة من الآية 84 حتى آخر آية من سورة البقرة.

المجلد الثالث: احتوى تفسير السورة التالية: سورة يونس، سورة هود، سورة يوسف، سورة الرعد، سورة ابراهيم.

المجلد الرابع: احتوى على تفسير السور التالية: سورة الحجر، سورة النحل، سورة الاسراء، سورة الكهف.

المجلد الخامس: احتوى على تفسير السور التالية: سورة مريم، سورة طه، سورة الأنبياء.

المجلد السادس: احتوى على تفسير السور التالية: سورة الحج، سورة المؤمنون، سورة النور، سورة الفرقان.

المجلد السابع: احتوى على تفسير السور التالية: سورة الشعراء، سورة النمل، سورة القصص، سورة العنكبوت.

المجلد الثامن: احتوى على تفسير السور التالية: سورة النبأ، سورة النازعات، سورة عبس، سورة التكوير، سورة الانفطار، سورة المطففين، سورة الانشقاق، سورة البروج، سورة الطارق، سورة الأعلى، سورة الغاشية، سورة الفجر، سورة البلد.

المجلد التاسع: احتوى على تفسير السور التالية: سورة الشمس، سورة الليل، سورة الضحى، سورة الشرح، سورة التين، سورة العلق، سورة القدر، سورة البينة، سورة الزلزلة، سورة العاديات، سورة القارعة، سورة التكاثر، سورة العصر، سورة الهُمزة.

المجلد العاشر: احتوى على تفسير السور التالية: سورة الفيل، سورة قريش، سورة الماعون، سورة الكوثر، سورة الكافرون، سورة النصر، سورة المسد، سورة الإخلاص، سورة الفلق، سورة الناس.

سادساً: محتويات تفسير كل سورة: في كل سورة فسرهما المفسر بشير الدين محمود احتوت على معالم بارزة:

1. اسم السورة، مع عدد آياتها تشمل البسمة، التي تعتبرها الجماعة أنها آية من كل سورة ذكرت فيها. كانت تخط الكتابة خطأً وعادة يكون الخط نفس خطوط المصاحف المطبوعة من مطبعة الملك فهد، في الطبعات من عام 1993م إلى طبعة 1997م. بينما الطبعات من عام 2004م إلى آخر طبعة، فكتبت اسم السورة بالخط الرقعة، وعدد الآيات والركوعات بالخط الأندلسي. وكله على الحاسوب.

2. مقدمة السورة: قبل شروعه بتفسير آيات السورة، يتحدث المفسر بمقدمة كل سورة يفسرها مما يأتي:

أ. مكية أو مدنية: يوضح المفسر مكية أو مدنية السورة، وإن احتوت على بعض آيات مكية أو مدنية، مع ترجيح الخلافات إن وجدت، وأحياناً تحديد زمن نزول السورة، وترتيبها النزولي. وقد يتعرض لشبهات المستشرقين مع الرد عليها.

ب. أسماء السور وأحياناً سببها، وفضائلها إن وجدت. ولم يستعملها إلا في تفسيره لثلاث سور هي: سورة الفاتحة، وسورة الفلق، وسورة الإخلاص.

ج. المناسبة بين السورة وبين ما قبلها، إلا في سورة الفاتحة. وأحياناً يذكر المناسبة ما بين السورة وبعدها.

د. ملخص محتوى السورة: وهو تفسير يسير للسورة، يرمى فيه التقسيمات الموضوعية داخل السورة الواحدة.

3. الآية التي ينوي تفسيرها، وتكون هذه الآية بالخط العثماني مع رقمها.

4. شرح الكلمات: وتكون بعد عرضه للآية وقبل تفسيرها، يذكر فيها الألفاظ الغريبة الموجودة في الآية، أو التي يصعب فهمها، أو التي يريد أن يفسرها بوجه من وجوهها غير المعنى الظاهر من الآية. فإنه يعرض هذه الألفاظ تحت عنوان "شرح الكلمات" ويفسرها باستخدام المراجع اللغوية، وأحياناً المراجع النحوية، وقليلاً من كتب التفسير.

5. تفسير الآية: يفسر المفسر الآية تحت عنوان "التفسير" الذي يكون بعد آية، أو مجموعة من الآيات التي يريد تفسيرها.

سابعاً: الملاحق: أعدها الأستاذ سيد عبد الحي شاه (المسؤول عن التصنيف أو مصنفات الجماعة الأحمدية بباكستان) باللغة الأوردية، عندما نشر "التفسير الكبير" لأول مرة. وقد ترجمت إلى اللغة العربية عندما ترجم التفسير إلى العربية، مع عناية الشركة الناشئة لها.

تحتوي هذه الملحقات ما يلي:

1. فهرس المواضيع: فيه الموضوعات التي تحدث عنها المفسر بشير الدين محمود في تفسيره الكبير، بجانبها أرقام الصفحات التي تناولت ذلك الموضوع.

2. فهرس الأعلام (شعوب وشخصيات): وفيه أسماء الشعوب، والشخصيات التي ذكرها المفسر في تفسيره مع أرقام الصفحات.

3. فهرس الأعلام (الأماكن): وفيه أسماء المدن والبلاد، وأحياناً بعض أسماء القارات، والجبال، والأنهار البارزة، والأماكن المقدسة أو التاريخية التي ذكرها المفسر في تفسيره. مع أرقام صفحات كل منها.

4. المراجع والمصادر: اعتمد التفسير الكبير على ما يقارب (1438)⁽¹⁾ مرجعاً باللغات العربية والانجليزية والأوردية والفارسية في أجزاءه العشرة. مع أن هناك مصادر ومراجع تكررت في الأجزاء العشرة، سألقي الضوء على أهمها:

1. القرآن الكريم: المرجع الأساسي لهذا التفسير.
 2. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني: استخدمه المفسر كثيراً، في شرح معاني ألفاظ القرآن الكريم.
 3. السيرة النبوية لابن هشام: من أكثر المراجع التي اقتبس منها المفسر، عند عرضه أحداث السيرة في تفسيره.
 4. تفسير القرآن للمستشرق ويرى: استخدمه المفسر؛ لعرض شبهات المستشرق، من أجل الطعن بها والرد عليها، أثناء تفسيره للقرآن.
 5. مسند الإمام أحمد بن حنبل: من أكثر كتب التسعة اقتباساً منها، ومن أكثر كتب الستة اقتباساً منها: "سنن النسائي".
 6. تفسير "فتح البيان" للنواب صديق حسن خان، وتفسير "البحر المحيط" لابو حيان الأندلسي: من أكثر كتب التفسير مناقشة لها واقتباساً منها عند تفسيره للآيات.
- وغيرها العديد من الأبحاث العلمية وكتب المعتقدات اليهودية والنصرانية، باللغة الإنجليزية. وجميع كتب والده المرزا غلام أحمد، وتفسير "حقائق القرآن" لنور الدين القرشي، وتفسير "بيان القرآن" لمحمد علي، وبعض الكتب الهندوسية باللغة الأوردية. وفي الجزء الثامن فقط استخدم بعض المراجع الالكترونية.

(1) عدد المراجع في كل جزء: الجزء الأول:50، الجزء الثاني:133، الجزء الثالث:173، الجزء الرابع: 181، الجزء الخامس:161، الجزء السادس: 168، الجزء السابع: 164، الجزء الثامن: 147 مع المرجع الالكترونية، الجزء التاسع:136، الجزء العاشر: 125.

الفصل الثاني

منهج التفسير الكبير في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

المبحث الأول

منهج التفسير الكبير في التفسير بالمأثور

التفسير المأثور هو: ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وما نُقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.⁽¹⁾

وقد اعتمد كثير من المفسرين وخاصة الأوائل هذا النوع من التفسير، وعلى رأسهم شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت:310هـ). الذي قال عنه د. محمد حسين الذهبي⁽²⁾: "يُعتبر المرجع الأول والأهم للتفسير بالمأثور، وتلك ميزة لا نعرفها لغيره من كتب التفسير بالرواية"⁽³⁾. ثم يأتي تفسير ابن كثير (ت:774هـ) فهو أيضاً من أشهر كتب التفسير بالمأثور، وهو بذلك يأتي في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري⁽⁴⁾. ولا ننسى تفسير السيوطي (ت:911هـ) "الدُر المنثور في التفسير المأثور".

أما فيما يتعلق بمفكري الجماعة الأحمدية للقرآن الكريم فقد اعتمدوا التفسير بالرأي⁽⁵⁾، واستخدموا التفسير المأثور؛ لتوضيح تفسيراتهم للقرآن أو لتكون دليلاً على صحة تفسيراتهم، حتى جاء بشير الدين محمود فطّور منهجية تعامل الجماعة مع التفسير المأثور، ووضع بعض الطرق الجديدة في تفسيره الكبير، سنوضحها في هذه المطالب:

-
- (1) الذهبي، محمد حسين: **التفسير والمفسرون**. 3مج. (بلاط). القاهرة: مكتبة وهبة. (بلا.ت). (112/1).
 - (2) محمد حسين الذهبي (1915م-1977م): باحث مفسر من كبار علماء الأزهر، تخرج بكلية الشريعة، وحصل على العالمية بدرجة أستاذ. عيّن أول أمره إماماً وخطيباً ثم مدرساً بمعهد القاهرة، ثم أستاذاً بكلية أصول الدين بالأزهر، فوزيراً للأوقاف. اختطف وقتل، قيل لتذهب معالم السرقات التي كانت بيده وثائقها منذ كان وزيراً للأوقاف. له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: التفسير والمفسرون، مقدمة في علم التفسير وغيرها. ينظر: أباطة، نزار ومحمد المالح: **إتمام الأعلام**، ص231.
 - (3) الذهبي، محمد حسين: **التفسير والمفسرون**، (161/1).
 - (4) كفاي، محمد عبد السلام وعبد الله الشريف: **في علوم القرآن دراسات ومحاضرات**. (بلاط). بيروت: دار النهضة العربية. (بلا.ت). ص293.
 - (5) سيتم مناقشة ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

قال الإمام ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اُخْتَصِرَ من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر".⁽¹⁾

وعند الجماعة الأحمديّة تحدث المرزا غلام أحمد عن أهمية تفسير القرآن بالقرآن، فقال: "كيف نترك القرآن وشهاداته؟ وأيّ شهادة أكبر من شهادة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ فهل تريد -أصلحك الله- دليلاً أوضح من هذا؟ فالأنسب والأولى أن يُعْرَضَ غير القرآن على القرآن، ولو كان حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو كشف وليّ، أو إلهام قُطِبَ، فإن القرآن كتاب قد كَفَلَ اللهُ صحَّته، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾ (3). وعلى رغم من ذلك فقد كان مقلداً من تفسير القرآن بالقرآن، وغالب استخدامه لهذا التفسير في سبيل تدعيم وتقوية رأيه، كذلك نور الدين القرشي. إلى أن جاء بشير الدين محمود فأكثر من هذا اللون بل تعددت طرق استخدامه له، والتي يمكن بيانها في النقاط الآتية:

1. توضيح معنى مختصر لآية من القرآن، بآية أخرى فسرتها بشكل أشمل وأوضح.

مثال: قال بشير الدين محمود: ولم يكتف بقوله ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾ بل زاد وقال: ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾⁽⁴⁾... ما هي تلك النعمة؟ يجيب القرآن الكريم في موضع آخر: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁵⁾ (6).

2. بيان المعنى المشكل وتوضيحه من خلال آية قرآنية أخرى.

(1) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: ت(728هـ). مقدمة في أصول التفسير. (بلاط). لبنان: مكتبة الحياة. 1490-1980م. ص39.

(2) سورة الحجر: 9.

(3) القادياني، المرزا غلام أحمد: حمامة البشرى، ص43.

(4) سورة البقرة: 44.

(5) سورة المائدة: 20.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص231.

مثال: قال بشير الدين محمود: "﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (النحل:57). ليس المراد من هذه الآية أن الله تعالى سخط عليهم لأنهم يصفون لله البنات بدلاً من البنين، فإن الله تعالى يكره نسبة الذكور إليه كما يكره نسبة الإناث؛ إذ يقول في موضع آخر من القرآن الكريم ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِرُّ الْجِبَالِ هُدًى أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (مريم:90-91)".⁽¹⁾

3. الربط بين معاني كلمات مختلفة، ولكنها جاءت في آيات متشابهة.

مثال: قال بشير الدين محمود: "﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ (النبأ:35) قال الله تعالى في وصف الجنة في آية أخرى ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ (الطور:23)، فجاء هنا بكلمة {تأثيم} مكان {كذاباً} لبيّن أن الكذاب والتأثيم شيء واحد؛ ذلك لأن الكذاب يعني تكذيب الواحد الآخر، والتأثيم يعني تبادل الناس التهم فيما بينهم؛ فثبت أن كلتا الكلمتين بمعنى واحد".⁽²⁾

4. ما يؤخذ عليه، التفسير بالقرآن للاستدلال على صحة معتقداته.

مثال: يعتقد بشير الدين محمود أن الشياطين لا يمكن لها أن تسترق السمع من السماء فأول الآية التالية: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ وَشَهَابٌ مُّبِينٌ﴾ (الحجر:18)،⁽³⁾ ثم قال في تفسيرها: ... ﴿وَمَا تَزَلَّتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوفُونَ﴾ (الشعراء: 210-212).... فكيف يمكن لأحد -بعد قراءة هذه الأدلة القرآنية القوية- أن يتصور أن الشيطان يستطيع سماع أخبار السماء؟.⁽⁴⁾

وعرضت هذا المثال، حتى أبين أنه قد يشكل على المفسر تفسير آية معينة، فيعمد إلى تأويلها دون محاولة التوفيق بينها. فالآيات التي ذكرها في سورة الحجر تذكر محاولة الشياطين استراق السمع

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص283.

(2) بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1429هـ-2008م. ج8، ص73.

(3) أول (الشهاب) بمعنى النبي، و(الذين يسترقون السمع) هم أعداء الأنبياء الذين يأخذون وحي الله بغير حق شأن السارق الذي يأخذ مال غيره بدون حق. بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص50.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص47-59.

من الملائكة، ولكنهم يفشلون، بسبب الشهب، ويمكن تفسيره بآية ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾⁽¹⁾، وهناك آيات أخرى في سورة الجن توضح هذا⁽²⁾. أما الآيات في سورة الشعراء فهي توضح أن القرآن عندما تلقاه جبريل -عليه السلام-، تلقاه في مكان لا تصله الشياطين معزولين عنه، ويمكن أيضاً تفسير "معزولون" بمحجوبين بالشهب مرجومين كما ذكره الإمام البغوي في تفسيره.⁽³⁾

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة

يعدّ النبي -صلى الله عليه وسلم- المصدر الثاني لتفسير القرآن، فهو المبيّن للقرآن والموضح له بسنته الجامعة من قول أو فعل أو إقرار، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إليه إذا أشكل عليهم فهم آية من الآيات⁽⁴⁾، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁵⁾، وهذا يعني أنه لا يمكن الاستغناء عن البيان النبوي؛ لأنه لا أحد من خلق الله أعلم بمراد الله من رسوله -صلى الله عليه وسلم-.⁽⁶⁾

أما بشير الدين محمود فقد وضح أهمية تفسير القرآن بالسنة مدافعاً عنها⁽⁷⁾، ذاكراً بعض القواعد في علم الحديث في تفسيره الكبير⁽⁸⁾، وكان يكثر من ذكر الأحاديث والسيرة في تفسيره عندما يسهب في شرح موضوع ما، أما تفسير القرآن بالسنة، فقد فسر القرآن بالسنة، بيد أن له أخطاء كبيرة في مجال رد الروايات عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. والسبب هو ضعفه وجهله بالقواعد الأساسية في علم الجرح والتعديل.

(1) سورة الصافات: 10

(2) قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مِلمَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ آلآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ (سورة الجن: 8-9).

(3) ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء: معالم التنزيل في تفسير القرآن. ت(510هـ). كمج. تحقيق: عبد الرازق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. (480/3).

(4) معبد، محمد أحمد: نفحات من علوم القرآن. ط2. القاهرة: دار السلام. 1426هـ-2005م. ص129.

(5) سورة النحل: 64.

(6) ابن تيمية، فصول في التفسير، ص43.

(7) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص331-332.

(8) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص337-338.

أما منهجه وطريقته في تفسير القرآن بالسنة، فقد رصدها الباحث في عدة نقاط أهمها:

1- الاستشهاد بالأحاديث النبوية في تفسير القرآن.

مثال ذلك: قال المفسر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: 64): "البشرى المذكورة في الآية قد فُسرَت في العديد من الأحاديث الشريفة ومنها ما يلي:

الأول: عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: "الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له".⁽¹⁾

الثاني: عن أبي الدرداء قال: أتاه رجل فقال: ما تقول في قول الله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؟ قال: لقد سألت عن شيء ما سمعتُ أحداً سأل عنه بعد رجلٍ سأل رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- . قال: بشراهم في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم وتُرى له، وبشراهم في الآخرة الجنة"⁽²⁾ .
... عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر أنه قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه ويثنون عليه به؟ فقال: تلك عاجلُ بشرى المؤمن"⁽³⁾ ".⁽⁴⁾

2- محاولة التوفيق بين الأحاديث المشككة التي يذكرها في سياق تفسيره للآيات.

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: ت(261هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم). كمج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بلاط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (بلاط). كتاب الصلاة. باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود. رقم الحديث: (479). (1/ 348).
(2) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني: ت(241هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. 45مج. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. (بلام): مؤسسة الرسالة. 1421هـ-2001م. رقم الحديث: (27526). (45/ 515-516). قال شعيب الأرنؤوط: "صحيح من حديث أبي ذر، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين أبي صالح وأبي الدرداء، ورجال الإسناد ثقات رجال الشيخين". المرجع السابق. (45/ 516).
(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب إذا أتى على الصالح، رقم الحديث: (2642)، (4/ 2034): عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، قال: قيل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجلُ بشرى المؤمن»".
(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص142.

مثال ذلك: قال المفسر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَوْلًا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَازَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (سورة يونس: 98): كان يونس نبياً من أنبياء الله العظام عليهم السلام، وقد أكد القرآن الكريم في خمسة أماكن فيه بأن يونس نبي مرسل من عند الله تعالى... كما تذكر ذلك الأحاديث النبوية الشريفة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما ينبغي لأحد أن يقول إني خير من يونس بن متى"⁽¹⁾. ولا يظن أحد بذلك أنه -صلى الله عليه وسلم- لم يكن بأفضل من يونس -عليه السلام-، وإنما سبب قوله هذا -كما ذكر الشارحون أيضاً-⁽²⁾ أن النبي لم يكن قد أُخبر عندئذ بفضلته على سائر الأنبياء عليهم السلام، وبعد أن أخبره الله بذلك أعلن: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"⁽³⁾.⁽⁴⁾

3- تفسير كلمة أو مفردة موجودة في الآية من الحديث الشريف.

مثال ذلك: قال بشير الدين محمود في تفسيره لقوله تعالى {﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَفْعَلُ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة يونس: 106): "ليس المراد من الآية أن لا تدع الأشياء التي لا نفع فيها أو لا ضرر، بل الآية تؤكد على أن كل شيء ما خلا الله لا يملك في حد ذاته نفعاً ولا ضرراً، فلا تتوكل على ما سوى الله جلّ شأنه. و"الظالم" يعني هنا المشرك. وقد ورد

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: ت(256هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري). 9مج. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. (بلام): دار طوق النجاة. 1422هـ. كتاب حديث الأنبياء. باب قوله تعالى {وهل أتاك حديث موسى} (طه: 9). رقم الحديث: 3395. (153/4).

(2) ربما قصد بها بشير الدين محمود قول المباركفوري حيث قال: "فُلْتُ ضَمِيرُ أَنَا إِذَا عَادَ إِلَى النَّبِيِّ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ قَالَ ذَلِكَ تَوَاضُعًا إِنْ كَانَ قَالَهُ بَعْدَ أَنْ أُعْلِمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الْخَلْقِ فَفِيهِ أَنَّهُ لَا يُنَاسِبُهُ قَوْلُهُ فَقَدْ كَذَبَ". المباركفوري، أبو العلاء محمد عبد الرحمن: تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي. 10مج. (بلاط). بيروت: دار الكتب العلمية. (بلاط). (85/9).

(3) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: ت(273هـ). سنن ابن ماجه. كمج. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. (بلام): دار الرسالة العالمية. 1430هـ-2009م. كتاب الزهد. باب الشفاعة. رقم الحديث: 4308. (1440/2). قال الألباني: "حديث حسن". الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. 6مج. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. 1415هـ-1995م. (100/4)

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص175.

في الحديث الشريف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سُئِلَ مرةً عن الظلم فقال: الظلم يعني الشرك أيضاً⁽¹⁾.⁽²⁾

4- تفسير الآية بأحداث السيرة النبوية.

مثال ذلك: تفسير المفسر لقوله تعالى ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يونس: 16): "وهناك شهادة من النضر بن الحارث -وهو أحد التسعة المتآمرين على قتل النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ كانت قريش تتشاور مرة قبل موسم الحج وتقول: سوف تحضر القبائل للحج من خارج مكة، فماذا نقول لهم عن محمد؟ فأشار عليهم أحدهم سنقول: إنه كذاب ساحر. فوقف النضر في حماس وقال: لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً، حتى إذا رأيتم في صُدُغِيهِ الشَّيْبَ، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر. والله ما هو بساحر.⁽³⁾ هذه الرواية تتحلى بعدة مزايا ولطائف منها: (أولاً) إنها تتناول الحديث عن حياة النبي ما قبل دعواه، أي من الشباب إلى الكهولة دون الحديث عن صغره، إذ لا أحد من العقلاء يعترض على أفعال أحد في الصغر. (ثانياً) إنها تذكر بالتفصيل أخلاق النبي وخصوصياته. (ثالثاً) إنها شهادة شخص تأمر فيما بعد على قتل النبي -صلى الله عليه وسلم- ومات على كفره. (رابعاً) إنها تكشف لنا مدى ما كان لأخلاق النبي من تأثير عظيم في قلوب القوم".⁽⁴⁾

5- تفسير الآية بأحاديث ضعيفة أحياناً.

(1) ويقصد بها المفسر الرواية التي جاءت في صحيح البخاري في صحيحه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} [الأنعام: 82] إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: "لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ" [الأنعام: 82] بِشِرْكٍ، أَوْلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ". البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلاً} [النساء: 125]، رقم الحديث: (3360)، (141/4).

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص184.

(3) ينظر: ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: ت(151هـ). السير والمغازي. تحقيق: سهيل زكار. ط1. بيروت: دار الفكر. 1978م. ص200-201.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص69-70.

مثال ذلك: قال بشير الدين محمود في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (سورة العاديات: 6) ذلك أن من عادة البعض أنهم يسيئون إلى الله تعالى على كل صغيرة وكبيرة قائلين: ماذا أعطانا الله؟ وأي منة أنعمها علينا؟ لقد أعطى الأثرياء كل شيء، فلماذا نشكره؟ فإذا كان فقيراً قال: لماذا أصلي؟ فليُصل الأثرياء، وإذا كان ثرياً قال: ليس عندي الصحة كالتى أعطها الله الفقير، فلماذا أشكر ربي؟ فالفقير والغني كلاهما يسيئان إلى الله تعالى قائلين: ماذا منَّ به عليّ حتى أعبدته؟ ... فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قال: الكنود الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رِفْدَهُ⁽¹⁾. بيد أن قوله -صلى الله عليه وسلم- "الكنود: الذي يأكل وحده" له معانٍ أخرى أيضاً، وهو أنه متكبر، لأن المتكبر أيضاً لا يريد أن يشرك غيره في طعامه احتقاراً له⁽²⁾. وهذا الحديث الذي ذكره المفسر ضعيف جداً⁽³⁾.

6- رد الأحاديث أو الروايات بناءً على أسباب عقلية فقط، وليس بناءً على ضعفها.

مثال ذلك: قوله في تفسير سورة القدر: وقد ذكرت بعض الروايات الحديثية سبباً عجيباً لنزول هذه السورة، وهو أن الصحابة سمعوا من اليهود أن أربعة من الأنبياء عبدوا الله تعالى ثمانين سنة ولم يعصوه طرفة عين، وهم أيوب وزكريا وحزقيال ويوشع، فعجب الصحابة منهم وغبطوهم، فنزلت ﴿إِنَّا

(1) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: "حَدَّثَنَا عَلَانُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ مَاعِمَةُ، ثنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، ثنا أَبِي، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ عِنْدَهُ الْكَنُودُ قَالَ: «الْكَنُودُ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ»". الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي: ت(360هـ). المعجم الكبير. 25مج. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. (بلا.ت). باب الصاد. رقم الحديث: (7958). (8/ 245).

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص668.

(3) وقد خرج نبييل البصارة الكويتي في كتابه (أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري) (4101/6-4102) فقال: "ضعيف جداً".

أَنْزَلَتْهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ (1)، (2) ...
 أي أنكم تغبطونهم بعباداتهم دونما ارتكاب إثم ثمانين سنة، أما الإسلام فلو عبد فيه المرء ربه - سبحانه وتعالى - في ليلة القدر كانت عبادته فيها أفضل من عبادة ألف شهر والتي تساوي 83 سنة. وهذه الرواية ليست صحيحة في رأيي، والتسليم بها محال عقلاً؛ إذ كيف يمكن أن تُفضَّل عبادة عبدٍ ليلةً واحدة على عبادة شخص يعبد الله بصدقٍ ثمانين عاماً؟ (3). وهذه أدت إلى بعض الكوارث في تفسيره، عندما رد بعض الأحاديث الصحيحة، مع تفسيره بما يتعارض مع ظاهر القرآن (خير من ألف شهر). وخاصة عندما يتناول قضايا العقيدة والقصص، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصول القادمة.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

للصحابه رضوان الله عليهم مكانتهم في قلوب المسلمين، فهم من حملوا إلينا نبع النبوة الصافي وبلغوه إلى الناس من بعدهم، أما التابعون فهم الذين عايشوا الصحابة العدول عن الكذب وسمعوا من علمهم، وشهد لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالخيرية قائلاً: "خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ". (4)

ذهب أكثر المفسرين إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير كما قال د. محمد حسين الذهبي، وعلل ذلك بأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة، فلا مانع من الأخذ به إذا كان مما لا مجال

(1) سورة القدر: 1-3.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: "ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَرْبَعَةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدُوا اللَّهَ ثَمَانِينَ عَامًا، لَمْ يَعْصَوْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَذَكَرَ أَيُّوبَ وَزَكَرِيَّا وَحَزَقِيلَ بْنَ الْعُجُوزِ وَيُوشَعَ بْنَ نُونٍ قَالَ: فَعَجِبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عَجِبْتُ أُمَّتَكَ مِنْ عِبَادَةِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ثَمَانِينَ سَنَةً لَمْ يَعْصَوْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ". ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: ت(327هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط3. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1419هـ. سورة القدر. رقم الحديث: (19426)، (10/3452). وهذا الحديث ضعيف جداً لعدة أسباب أهمها: به موضع إرسال، فعلي بن عروة لم يسمع الحديث من النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما أنه "منكر الحديث". ينظر: الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، (6/356).

علي بن عروة دمشقي منكر الحديث.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص404.

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم الحديث: (2651)، (3/171).

للرأي فيه، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه، بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا أن نترك قوله ولا نعتد عليه. (1)

وقد اعتمد بشير الدين محمود في تفسيره على أقوال الصحابة والتابعين، ويظهر ذلك فيما يأتي:

1. تفسير بعض مفردات القرآن بأقوال الصحابة.

مثال ذلك: ذكر بشير الدين محمود في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: 27): "هذه الآيات تحوي أحكاماً رائعة تتعلق بالحياة المدنية، إذ يوصينا الله تعالى أن نستأذن أهل البيت قبل أن ندخل فيه. علماً أن المراد من الاستئناس أن نعلم ما إذا كان أهل البيت يريدون لقاءنا أم لا. كذلك يعني الاستئناس الاستئذان، فقد روي عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنه قال: "تستأنسوا معناه تستأذنوا" (2). (3)

2. جمع بعض أقوال الصحابة والتابعين للآية التي ينوي تفسيرها من التفاسير، والاستدلال بالقول الذي يراه صحيحاً أو الذي يتوافق مع رأيه.

مثال ذلك: قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [سورة البقرة: 65]: أخطأ بعض المفسرين في فهم هذه الآية فظنوا أن المعتدين في السبت مُسخوا قرده حقاً. ولكن هذا غير صحيح... يقول التابعي والمفسر الكبير مجاهد: "مُسخت قلوبهم ولم يُمسخوا قرده، وإنما هو مثل ضربه الله لهم" (4). وقال أبو العالية: معنى (قرده خاسئين)

(1) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص29-30.

(2) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى: ت(458هـ). شعب الإيمان. 14مج. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. ط1. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. 1423هـ-2003م. رقم الحديث: 8421. (208/11).

(3) بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 1427هـ-2006م. ج6، ص359-360.

(4) ينظر: المخزومي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي: ت(104هـ). تفسير مجاهد. تحقيق: محمد عبد السلام. ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة. 1989م. ص205.

أذلة صاغرين. وقال بنفس المعنى قتادةً وربيع وأبو مالك) (ابن كثير والدر المنثور)⁽¹⁾. وفي اللغة يقال: قَرَدَ فلان أي ذلَّ. وكذلك ذكر الإمام الراغب في مفرداته أن من العلماء من قال: جُعِلت أخلاقهم كأخلاقها أي القردة⁽²⁾. أما المراد الحقيقي من جعلهم قردة فقد ذكره القرآن المجيد كما يلي: أولاً: صاروا أذلاء مهانين...ثانياً: القرد حيوان مقلِّد... ثالثاً: القرد شيق إلى الشهوة الجنسية⁽³⁾. وهذه من المآخذ عليه؛ لأن هذا المعنى خلاف المعنى الظاهر من النص القرآني، ولا قرينة توجب صرف المعنى عن ظاهره.

3. رفعُ بعض الآثار التي تتحدث عن الأمور الغيبية ونسبتها للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

مثال ذلك: عندما فسر بشير الدين محمود آية ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة يونس: 62)، قال: "هذه الآية تصف أولياء الله تعالى بأنهم أرقى الناس كمالاً في الإيمان وأعلاهم درجةً في التقوى والصلاح. ولقد شرح النبي -صلى الله عليه وسلم- معنى الولاية شرحاً يبدو وكأنه تفسير لهذه الآية. يقول سيدنا محمد المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: "إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله، فيقومون بين يدي الله -عز وجل- ثلاثة أصناف. فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول: عبدي، لماذا عملت؟ فيقول: يا رب، خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها، وحوارها ونعيمها، وما أعددت لأهل طاعتك فيها، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري شوقاً إليها. قال: فيقول الله تعالى: عبدي، إنما عملت للجنة، هذه الجنة فادخلها، ومن فضلي عليك أي قد أعتقتك من النار، ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي. فيدخل هو ومن معه الجنة".⁽⁴⁾

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (186/1-187)، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: ت(911هـ). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. 8مج. (بلاط). بيروت: دار الفكر. (بلاط). (1/ 184).

(2) النص الأصلي للراغب في مفرداته: "وكذا أيضاً في الناس قوم إذا اعتبرت أخلاقهم وجدوا كالقردة والخنازير، وإن كانت صورهم صور الناس". الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص300.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص352.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص140.

فهذا الحديث لم يرد عن سيدنا محمد المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وقد تتبعته في كتب الحديث والتفسير⁽¹⁾ وأصله من تفسير ابن أبي حاتم، وكلهم أوقفوه على التابعي موسى بن أبي كثير أبو الصباح⁽²⁾. وقد ذكر المفسر أنه مأخوذ من "فتح البيان"، لكنني لم أجد هذا الحديث أصلاً في ذلك التفسير! صحيح أن هذا الأمر قد يكون قليلاً واكتشفته قدراً، ولكن لا أدري هل رفعه للنبي -صلى الله عليه وسلم- خطأ؛ لأنه لم يكن يعلم أن الموقوف لا يمكن أن يأخذ حكم المرفوع، أم أنه كان متعمداً!!

لكن، هذا المثال، يدل على ضعف المفسر في الجرح والتعديل، وعدم تمكنه منه. والأمثلة على عدم تمكنه كثيرة تصلح لعمل دراسة مستقلة فيها.⁽³⁾

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (2/458-459)، وأورده ابن كثير في تفسيره (4/240)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (8/358).

(2) موسى بن أبي كثير أبو الصباح الكوفي (ت:130)، صدوق، تكلم فيه ابن حبان، فقال: روى عنه الثوري، وأبو سنان الشيباني، وكان قد روى عن المشاهير المناكير، فلما كثر ذلك بطل الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات. الذهبي، ميزان الاعتدال، (4/218).

(3) من الأمثلة أيضاً: ما ذكره الباحث عند منهج المفسر في بيان معاني الألفاظ وغريبه، وذلك في المبحث الأول بالفصل الرابع من هذه الرسالة.

وينظر أيضاً للاستزادة: بشير الدين، التفسير الكبير، (8/491)، (10/481-482)، (10/627).

المبحث الثاني

منهج التفسير الكبير في التفسير بالرأي

المطلب الأول: موقف الجماعة الأحمديّة من التفسير بالرأي

يُطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأي، أي أصحاب القياس. والمراد بالرأي هنا "الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز تفسير القرآن بالرأي، فقوم تشدّدوا في ذلك فلم يجروا على تفسير شيء من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم، وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أدبياً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضي الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين.

وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأساً من أن يفسروا القرآن باجتهادهم.⁽¹⁾

لكن بشرط أن لا يصدر المفسر في تفسيره عن هوى في نفسه، فينزل التفسير على مذهبه وعقيدته، وأن لا يتعارض تفسيره مع اللغة، وأن لا يتعارض التفسير مع سياق الآيات الكريمة، وأن لا يخالف ما صح عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-.⁽²⁾

فمن فسر على هذه الشروط كان تفسيره جائزاً سائغاً مفيداً، وهو من النوع المحمود في التفسير بالرأي. وأما التفسير بالرأي المذموم، فهو أن يفسر القرآن بدون علم عنده أو يفسره حسب هواه ومقتضى مذهبه، مع جهله بمعرفة اللغة العربية أو التشريعات الإلهية، أو يحمل كلام الله تعالى

(1) ينظر: الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون، (1/183).

(2) ينظر: عباس، فضل حسن: اتقان البرهان في علوم القرآن. 2 مج. ط3. الأردن: دار النفائس. 2018م. (2/200).

على معنى لا يليق به، أو يخوض في الأشياء التي استأثر الله تعالى بعلمها، ويجزم بأن المراد من كلام الله كذا وكذا على غير حق.⁽¹⁾

وتعتمد الجماعة الأحمديّة على المنهج العقلي في التفسير، فيفسرون القرآن الكريم بناءً على مبادئهم وعقائد جماعتهم والقرائن العقلية، بدأ ذلك من لدن مؤسس جماعتهم المرزا غلام أحمد الذي كان يكثر من التفسير بالرأي قبل إعلانه عن تأسيس الجماعة، وأنه المهدي والمسيح الموعود، وذلك في كتابه "البراهين الأحمديّة"⁽²⁾ حيث برز عنده مساران في التفسير بالرأي، الأول: استنباط الفوائد وما تدل عليه الآيات⁽³⁾، والثاني: التأويل الفاسد كتأويل يد الله - عز وجل -⁽⁴⁾.

وعندما أعلن أنه المهدي والمسيح الموعود أغرق تفسيره بالتأويلات والاستعارات للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن الإمام المهدي، والمسيح عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، ودابة الأرض وغيرها.. بما يتفق وينسجم مع دعواه.

استمر التفسير بالرأي يتطور على يد نور الدين القرشي -الخليفة الأول- الذي فسر كثيراً من آيات القرآن الكريم في حياة المرزا غلام أحمد وبعدها بما يناسب دعواه الجديدة. وبالغ في تفسيره حتى

(1) ينظر: معبد، محمد أحمد: **نفحات من علوم القرآن**، ص 137.

(2) اسم الكتاب كاملاً: "البراهين الأحمديّة على حقيّة الكتاب الله القرآن والنبوة المحمديّة". ويهدف المرزا من خلاله تفنيد الأفكار الفاسدة والمعتقدات الباطلة -من وجهة نظره-، وبيان صدق الإسلام وعظمة الكتاب المجيد. ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: **البراهين الأحمديّة**، ص 3-26.

(3) مثال ذلك: قال المرزا: "{هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ}" (سورة البقرة: 185) أي أن القرآن يتحلى بثلاث صفات: أولاً: إنه يهدي الناس إلى علوم الدين التي جهلوا. ثانياً: يفصل العلوم التي كانت مجتمعة من قبل. ثالثاً: يميز الحق والباطل ببيان قول الفصل في الأمور التي حدث فيها اختلاف ونزاع". المرزا غلام أحمد، **البراهين الأحمديّة**، ص 264.

(4) قال المرزا: "{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۗ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ}" (سورة المائدة: 64) أي يقولون بأن كل ما يتحقق إنما يتحقق بمكائد الناس فقط، والله عاجز عن عمل أي شيء بقدرته. فقد صعد الله أيدي اليهود إلى الأبد، فإذا كانت أفكارهم ومكائدهم شيئاً يذكر فلينالوا حكومات الدنيا بقوتها... لن يعيشوا بشرف واحترام في أي بلد بل سيعيشون تحت سيطرة قوم آخرين بضعف وهوان وشقاء أبداً". (**البراهين الأحمديّة**، ص 282-283). ولكن ما تنبأ به المرزا لم يحدث، فقد أقام اليهود لهم دولة على أرض فلسطين عام 1948م، وتعتبر الآن من الدول المتقدمة (دول العالم الأول).

أوقفه المرزا غلام أحمد ذات مرة، فقال له: "ما الداعي لهذا التأويل؟"⁽¹⁾. رغم ذلك، فقد كان أكثر جدًا باستخدامه للرأي في تفسيره، لدرجة فاقت مؤسس الجماعة.

ورث المفسر بشير الدين محمود هذا الإرث من التفسير بالرأي، الذي لم يكتف به أو يقف عنده. بل ناقشه، وقارنه مع المأثور، وزاد عليه. ووضع منهجية في تفسيره يسير عليها مفسرو الجماعة إلى الآن، فضلاً عن التفسير بأرائه.

ويتبع مفسرو الجماعة الأحمديّة قاعدة عند تفسيرهم بالرأي، تبرز بوضوح عند المفسر بشير الدين محمود وهي أن يعتقد معنى من المعاني، ثم يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقد. ويكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي ذكره المفسر لغة، ولكنه غير مراد، وذلك كاللفظ المشترك الذي يُطلق في اللغة على معنيين أو أكثر. والمراد منه واحد بعينه، فيأتي المفسر فيحمله على معنى آخر من معانيه غير المعنى المراد⁽²⁾ ثم يستدل على ذلك المعنى بالمأثور في كثير من الأحيان، لكن ليس له علاقة بالمعنى الحقيقي الذي تضمنته الآية التي فسرها.

وهذا المنهج يوهم الذين ليس لديهم معرفة بتفسير الآية الحقيقي، أنه تفسير بالمأثور، لكن في حقيقة أمره هو تفسير بالرأي مدلس عليه بالمأثور.

(1) قال المفسر: "كان الخليفة الأول -رضي الله عنه- يقول في تفسير هذه الآية في أول أمره إن النار هنا نار المعارضة التي أبردها الله تعالى. وأتذكر أن شخصاً باسم عبد الغفور ارتد عن الإسلام عام 1903 ميلادي واعتنق الهندوسية، واختار لنفسه اسم "دهرمبال"، ثم كتب كتاباً بعنوان "ترك الإسلام". فقام الخليفة الأول -رضي الله عنه- بالرد عليه، وقد نُشر كتابه بعنوان "تور الدين". كانت مسودة كتابه تُقرأ على مسامح المسيح الموعود -عليه السلام- يومياً. ومن الاعتراضات التي أثارها "دهرمبال" في كتابه قوله بأن النار إذا كانت قد بردت على إبراهيم فعلاً، فلم لا تبرد على الآخرين؟ فردّ عليه الخليفة الأول -رضي الله عنه- بأن النار هنا ليست مادية، وإنما هي نار المعارضة. فقال له المسيح الموعود -عليه السلام-: ما الداعي لهذا التأويل؟". بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص707-708.

(2) وهي من أخطاء التفسير بالرأي التي ذكرها محمد حسين الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون" (200/1-201).

المطلب الثاني: ألوان التفسير بالرأي عند المفسر بشير الدين محمود (1)

أولاً: التأويل والمجاز

اختلف العلماء في وقوع المجاز في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تبعاً لخلافهم في وقوعه في اللغة، فالجمهور ذهبوا الى وقوعه في الكتاب والسنة، وذهب بعض العلماء الى إنكار وقوعه فيهما وإن لم يمنعوا وقوعه في اللغة، ومنهم: ابن تيمية وابن القيم. (2)

ويرى المفسر بشير الدين محمود أن جميع أقسام الوحي تتضمن الحقيقة والمجاز (3)، ودافع المفسر عن وجود المجاز في القرآن الكريم، وأشار إلى وجود قواعد لمعرفة المجاز والاستعارة، إلا أنه لم يذكرها. وبعد دراسة وتمحيص في تفسيره، وجدت أن إكثاره من تأويل الآيات القرآنية، يعود إلى ثلاثة أسباب:

1. قياس الآيات القرآنية بالعقل، فما لا يراه المفسر معقولاً -إذا تعارض النص مع عقله- سعى إلى تأويله.

2. إذا تعارض النص مع عقيدة والده مؤسس الجماعة الأحمدية (المرزا غلام احمد)، سعى إلى تأويله.

3. مجارة الفكر الغربي الحديث؛ ليبين أن القرآن الكريم صالح لهذا الزمان، وأحياناً في ردّ شبهات المستشرقين، فسعى إلى التأويل بشكل خاطئ.

والأمثلة كثيرة على كل نوع. لكن من أجل الاختصار، وجدت مثلاً يوضح الأسباب الثلاثة حيث قال المفسر: "فالمراد من الجن هنا أيضاً جن الإنس وليس كائنات سوى الإنسان. كما أنني لا أومن

(1) أثناء قراءتي للكتب التي تحدثت عن التفسير بالرأي، لفت نظري ما قام به الدكتور مساعد الطيار في كتابه "مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتربية والمفسر"، من جمع لأقسام وألوان التفسير بالرأي وترتيبها وتبويبها وتأصيلها بشكل وافٍ ودقيق. لهذا فإن جمعي لألوان التفسير بالرأي وتأصيلها في هذا المطلب، جاء محاكاة لمنهجه.

(2) عفانه، حسام الدين: الحقيقة والمجاز في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، ص116-120.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص621-623.

بالجن الذين يأتون الناس ويتلبسونهم⁽¹⁾. أتذكر أن أحد الإخوة كتَبَ مرة إلى المسيح الموعود -عليه السلام-⁽²⁾ بأن الجن يأتون إلى أخته ويتلبسونها، وأنهم مستعدون للإيمان بحضرته -عليه السلام-. فكتب له المسيح الموعود -عليه السلام- في الجواب أن يُبلغ رسالته لهؤلاء الجن كالاتي: ما الفائدة من مضايقة امرأة مسكينة؟ إذا كانوا يريدون مضايقة أحد فليذهبوا بالحري إلى الشيخ "محمد حسين البطالوي" أو الشيخ "ثناء الله الأمرتسري" ويضايقوهما⁽³⁾. إذًا، فليس هناك شيء من قبيل أولئك الجن الذين يؤمن بهم الناس عادة. لا شك أن بعض الناس من ذوي الثقافة الإنجليزية لا يؤمنون بالجن⁽⁴⁾.⁽⁵⁾

ومن أسباب استخدامه المجاز أيضاً، إظهار النقص أو المحذوف من الآية وكان شديد الاعتناء به⁽⁶⁾. مثاله: "﴿وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾"⁽⁷⁾ أي اسأل أهل القرية⁽⁸⁾. كما أن المفسر لا يؤمن بوجود زيادة حرف أو كلمة في القرآن، فقال: "لا يوجد في القرآن حرف زائد لا فائدة له"⁽⁹⁾.

من منهج المفسر بشير الدين محمود عند عرضه المجاز، استدلاله بالقران الكريم؛ لتوكيد المعنى المجازي في الآية. مثال: عندما فسر قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾⁽¹⁰⁾، قال: "وليس المراد من إحياء القرية إحياء أهلها، وإنما المراد عمرانها، كما قال القرآن في موضع آخر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً ميِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنْسَى كَثِيرًا﴾ (الفرقان: 48-49) وفي

(1) يرى وجود كائنات أخرى اسمها الجن نوع من الخرافة منافية للتفكير وهذا السبب الأول.

(2) يقصد به: المرزا غلام احمد.

(3) السبب الثاني: استدلال بقصة تظهر عدم ايمان والده بالجن.

(4) السبب الثالث: مجارة الفكر الغربي.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص432.

(6) السبب في اعتقادي، يكمن في توضيح معنى الآيات القرآنية لاتباعه الذين يتحدثون بالأوردية.

(7) سورة يوسف: 82.

(8) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص325.

(9) بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص451.

(10) سورة البقرة: 259.

موضع ثان: {وأحيينا به بلدة ميتا} (ق: 11).. أي بالمطر أحيينا البلدة الميتة. وإحياء المدينة يعني عمرانها وجلب الرفاهية والرخاء إلى أهلها⁽¹⁾. (2)

لكن مما يؤخذ عليه في التأويل والمجاز، هو كثرة تأويله للآيات القرآنية تأويلاً مخالفاً للصحيح، فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة⁽³⁾ من جهة. ومن جهة ثانية كثرة تأويلاته في أمور الغيبيات كالعرش، وبعض أحداث يوم القيامة، وبعض معجزات الأنبياء وغيرها...

مثال ذلك: قال المفسر: "فقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ زُرُّمُ الْمَقَابِرِ﴾⁽⁴⁾ إنما هو أسلوب للكلام ولا يعني مقابر مادية، وبماثلها قولنا: هذا الشعب قد مات، أو ذلك الشخص ليس بحي بل هو ميت، والمراد أنه لم تعد فيه الحيوية والصحة، بل مات من الناحية الأخلاقية والدينية والعائلية والسياسية⁽⁵⁾. وهذا مخالف لصحيح المأثور الذي يدعم معناها الظاهري الحقيقي، وينفي أية احتمالية، لأي معنى مجازي

ثانياً: الاستنباط

عملية الاستنباط فيها إعمال فكر ونظر وتدبر، فالاستنباط ربط كلام له معنى بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع الربط، كأن يكون بدلالة إشارة كالترسيخ الإشاري أو دلالة مفهوم، أو الاستنباط من ربط آيتين أو سورتين ببعضهما (المناسبات). وقد يكون استنباط حكم فقهي، أو يكون استنباط أدب تشريعي عام، أو يكون استنباط أدب أخلاقي في معاملة الناس، أو يكون استنباط فوائد تربوية تتعلق بتزكية النفوس، أو يكون استنباط فائدة علمية⁽⁶⁾.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص520.

(2) فيها مجاز مرسل من قبيل إطلاق المحل وإرادة الحال.

(3) فالتأويل الصحيح منه: الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد. شرح العقيدة الطحاوية، ص225.

(4) سورة النكاثر: 2.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص715.

(6) ينظر: الطيار، مساعد بن سليمان: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر. ط2. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. 1427هـ. ص159-ص199.

اعتنى المفسر بشير الدين محمود بالاستنباط اعتناءً بالغاً، وهذا يدل على مدى إعماله للفكر والنظر في الآيات. يلاحظ ذلك جلياً في:

1. الاستنباط بإعمال مفهوم المخالفة. مثال ذلك: قال المفسر: "وبقوله تعالى ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾⁽¹⁾ يوضح وجهة النظر الإسلامية حول الرقي المادي. فالإسلام لا ينهى عن الرقي المادي، وإنما يحذر من: (أولاً): أن يرى الإنسان الكفاية في المكاسب الدنيوية فقط، ويخلو قلبه من حب الله - سبحانه وتعالى - . (ثانياً): أن يكف عن التفكير في أي رقي روحاني بعد أن نال الرقي المادي، ويسكن للدنيا ويتوقف عندها. ويتقاعس عن السعي لمزيد من الرقي راضياً بما ناله".⁽²⁾

الحرص على استنباط الفوائد التربوية والآداب الأخلاقية في معاملة الناس، وتوجيه أفراد جماعته إليها. مثال ذلك: عند تفسيره لآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِينَ﴾⁽³⁾، قال: "ولقد ذكر الله هنا من علامات الجنة أن قلوب أهلها تكون خالية من حقد الآخرين. مما يعني أنه لن يدخل الجنة إلا من نزع من قلبه البغض والحقد ضد أخيه المؤمن في هذه الدنيا. لذا فمن واجب جماعتنا بل المسلمين جميعاً أن ينتفعوا من هذه الوصفة الإلهية لدخول الجنة، فلا يكتنوا في قلوبهم ضد أحد من غلٍّ ولا بغض".⁽⁴⁾

وكان المفسر شديد الحرص عليها في القصص القرآني. مثاله، قال المفسر: "ما أروع ما حرص عليه إبراهيم من آداب التحية والسلام مما يعلمنا القرآن بقوله ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾⁽⁵⁾ (النساء: 86) .. فالرسل دعوا له بقولهم {سلاماً}، وهي جملة فعلية كما شرحت آنفاً، فيرد عليهم إبراهيم بأفضل مما دعوا له حيث قال {سلامٌ}، وهي جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوى وأشد معنىً وتأكيدياً من الجملة الفعلية لأنها تدل على الدوام والاستمرار. كما تتضمن الآية درساً آخر في موضوع الضيافة. فما أن وصل الضيوف بيت إبراهيم حتى قام لتوّه فذبح عجلًا وقدمه إليهم شواءً طيباً، دون أن يسألهم ما إذا كانوا قد تناولوا الطعام، أو ما إذا سيأكلون الآن أم بعد قليل؟

(1) سورة يونس: 7.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص45.

(3) سورة الحجر: 47.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص131.

إن الضيافة من الآداب الإسلامية الأساسية، ولكن الواقع المؤسف هو أن المسلمين أخذوا يتهاونون فيها بتأثير الأمم الأخرى، مع أن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الصدد لا تزال أسوة حسنة لنا. لقد كان المصطفى -صلى الله عليه وسلم- متحلياً بجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة بشكل عام، ولكن إكرام الضيف كان من صفاته البارزة". (1)

2. استنباط بعض الحكم واللطائف من خلال دراسته للآيات. مثال ذلك: حاول المفسر أن يستنبط الحكمة من إنزال الله تعالى سورة تحمل اسم قبيلة قريش، وتبدأ بأول آية من آياتها بـ ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ (2)، فقال: لم يفعل أحد في العالم ما فعل أهل مكة؟ هل توجد في الدنيا قرية يعمل أهلها ما عملت قريش، فيكسب بعضهم الرزق ليطعموا البقية قائلين لهم: امكثوا مكانكم مطمئنين، فنحن نكسب لكم ونطعمكم... قد أشاد الله تعالى هنا بتضحية قريش تنبيهاً للمسلمين بأن أمة كافرة وثنية جاءت وسكنت في مكة، وقدمت لعمرانها تضحية مذهلة غير مسبوقه في تاريخ العالم كله. لا شك أن الله تعالى هو مَنْ وفَّقهم لذلك بقدرته وتصرفه، ولكن فضل الله عليكم عظيم أيضاً، فينبغي أن تتعظوا بهم وتقدموا في سبيل الإسلام مثل تضحيتهم. (3)

3. استنبط من الآيات الأدلة التي تفند زعم وأباطيل الفرق المبتدعة والمنحرفة. مثال ذلك: قال المفسر: "إن آية ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (4) تفند زعمي الشيعة كليهما؛ أعني أنها تبطل أولاً زعمهم أن أكثرية المؤمنين برسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانوا منافقين، إذ لم يؤمن به في الحقيقة إلا شخصان ونصف شخص؛ كما تبطل زعمهم أن علياً كان أحق بالخلافة، ولكن أبا بكر وعمر وعثمان غصبوا حقه". (5)

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص158.

(2) سورة قريش: 1.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص154-158.

(4) سورة المؤمنون: 1.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص145.

المبحث الثالث

ملامح التفسير بالرأي عند المفسر بشير الدين محمود

الناظر في هذا التفسير، يلحظ بعض الملامح التي ميزته في التفسير بالرأي، سنوضحها في المطالب الأربعة الآتية:

المطلب الأول: التأثير بمعتقدات وأقوال المرزا غلام أحمد

سعى المفسر إلى تفسير القرآن الكريم بما يتلاءم مع عقيدة جماعته (الجماعة الأحمدية) التي تؤمن بأن المرزا غلام أحمد هو المهدي والمسيح المحمدي الذي ظهر من أجل إحياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، كما أحيا النبي عيسى -عليه السلام- شريعة موسى -عليه السلام- قال المفسر: "إن من الظلم العظيم القول إنه لا ذَكَرَ لبعثة المسيح الموعود⁽¹⁾ في القرآن الكريم"⁽²⁾.

والتزم المفسر بشير الدين محمود بعقائد والده المرزا غلام أحمد (مؤسس الجماعة) عند تفسيره، سواء وافقت تلك العقائد التفسير المأثور: كتوحيد الألوهية والربوبية، أو خالفت التفسير المأثور: كالجن، وعلامات يوم القيامة وغيرها. كما تأثر تفسيره "التفسير الكبير" بتفسيرات وآراء والده المرزا غلام أحمد، وتأثر أيضاً بمحاولات المفسر، لوي معنى النصوص من أجل إثبات أن القرآن الكريم قد تحدث وأشار الى مؤسس الجماعة !! ورصد الباحث ذلك، بهذه النقاط التالية:

1. الاستشهاد بأقوال وسيرة المرزا غلام أحمد، عندما يفسر بعض الآيات.

مثال ذلك: قال المفسر بشير الدين محمود: "أما قوله تعالى {فحملته} ⁽³⁾ فالمراد من الحمل هنا الحمل الذي تم .. وهذا ما قال به سيدنا المسيح الموعود⁽⁴⁾ عليه الصلاة والسلام. فقد قال في كتابه "مواهب الرحمن" بكل وضوح وجلاء إن من عقائدنا أن المسيح قد وُلد من غير أب (مواهب الرحمن ص

(1) المقصود من "المسيح الموعود" هو: المرزا غلام أحمد.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص457-458

(3) الآية: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (سورة مريم: 22).

(4) يقصد به: المرزا غلام أحمد.

295). وكان حضرته -عليه السلام- يصرّح أنه ليس أمامنا إلا خياران اثنان: إما أن نسلم بأن المسيح -عليه السلام- (1) قد وُلد بأمر الله تعالى، وإما أن نقول إنه وُلد ولادة غير شرعية" (2).

2. يفسر الآية أحياناً بتفسيرات والده مؤسس الجماعة (المرزا غلام أحمد).

مثال ذلك: قال المفسر: "﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾" (3) قد تحققت في هذا العصر. المعنى الأول هو حين تُنشر الصحف وتُشاع، وقد تحققت هذه النبوءة باختراع المطابع لطبع الكتب والجرائد، وباختراع القطار الذي يوصل هذه المطبوعات إلى شتى أنحاء العالم. فهناك جرائد يُطبع منها حتى خمسة ملايين نسخة، كما تُطبع بعض الكتب بعشرة بل عشرين مليون نسخة. وهذا ما ورد في هذه الآية حيث تنبأت عن طبع الكتب والصحف ونشرها في العالم على نطاق واسع. والمعنى الثاني هو أن الصحف ستُبسّط وتُفتح، وقد تحققت هذه النبوءة أيضاً اليوم، حيث تُقرأ الكتب في هذا العصر بكثرة، كما أُنشئت مكتبات ضخمة يرتادها الناس لمطالعة الكتب والجرائد. كما يستعير أعضاؤها الكتب ليطلعوها في بيوتهم. باختصار قد فُتحت الكتب وبُسطت بدل أن تظل مغلقة، وصار للعلم رواجٌ في كل أنحاء العالم (4). وهذا تفسير المرزا غلام أحمد، حيث قال: "كثرة طباعة الكتب والمنشورات كما يتبين من الآية: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾" (5) فقد كثرت طباعة الكتب في هذا الزمن بسبب أدوات الطبع والنشر لدرجة لا نرى حاجة لبيانها" (6).

عجيب قولهم!! فهذه الآية تتحدث عن يوم القيامة وليست عن نشر الصحف في هذا الزمن، فتفسيرها المأثور (7): وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت عند الحساب (8). ومما يؤكد هذا المعنى أيضاً، سياق في الآية.

(1) يقصد به: النبي عيسى ابن مريم -عليه السلام-.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 5، ص 212.

(3) سورة التكوير: 10.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 8، ص 297.

(5) سورة التكوير: 10.

(6) القادياني، المرزا غلام أحمد: حقيقة الوحي، ص 218، وينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: التبليغ، ص 53.

(7) عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10]: "صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُمَلِّي مَا فِيهَا، ثُمَّ تُطَوَّى، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ [ص: 149] يَوْمَ الْقِيَامَةِ". الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي: ت (310هـ). جامع البيان في تأويل القرآن. 24 مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر. (بلا.م): مؤسسة الرسالة. 2000م. (148/24).

(8) الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير. ط9. القاهرة: دار الصابوني للنشر والتوزيع. (بلا.ت). (499/3).

3. يرى المفسر أحياناً معنى آخر للآية، غير الذي فسره مؤسس الجماعة. فيجعل تفسير مؤسس الجماعة من معاني الآية، ويضيف عليه تفسيره. لكن يستحيل على المفسر بشير الدين أن يكذب أو يطعن بمعنى فسر المرزا غلام أحمد، وإن خالفه في ذلك.

مثال ذلك: قال المفسر عند تفسيره لآية ﴿وَيَعْلَمُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾: "مؤسس الأحمدية سيدنا المسيح الموعود -عليه السلام - فقد تناول هذه الآية بالبحث المستفيض، موضحاً أن الروح المذكورة هنا هي الروح الإنسانية، وقد ذكر بهذا الصدد معارف عظيمة... لقد أثار الكتاب الآريون الهندوس كثيراً من الاعتراضات على جواب القرآن هذا، وقالوا: ليس في هذا الجواب ما يجعل اليهود يخجلون، إذ لم يكن جواباً معقولاً مفحماً. لقد سبق أن ذكرت أن أستاذي المحترم حضرة المولوي نور الدين -رضي الله عنه- فسّر الروح هنا بالوحي الإلهي، وقال: إن القرآن يعلن هنا أن الوحي ينزل بأمر الله تعالى، والداعي لنزول الوحي هو أنكم لم تؤتوا من العلم إلا قليلاً. فنقص العلم الإنساني استلزم أن يكمل الله علم الإنسان في الروحانيات بإعلام من عنده، ولذلك أنزل الوحي. ولقد سبق أن ذكرت أن بعضاً من المفسرين القدامى قد فسروا الروح هنا بالقرآن (البحر المحيط)⁽²⁾، وقولهم هذا مشابه لما ذكره أستاذي المولوي نور الدين، غير أن حضرته فسّر الروح بالوحي؛ وهذا المعنى أشمل وأوضح مما ذكره المفسرون الآخرون، كما أنه أكثر ملاءمةً للسياق. لطالما رأيتُ أن هذا هو المراد من الروح هنا، إلى أن قرأت بعضاً من أقوال مؤسس الأحمدية سيدنا المسيح الموعود -عليه السلام- قراءة عميقة، فعدلتُ رأبي بعض الشيء، وأدركت أن هذه الآية تشير إلى الروح الإنسانية أيضاً. ونظراً إلى هذا المعنى تصبح مفاهيم هذه الآية واسعة ولطيفة للغاية.. كما سيتبين من ذلك أن الذين اعتبروا الروح هنا بمعنى الوحي الإلهي أو القرآن أيضاً لم يجانبوا الصواب، بل أصابوا كبد الحقيقة"⁽³⁾.

(1) سورة الإسراء: 85.

(2) ينظر: أبو حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف: ت(745هـ—). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. (بلاط). بيروت: دار الفكر. 1420هـ. (106/7).

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص578.

4. يذكر المفسر المعنى المأثور للآية عند تفسيرها، لكنه يذكر معها أيضاً معنى يشير به إلى المرزا غلام أحمد.

مثال ذلك: قال المفسر: "أما قوله تعالى ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾⁽¹⁾.. يعني "المقام المحمود" مقام الشفاعة أيضاً، إذ الثابت من الحديث أن كافة الأمم سوف ترجع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة يائسةً من أنبيائها، وتتوسل إليه، فيشفع. (2) وكان الله تعالى سيدفع هكذا سائر الأمم التي كانت تسب النبي إلى تعظيمه -صلى الله عليه وسلم-. ولا شك أن هذا مقام سامٍ جداً. وعندني أن "المقام المحمود" إشارة إلى ظهور الإمام المهدي⁽³⁾ أيضاً. ذلك أن من علامات زمن ظهور الإمام المهدي إعراض المسلمين عن تعاليم الإسلام وتمادي الكفار في كفرهم، وفي مثل ذلك الوقت سيبعث الله ذلك البطل الذي سيوقف مجرى تلك الشتائم والسباب ضد النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحوّلها إلى المدح والثناء، تحقيقاً للوعد الإلهي لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: {عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}. ولإسهام في هذه الخدمة المباركة قد حدّث يوماً في السنة للاحتفال بالسيرة النبوية، حيث يعبر فيه الخطباء من شتى الديانات والمِلل عن انطباعاتهم القلبية حول سيرة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-. (4)

5. تفسير بعض مبهمات القرآن الكريم على أنها مؤسس الجماعة (المرزا غلام أحمد).

مثال ذلك: عندما فسر آية ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾⁽⁵⁾. فسر معنى "وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ"، بقوله: لقد تضاربت آراء المفسرين حول هذه الآية، فقال بعضهم إن المراد من قوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ} هم المؤمنون، والمراد من الشاهد هو الرسول -صلى الله عليه وسلم-. ولكن هذا المعنى باطل ومخالف للعقل،

(1) سورة الإسراء: 79.

(2) أخرج الإمام البخاري في صحيحه، من كتاب التفسير، باب {لُذْرِيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: 3]، ورقمه (4712)، (85/6)، حديثاً طويلاً عن الشفاعة، أهم مقطع فيه: "ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعُ رَأْسَكَ سَلِّ نُعْطَهُ، وَاشْفَعْ نُشْفَعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ".

(3) يقصد بالإمام المهدي: المرزا غلام أحمد.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص567-568.

(5) سورة هود: 17.

لأن الرسول كان أولاً، ثم جاء المؤمنون به فيما بعد. ويرى الآخرون أن الشاهد هو أبو بكر أو علي رضي الله عنهما. لكن هذا أيضاً خطأ... الواقع أن الآية تتحدث عن بعثة الإمام المهدي والمسيح الموعود -عليه السلام-⁽¹⁾، إذ كان مقدراً له أن ينزل من عند الله تعالى⁽²⁾ بنفس الطريقة التي نزل بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- على بيّنة من ربه. وكانت الغاية من بعثته أن يقوم شاهداً على صدق الإسلام بآيات سماوية ومعجزات جديدة، في زمن سيصبح فيه صدق الإسلام وتأثيره الروحاني هدفاً لهجوم الأعداء من شتى الطوائف ومختلف⁽³⁾.

6. يفسر الآية بإلهامات المرزا غلام أحمد التي ادعاها، وأحياناً يقصر التفسير على ذلك المعنى.

مثال ذلك: قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾⁽⁴⁾.

فسر بشير الدين محمود "الطارق" الأولى بأنها: المرزا غلام أحمد، و"الطارق" الثانية بأنها: إشارة إلى انتشار وانكشاف النور المحمدي في العالم ثانية بواسطته.⁽⁵⁾

وسبب هذا التفسير؛ تفسيره للآية بإلهام تلقاه والده المرزا غلام أحمد -كما يدعي-، فقال: "من أسماء المسيح الموعود -عليه السلام- الطارق، حيث نجد أول وحي تلقاه -عليه السلام- هو: "والسمااء والطارق". لقد تلقاه عند وفاة أبيه، وفهم منه دُنُوَّ أجل أبيه، إذ توفي في نفس اليوم ليلاً. ولكن من معاني الطارق أيضاً كوكب الصبح، فكأن الله طمأنه -عليه السلام- بنفس هذا الإلهام وقال لا

(1) يقصد به: المرزا غلام أحمد.

(2) يقصد المفسر بالنزول من عند الله: أن المرزا غلام أحمد سيُبعث للناس برسالة من عند الله، كما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم-!! وأطلق عليها لفظ "النزول" من باب الإستعارة.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص223.

(4) سورة الطارق: 1-2.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص494-498.

داعي للقلق فأنت الطارق.. حيث تكشف نور أبيك محمد -صلى الله عليه وسلم- (1)، فلماذا تحزن على وفاة أبيك المادي؟" (2).

وهذا التفسير مخالف لظاهر الآيات، وما جاءت به الآيات أن الطارق هو ﴿التَّجَمُّ الثَّقَابُ﴾ (3) وليس المرزا غلام أحمد!! فهو تفسير مخالف لصحيح المأثور (4)، الذي أجمع المفسرون عليه في تفسيراتهم (5)، مما يقطع على المفسر فرصة أي تأويلات لمعنى "الطارق" و"النجم الثاقب".

7. اعتماد فتاوى والده المرزا غلام أحمد (مؤسس الجماعة) كمصدر من مصادر التشريع.

قال المفسر بشير الدين محمود: "فلما ثبت شيء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسيح الموعود فلا يجوز أن نتبنى موقفاً يخالفه وإن لم نفهمه" (6).

مثال ذلك: قال المفسر: "فعلينا أن نقيسه بالحلال البيّن والحرام البيّن، فإن كان أشبه بالحلال أكلناه، وإن كان أشبه بالحرام تجنبناه. ومثال ذلك التبغ؛ فإن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمديّة سيدنا

(1) وهذا يكشف عن مفهوم، تحدث عنه المفسر في تفسيره وهو فهم الجماعة إلى اليوم، أن ذرية النبي -صلى الله عليه وسلم- وآله الذين نصلي عليهم في صلاتنا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم)، لا يقصد بها ذريته من ابنته فاطمة، بل هم أتباعه الروحانيين الذين يسعون إلى نشر الدين والإسلام، وأن المرزا غلام أحمد هو أسمى شخص من ذرية محمد -صلى الله عليه وسلم- الروحانية بحسب معتقدهم؛ لأنه أكثر الناس خدمة لدين الإسلام الذي بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- به، وأكثر حباً وقرباً له من وجه نظرهم. ينظر: بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج7، ص225-228. صحيح أن مفهوم أبوة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- لأمته قال بها بعض العلماء، منهم الألويسي حين قال: "استدراك من نفي الأبوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها حرمة المصاهرة ونحوها إلى إثبات الأبوة المجازية اللغوية التي هي من شأن الرسول عليه الصلاة والسلام وتقتضي التوقير من جانبهم والشفقة من جانبه صلى الله عليه وسلم" (الألويسي، **روح المعاني**، (11 / 211)). أما المفاهيم المتعلقة بأن المرزا غلام أحمد أسمى أبناء النبي -صلى الله عليه وسلم- الروحانيين، فليس عليها أي دليل من القرآن والسنة أو حتى السلف، إنما مفاهيم اخترعتها الجماعة والمفسر؛ ليدلوا على أنهم ورثة هذا الدين، وورثة خدمته.

(2) بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج8، ص690-691.

(3) سورة الطارق: 3.

(4) ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} (الكهف:54)، رقم الحديث: 7347، (9 / 106).

(5) قال الصابوني في تفسيره "صفوة التفاسير": "قال المفسرون: سُمي النجم طارقاً لأنه إنما يظهر بالليل ويختفي بالنهار، وكل ما يجيء ليلاً فهو طارق {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ} استنهام للتفخيم والتعظيم أي وما الذي أعلمك يا محمد ما حقيقة هذا النجم؟ ثم فسره بقوله {النجم الثاقب} أي النجم المضيء الذي يثقب الظلام بضائه". الصابوني، **صفوة التفاسير**، (3 / 519).

(6) قراءة أدعية قرآنية في الركوع والسجود، فيديو من قناة (mtaonline3)، 2020/09/8،

<https://www.youtube.com/watch?v=czaPDEiUWwE&t=187s>

الإمام المهدي والمسيح الموعود -عليه السلام- لما سئل عن التبغ قال: إنه قد اخترع حديثاً، ولكن نظراً إلى تأثيره أرى أنه لو كان في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- لنهى عن تعاطيه".⁽¹⁾

المطلب الثاني: التفسير الإشاري

التفسير الإشاري: هو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهره بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الترابط بينها وبين المعنى الظاهر المراد.⁽²⁾

اهتمت بعض الفرق المبتدعة، مثل: الإمامية الإثنا عشرية والباطنية الإسماعيلية، وبعض الفرق الصوفية، ورجال الفلسفة الإسلامية، بهذا النوع من التفسير. وأكثروا من التفسير بالرمز، أو الإشارة، أو الباطن للقرآن الكريم. ويظهر أنها عدوى سرت إلى المسلمين من قدماء الفلاسفة، ثم تلتقتها هذه الفرق بصدر رحب، وتقبلتها بقبول حسن؛ لأنهم رأوا فيها عوناً كبيراً على ترويج بدعهم، ونشر عقائدهم بين المسلمين⁽³⁾. من أهم كتب التفسير الإشاري: تفسير النيسابوري، وتفسير الألوسي، وتفسير التستري، وتفسير محيي الدين بن عربي.⁽⁴⁾

يرى الإمام ابن القيم (ت: 751هـ) أن التفسير الإشاري يمكن القبول به إذا توافرت فيه أربعة شروط، وهي: "أن لا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه، وأن يكون في اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم. فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً"⁽⁵⁾.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص396.

(2) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، (261/2)، والزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (78/2)، البغا، مصطفى ديب ومحيي مستو: الواضح في علوم القرآن، ص239.

(3) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، (2/318).

(4) الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن. مج. 2. ط3. (بلا.م): مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. (بلا.ت). (82/2).

(5) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: ت(751هـ). التبيان في أقسام القرآن. تحقيق: محمد حامد الفقي. (بلا.ط). بيروت: دار المعرفة. (بلا.ت). ص79.

ويعدّ التفسير الإشاري من سمات تفسير الجماعة الأحمديّة البارزة للقرآن الكريم. ويعود السبب في ذلك إلى نور الدين القرشي (الخليفة الأول للجماعة) الذي أغرق تفسيره بالإشارات (1). فتأثر المفسر بشير الدين محمود بالتفسيرات الإشارية التي قالها معلمه نور الدين القرشي كثيراً. فمثلاً، أدرج المفسر تفسير نور الدين القرشي الإشاري لآية {والعصر} (2)، كمعنى من معاني "والعصر" العشرة التي ذكرها (3). فقال: "والمعنى الثاني للعصر "العشي إلى احمرار الشمس"، أي الجزء الآخر من النهار، بتعبير آخر الجزء الأخير من نهار الشمس المحمدية، وعليه فإنّ مفهوم قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (4) أنه عندما يأتي زمن الانحطاط على الإسلام في الزمن الأخير وبيعث الله تعالى محمداً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لإحياء دينه ثانية" (5).

بيد أن المفسر بشير الدين محمود كان أكثر انضباطاً من نور الدين القرشي في تفسيره الإشاري؛ لأنه جعل التفسير الإشاري معنى من معاني الآية في كثير من الأحيان، كما أنه ضبط تناوله للتفسير الإشاري، وهذا ما سأوضحه في أقسام التفسير الإشاري عند المفسر بشير الدين محمود، وهي أربعة أقسام:

القسم الأول: التفسير الإشاري التقليدي: وهو تفسير الآيات القرآنية بإشارات تدل على أحداث مستقبلية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، والمسلمين، والدين الإسلامي. أو بإشارات تدل على الأمم الماضية. وهذا النوع قديم، قال به الصحابي عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عندما ذكر أن سورة النصر إشارة إلى دنو أجل الرسول -صلى الله عليه وسلم- (6)، واستخدمه الكثير ممن فسروا بالإشارة.

(1) لا أقصد أنه أول من استعمل الإشارة في الجماعة الأحمديّة عند تفسيره للقرآن، لكنه أول من أكثر استخدامها في التفسير، فلم أقرئ تفسيراً مترجماً له من كتب الجماعة إلا ورأيت بعضاً من تفسير الإشاري فيه.

(2) سورة العصر: 1.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص734-ص753.

(4) سورة العصر: 1-2.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص740.

(6) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث: (4294)، (149/5).

وقد أكثر المفسر بشير الدين محمود من استخدام هذا النوع أو القسم، فلو جمعت تفسيره الإشاري لجميع الآيات، وتأملت بها، شعرت أن القرآن كله جاء من أجل أن يخاطب النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته، وأمنته، ونبوءات ستحدث لهم!!

في العموم، فإن جملة تفسيرات المفسر بهذا النوع مقبولة؛ لأنها استوفت الضوابط التي قال بها العلماء، كما احتوت على عديد من اللطائف والعظات.

ويكثر هذا النوع في قصص الأنبياء، مثال ذلك: قال المفسر: "أما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾⁽¹⁾ هنا فهو تحذير بأن التسعة من ثمود كما خططوا لقتل صالح، كذلك سيتأمر تسعة من أئمة الكفر على محمد -صلى الله عليه وسلم- أيضاً، فيقررون أن يقتله فتيان من جميع القبائل معاً. ولكن الله تعالى كما خيب أعداء صالح في خطتهم كذلك سيحبط خطة أئمة الكفر ضد محمد -صلى الله عليه وسلم-. وكما أنه تعالى نجى صالحاً -عليه السلام- والذين آمنوا معه من العذاب، وأخذهم إلى مكان محفوظ، كذلك سيخرج الله النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه من بين الأعداء ويذهب بهم إلى المدينة حيث يفتح عليهم أبواب النجاح والانتصار... فكما كان في زمن صالح -عليه السلام- تسعة هم رأس الفساد، كذلك كان في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- تسعة من أئمة الكفر وهم: أبو جهل الذي كان أهل مكة يسمونه أبا الحكم وكان رأس المفسدين المعاندين، وأبو لهب، وأممية بن خلف، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعتبة، وشيبة...".⁽²⁾

القسم الثاني: التفسير الإشاري للمرزا غلام أحمد وجماعته: وهو تفسير الآيات القرآنية بإشارات تدل على نبوءة المرزا غلام أحمد، وظهور الجماعة الأحمدية.

وهذا تفسير مرفوض جملة وتفصيلاً؛ لأنه فاسد في معناه، لا يوجد عليه دليل شرعي أو لغوي.

مثال ذلك: قال المفسر: "وهكذا قد بين الله تعالى في هذه السور كلتا النبوءتين: النبوءة المتعلقة بعيسى المسيح، المذكورة من قبل في قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (الانشقاق: 18)، وفي قوله

(1) سورة النمل، 48.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص477-478.

تعالى ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ﴾ (البروج:2)، أما النبوءة المتعلقة بالمهدي فقد ذُكرت هنا في هذه السورة في كلمة {الطارق} (1) (2).

ومثاله أيضاً قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١٠٠﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١٠١﴾﴾ (3): "كما يمكن أن يكون اليُسْران إشارةً إلى البعثة المحمدية والبعثة الأحمدية، حيث بيّن الله تعالى أن الكفر سيموج في تلك الفترة موجاً، ولكننا سنبعث محمداً مرةً أخرى بعثةً روحانية للقضاء على موجة الكفر" (4).

وتأثرت بعض القصص القرآنية بهذا النوع، وأبرزها: قصة أصحاب الأخدود، فيرى المفسر، أن القصة تشير إلى أعضاء الجماعة الأحمدية الذين سيعذبون بقتلهم جسدياً ونفسياً. (5)

القسم الثالث: التفسير الإشاري الروحي: استنباط الإشارات التي تدعو الإنسان إلى التفكير بالقضايا الإيمانية من الآيات القرآنية.

مثال ذلك: قال المفسر: "لقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- في قوله ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (6) أمراً غاية في اللطف، وهو أن سرعة حركة شيء ما تُعرف فقط بقانون النسبة بين الشيء المتحرك وما حوله من الأشياء. لولا وجود جرم فلكي متحرك آخر خارج الأرض نراه مرةً في موضع وتارةً في موضع آخر، لما تولد فينا إحساس بما يسمّى بالزمن أو الوقت.. ويذكر "السنين والحساب" نبّهنا الله تعالى إلى أمر روحاني لطيف ذلك أن السنين تساعد على معرفة مقدار الجهود المبذولة، وأما الحساب فيساعد على معرفة النتائج. فكل عمل يُعرف نجاحه وفشله بطريقتين: كم بُذل فيه من جهود، وما هي النتيجة، وبدون هذين الأمرين لا يمكن معرفة نجاح أو فشل الناس في أعمالهم. فهناك مثلاً شخص ينسج ثوباً في سنة، بينما ينسج غيره في ساعتين فقط". (7)

(1) سورة الطارق: 1.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص497.

(3) سورة الشرح: 5-6.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص203-204.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص475-484.

(6) سورة يونس: 5.

(7) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص40-41.

ومشكلة هذا التفسير، أنه يفتقد في كثير من الأحيان الترابط بينه وبين ظاهر النظم القرآني للآيات، لو أنه التزم بضوابط التفسير الإشاري فلا مانع منه.

لقد اجتهد المفسر في تطوير وتفسير القرآن بالتفسير الإشاري الروحي، فأسس نوعاً آخر من التفسير الإشاري الروحي، أسميه بالتفسير الإشاري الروحي الرمزي. والتفسير الإشاري الروحي الرمزي: هو استنباط الإشارات التي تدعو إلى القضايا الإيمانية من خلال رموز من مظاهر الطبيعة والكون تحتويها الآيات القرآنية.

بمعنى أدق، فقد اعتبر بعضاً من المظاهر الطبيعية والكونية إشارات لقضايا إيمانية، مثل: الشمس فإنها تشير إلى الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-⁽¹⁾، والقمر يشير إلى المرزا غلام أحمد⁽²⁾، والنجوم تشير إلى الأنبياء⁽³⁾، والمطر يشير إلى الوحي⁽⁴⁾، والنهر يشير إلى الأعمال⁽⁵⁾، والجبال تشير إلى أسياذ القوم⁽⁶⁾.

وهذا النوع من التفسير مردود لا يقبل به؛ لأنه يفتقد إلى الترابط الحقيقي بينه وبين معنى الآية، فقد أضفى على كثير من الآيات التي تحدث عن المظاهر الطبيعية هذه التفسيرات الإشارية. والخطأ الكبير في هذا التفسير، عندما يراد به وحده دون الظاهر.

مثال ذلك: قال المفسر: "تقول الآية التالية: ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَ فَأَتْبَعَهُ وَشَهَابٌ مُبِينٌ﴾⁽⁷⁾.. وهي أيضاً تؤكد أن الله تعالى إنما يتحدث هنا عن السماء والنظام الشمسي على سبيل التمثيل لا على وجه الحقيقة، إذ لا علاقة بين السماء المادية وبين استماع الكلام سرّاً وخفية.. ولكن لو اعتبرنا (السماء) سماء روحانية وأخذنا (الشهاب) بمعنى النبي الذي يأتي مؤيداً من السماء بالآيات البينة، ويكشف زيف الذين يريدون العبث بكلام الله تعالى.. سيكون مفهوم هذه الآية أن الوحي الإلهي يكون

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص45.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص460.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص50.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص487.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص546.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص40.

(7) سورة الحجر: 18.

مصوناً ومحفوظاً تماماً ما دام في السماء أو حينما ينزل على أجرام السماء الروحانية.. أي الأنبياء.. ولكن بعد أن ينزل إلى السماء الدنيا ويُعرض على البشر، ويخرج من غطاء الغيب إلى حيز الحاضر المشهود، ويصير كلاماً مسموعاً تتناقله ألسنة الناس.. فإن الشياطين أي أعداء الأنبياء يسرقونه.. بمعنى أنهم يتلقونه بغير حق أي يأخذونه مأخذاً غير حقيقي ويحرفونه، فعندئذ ينزل عليهم العذاب بواسطة الأنبياء عقاباً على جريمتهم⁽¹⁾!!

القسم الرابع: التفسير الإشاري بتعبير الرؤى: وهو التعامل مع النص القرآني باعتباره رؤيا أو كشف⁽²⁾، وتفسير رموز هذا النص بكتاب تعبیر الرؤى.

وقد استخدم المفسر هذا النوع عند تفسيره لبعض القصص القرآني، معتمداً في ذلك على كتاب (تعطير الأنام في تعبير المنام) للنايلسي⁽³⁾.

واعتبر المفسر، أن تفسير الرؤى أو الكشوف التي ادعى أنها في القرآن، على ثلاثة أصناف:

الصف الأول: ما تكون مناظره مطابقةً للواقع المادي، تماماً كما يرى الإنسان بالمرقب الأشياء البعيدة. وهذا الصف لا يؤول ولا يفسر من كتب تفسير الأحلام. ومن أمثلته: قصة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾⁽⁴⁾. يرى المفسر، بأن مروره على القرية كانت رؤيا وليس حقيقة⁽⁵⁾.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص47-59.

(2) الفرق بين الرؤيا والكشف كما عند المفسر: أن الرؤيا هي مشاهد ترى بالمنام، والكشف مشاهد ترى في اليقظة لصاحب الشأن، ولكنها غير حقيقية على أرض الواقع. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص611-618.

(3) عبد الغني النايلسي (1050-1143هـ): هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النايلسي. شاعر، عالم بالدين والأدب، مكث من التصنيف، متصوف. ولد ونشأ في دمشق. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي بها. له مصنفات كثيرة جداً، منها: "الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية"، و"تعطير الأنام في تعبير المنام". ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي: ت(1396هـ). الأعلام. ط15. (بلا.م): دار العلم للملايين. 2002م. (4/32).

(4) سورة البقرة: 259.

(5) ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: التفسير الكبير. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة.

1414هـ-1995م. ج2، ص590.

الصنف الثاني: ما يكون بعض مناظره مطابقاً للواقع المادي، وبعضه يتطلب التأويل من كتب تفسير الأحلام. ومن تطبيقاته على ذلك: حادثة الإسراء والمعراج للنبي صلى الله عليه وسلم - الذي يعده كشافاً⁽¹⁾.

يعتقد المفسر أن بعض مناظر الإسراء مطابقة للواقع، مثل: رؤيته قافلة قريش وأنها ستعود بيوم كذا وكذا، فلا تحتاج إلى تأويل. وبعضها الآخر عبارة عن رموز وإشارات تحتاج إلى تأويل، مثل: المسجد الأقصى، فهذه إشارة لتوجه النبي صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة وبناء المسجد النبوي.. إمامته بالأنبياء بشارة بأن دعوته لن تبقى منحصرة في العرب وحدهم، بل ستمتد إلى الشعوب الأخرى...⁽²⁾.

الصنف الثالث: ما تحتاج كل مناظره إلى التأويل من كتب تفسير الأحلام. مثال ذلك: قصة أصحاب الجنتين في سورة الكهف التي اعتبرها المفسر رؤيا⁽³⁾، وإن ما ورد من آياتها رموز.

ففسر قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾⁽⁴⁾، قائلاً: "وعندي، أننا إذا وجدنا في الكتب السماوية أحد الأمثلة الذي ليس غايته الفصاحة والبلاغة، بل يشير إلى موضوع عميق الغور، فمن الأفضل أن نستعين بعلم تعبير الرؤيا للوصول إلى حقيقته بدلاً من التفكير فيه بعقلية مادية؛ ذلك أن الرؤى هي أيضاً نوع من لغة الأمثال التي يستخدمها الله تعالى، ولا بد من التشابُه بين مثلين منبعهما واحد وهو الله تعالى. مما لا شك فيه أنه يمكننا أن نأخذ البستان بمعنى المال والثروة نظراً إلى الدنيا، كما يمكن تفسير النخل بمعنى الحماية، لأن الشجر يُستخدم كسياج يحدد أرض الزراع على ما يرام. لا جرم أنه يمكننا أن نقوم بهذا التأويل

(1) ينظر: بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج4، ص427-451. والرد عليه: أن معظم السلف والمسلمين وقول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة. ينظر: بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج4، ص427-451. ينظر: نخبة من العلماء، **كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**، ص189.

(2) ينظر: بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج4، ص427-451.

(3) قصة أصحاب الجنتين عند المفسر باختصار: يرى المفسر أن الحوار الذي دار بين صاحب البستان والرجل، هي لغة تمثيلية بين زعماء المسيحيين والمسلمين، بأن المسلمين يقولون لهم لا تتكبروا ولا تشركوا بسبب منحكم الله للمال. لكنهم لم يعتدوا بقولهم، فعقابهم الله بتبديد مالهم ودمار مدنهم ومبانيهم. ينظر: بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج4، ص679-695.

(4) سورة الكهف: 33.

اعتماداً على عقولنا، ولكن لم نستعين بعلم تعبير الرؤيا بهذا الصدد، ثم نتدبر في القرآن لنرى هل هو يؤيد المعنى الذي توصلنا إليه على ضوء علم التعبير أم لا؟ يقول علماء تعبير الرؤيا: "ربما دلّ البستانُ على الزوجة والولد والمال وطيب العيش وزوال الهموم، وربما دلّ على دار السلطان الجامعة للجيش والجنود" (تعطير الأنام: كلمة البستان) (1). (2)

الرد عليه، لم يذكر القرآن الكريم إلا ست رؤى، وهي: رؤى سيدنا إبراهيم ويوسف ومحمد -عليهم السلام-، ورؤيا الفتيان ورؤيا ملك مصر. واستطعنا معرفة ذلك، من خلال هذه الكلمات التي ذكرها القرآن: رؤيا، رؤياي، رؤياك، أريناك، رأيت، أرى، رأني. (3)

وجميع الرؤى التي ذكرها القرآن الكريم إما رؤيا نبي، فهي حق لا تحتاج إلى تأويل، وإما رؤى أولها وفسرها نبي. وليس كتب تعبير الأحلام!!

يبقى سؤال عندي: ما هي القرينة التي تحمل المفسر على اعتبار القصة القرآنية رؤيا أو حلمًا؟

بحثت طويلاً عن إجابة لهذا السؤال، فلم أرَ إلا هذا القول من المفسر: "لا شك أنه ليس هنا أية كلمة للرؤيا، ولكن من أساليب القرآن أنه يروي الرؤى دون ذكر كلمة الرؤيا.. فعندما حكى سيدنا يوسف لأبيه رؤياه التي رأى فيها النجوم والشمس والقمر تسجد له قال القرآن ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف:4) فلم يستخدم هنا كلمة الرؤيا" (4)!!

(1) قال النابلسي في كتابه "تعطير الأنام": "وربما دل البستان على الزوجة والولد والمال وطيب العيش وزوال الهموم والأنكاد وربما دل البستان على موضع الوليمة التي فيها الأطعمة والألوان المختلفة وعلى دار السلطان الجامعة للجيش والجنود المختلفة". النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني: تعطير الأنام في تعبير المنام، ط1. بيروت: دار الفكر. (بلا.ت). ص36.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص680.

(3) ينظر: صرصور، الرؤيا في القرآن الكريم، ص20-22.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص46.

والجواب عليه، عرفنا أن (رأيت) بمعنى الرؤيا بسبب: سياقها في النص⁽¹⁾، وتفسير القرآن لها في موضع آخر على لسان صاحب الرؤيا يوسف -عليه السلام- بأنها رؤيا⁽²⁾.

أيضاً إجماع تفسيرات الصحابة والتابعين بأن (رأيت) في هذه الآية بمعنى الرؤيا.⁽³⁾

ملخص القول: ليس هناك أي قرينة أو دليل، ولا حتى منهجية عند المفسر بشير الدين محمود تجعله يعتبر القصة القرآنية كرؤيا، إلا ما يراه هواه بعد رفضه المعنى الظاهر.

في الختام، هذا النوع من التفسير الإشاري نوع باطل ومردود؛ لمخالفة المفسر ضوابط التفسير الإشاري، وأهم هذه الضوابط: إرادته دون الظاهر، وليس له شاهد في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض، كذلك مخالفة الشروط الأربعة التي تحدث عنها ابن القيم -رحمه الله-.

المطلب الثالث: التفسير الباطني

التفسير الباطني: هو تفسير القرآن الكريم على معان مخالفة لظاهر القرآن الكريم، مما يجافي معاني الكلمات والجمل في القرآن الكريم، دون دليل أو شبهة من دليل.⁽⁴⁾

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية. فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً، إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن.⁽⁵⁾

(1) مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (سورة الفتح: 27).

(2) قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ فَدَجَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكَرْمٍ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة يوسف: 100).

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (554/15).

(4) البغا، مصطفى ومحيي مستو: الواضح في علوم القرآن، ص 238. وينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، (265/2).

(5) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (74/2-79).

وبالنظر في تفسير بشير الدين محمود، نجد أن بعض تفسيراته داخلته في هذا النوع من التفسير .

مثال ذلك، ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝١٨﴾⁽¹⁾، يقول: هذه الأمور الثلاثة لا تجتمع في العالم المادي أبداً، فلا يأتي بعد الشفق ليل شديد الظلام حتماً، ولا يطلع البدر بعد ليلة شديدة الظلام. فهل من مفسر يخبرني أيُّ بدر يطلع بعد الحالة المشار إليها في قوله تعالى {وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}؟ حيث ذكر الله هنا ظلمة الليل أولاً، ثم طلوع البدر. فثبت أن هذه الآيات لا تتحدث عن قاعدة الرقي التدريجي في العالم المادي، ولا تذكر أيَّ قانون مادي، وإنما تذكر أمراً روحانياً حيث تنبئ عن شتى مراحل انحطاط الإسلام ورقيه. فليس الليل هنا ليلاً مادياً، بل المقصود ليل روحاني، والفرق بين الليالي المادية والروحانية أن الليالي المادية لا تكون مظلمة قبل طلوع البدر، بل تكون مضيئة، حيث إن الليلتين الثانية عشرة والثالثة عشرة اللتين تسبقان طلوع البدر لا تكونان مظلمتين، بل تشتد الظلمة في الليلتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من الشهر. بينما يحدث العكس في العالم الروحاني، حيث يطلع البدر بعد أن تكون ليلة شديدة الظلام قد أحاطت بالعالم كله... لقد ذكر الله تعالى هنا ثلاثة أدوار تأتي على الإسلام، فأخبر عن فترة الشفق التي تأتي بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتكون طويلة، ثم تليها فترة قصيرة من الظلمة، ولكنها رغم قصرها تكون شديدة الظلام بحيث تجتمع فيها كل ظلمات الدنيا، وبعدها فجأةً يتحول قمرٌ من رجال استمدوا نورهم من الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى بدر كامل، فيحيط بهذه الليلة بحيث يبدد ظلمتها تماماً، لأن من شأن البدر الكامل أن يبدد الظلام كليةً. فهذا البدر الروحاني الكامل⁽²⁾ أيضاً سينشر نوره في العالم بحيث لن يشعر الناس بما يوجد بينهم وبين الرسول -صلى الله عليه وسلم- من بُعد الزمان.⁽³⁾

الرد عليه: الشفق معناه: الحمرة في الأفق من ناحية المغرب، يأتي بعدها الليل وما جمع من ظلمة أو نجوم⁽⁴⁾. وفي الليل يكون فيه القمر لكنه ليس ظاهراً على تمامه، بل يأخذ وقتاً حتى يكتمل؛ لذلك

(1) سورة الانشقاق: 16-18.

(2) يقصد به: والده المرزا غلام أحمد (مؤسس الجماعة الأحمديّة).

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص457-458.

(4) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (24/318-320).

ذكر الله هنا في الآية "إذا اتسق" بمعنى: إذا اجتمع القمر واستوى وتم نوره حتى أصبح بدرًا، ولم يقل إذا ظهر؛ لأن الظهور لا يأتي بالتدرّج بل مرة واحدة⁽¹⁾.

أما الرد على التفسير الباطني، فهو تفسير مرفوض محذور، قديماً وحديثاً. فقد وصف الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" هذا التفسير "بتأويل الجاهلين"⁽²⁾. وخطر هذا التأويل من وجهة نظر الباحث، أنه قد حَفِيَ لكتاب الله تعالى برفضه المعنى الظاهر الذي جاءت به الآيات وذكره المفسرون المشهود لهم بالعلم.

وقد وقع المفسر بشير الدين محمود في مثل هذا التفسير عدة مرات، منها: في سورة البروج⁽³⁾، وفي غيرها من القصص القرآنية⁽⁴⁾.

المطلب الرابع: المناسبات

حاول الباحث احتواء وترتيب وتلخيص دراسته في بحر مناسباته، تحت هذه الأقسام الأربعة:

القسم الأول: موقف المفسر بشير الدين محمود من المناسبات

1. دافع المفسر عن وجود المناسبات في الآيات القرآنية، مثبتاً ذلك بالأدلة. فقال: "بعض أعداء الإسلام، بل بعض المسلمين، بقولهم إنه قد تم تدوين القرآن الكريم حسب طول السور وقصرها، دون مراعاة أي ترتيب معنوي. وهذا الزعم باطل وبعيد عن الحقيقة تماماً، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: ترتيب السور في المصحف يبطل هذا الادعاء، فالسورة الأولى (الفاتحة) قصيرة تشتمل على سبع آيات فقط، والسورة الثانية (البقرة) طويلة جداً، وسورة النساء وهي الرابعة أطول من سورة آل عمران التي هي الثالثة، والسور التالية أيضاً تختلف من حيث الطول والقصر اختلافاً كبيراً. فالقول بأن السور مرتبة حسب طولها باطل.

(1) ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: ت(606هـ). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. (102 / 31).

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (2 / 152).

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 8، ص 472.

(4) مثال ذلك: الصنف الثالث من التفسير الإشاري بتعبير الرؤى، ينظر في هذا المبحث، ص 72.

ثانياً: جمعُ القرآن الكريم ليس من فعل البشر، بل ولا من فعل الرسول -صلى الله عليه وسلم-، نقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة: 17).. فالله تعالى يعلن هنا أن جمع القرآن الكريم ونشره في العالم هما من اختصاصه هو، وسوف يتم كلا الأمرين بحكمه وتحت إشرافه -سبحانه وتعالى-. فلا يمكن للمسلم أن يعتبر جمع القرآن وترتيبه من عمل إنسان". (1)

2. أعرب المفسر عن أسفه للمفسرين الذين أهملوا أو أنكروا وجود المناسبات، مبدياً إعجابه بتفسير أبو حيان الأندلسي.

قال المفسر: "المؤسف أن المسلمين قد أهملوا قضية ترتيب القرآن الكريم تماماً⁽²⁾، وأخذوا يقولون أن لا ترتيب فيه -والعياذ بالله- وكأنهم يقولون إننا نؤمن بأنه كلام الله تعالى ولكنه عارٍ عن ميزة الترتيب والترابط التي توجد حتى في كلام البشر! فتجد المفسرين القدامى لم يولوا موضوع ترتيب القرآن الكريم أدنى اهتمام إلا ابن حيان -رحمه الله- مع أن الله تعالى يبين هنا أن من فضائل القرآن الكريم أنه مرتب ترتيباً رائعاً ليتدبر فيه الناس ويتعظوا"⁽³⁾.

القسم الثاني: أنواع المناسبات في التفسير الكبير (4)

1. مناسبة أول سورة من القرآن (الفاتحة) بأخره من السور (الإخلاص، الفلق، الناس). قال المفسر: "جزءاً من مضامين سورة الفاتحة قد ورد في سورة الإخلاص، وجزءاً منها في سورة الفلق، وجزءاً منها في سورة الناس. وهكذا أعيد موضوع الفاتحة كله في هذه السور الثلاث الأخيرة. ومما يربط هذه السورة بسورة الإخلاص أن الله تعالى قد علمنا في الإخلاص درس التوحيد الكامل، وأخبرنا أن خلاصة القرآن كله أن الله أحد لا شريك له. أما سورتا الفلق والناس فأمر فيهما كل مسلم أن

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص81-83.

(2) لم يقصد المفسر التعميم، فقد ذكر في مواضع أخرى من التفسير جهد الإمام السيوطي في المناسبات، مشيداً بجهوده في كتابه "الإتقان"، لكنه انتقد هنا إهمال عموم المفسرين القدامى من الأخذ بالمناسبات. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص363.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص600.

(4) رصدت ما يقارب عشرة أنواع للمناسبات، وهذه أبرزها في تفسيره. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، (146/3)، (358/3)، (1/8)، (234/8).

يرفع راية توحيد الباري في زمنه، غير خائف من أي طاغية جبار عدو للإسلام، موقناً أن الكون كله يتحرك بإشارة الله الأحد وحده".⁽¹⁾

2. المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها. مثال ذلك: قال المفسر: "أما علاقة أوائل هذه السورة بأواخر سورة الإسراء فهي أيضاً واضحة تماماً، حيث قال الله تعالى في آخر الإسراء ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيراً﴾⁽²⁾ بينما قال في مستهل سورة الكهف مبيِّناً الغاية من نزول القرآن على محمد رسول الله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً﴾⁽³⁾ فختم تلك السورة بإعلانه أنه لا ولد لله تعالى، بينما بدأ هذه السورة بقوله إن محمداً رسول الله جاء ليعلن عن هلاك القوم الذين اتخذوا لله ولداً. والعلاقة الثانية تكمن في أن الله تعالى أعلن في أواخر السورة السابقة أن أهل العلم هم أولئك الذين يعبدون الله - سبحانه وتعالى - ويوقنون بوعوده، حيث قال ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾⁽⁴⁾، بينما أعلن في بداية هذه السورة أن الذين يتخذون لله ولداً لا يستحقون أن يُسموا أهل العلم، فقال ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾⁽⁵⁾؛ وكأنه تعالى بيّن في السورة الماضية تعريف العلم، أما في هذه السورة فبيّن تعريف الجهل".⁽⁶⁾

3. تبين الموضوع الأساسي الذي ربط بين جميع مواضع السورة. مثال ذلك: قال المفسر: تسمى هذه السورة "بني إسرائيل"، لأنها تقصّ علينا أحداث الأمة الإسرائيلية منبئةً أنه سيأتي على المسلمين ما أتى على بني إسرائيل. ذلك أن الله تعالى كما اعتبر نبينا مثيلاً لموسى عليهما السلام، فقد اعتبر الأمة الإسلامية مثيلاً للأمة الإسرائيلية، فكان لا بد أن يمر المسلمون بأحداث

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص676-677.

(2) سورة الاسراء 111.

(3) سورة الكهف:4.

(4) سورة الاسراء:107-108.

(5) سورة الكهف:4-5.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص623-624.

مماثلة لأحداث اليهود... ومن أسماء هذه السورة "الإسراء"، لأنها استهلّت بذكر حادث الإسراء، ولأنه موضوعها الأساسي.(1)

4. مناسبة الآية للآية التي قبلها. مثال ذلك: قال المفسر في تفسيره لآية ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُوَ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽²⁾: "لقد جاء النهي عن الزنا هنا بعد النهي عن قتل الأولاد فوراً⁽³⁾، وفيه إشارة لطيفة إلى أن الزنا أيضاً يؤدي إلى قتل الأولاد؛ وذلك لسببين: أولهما أن الناس يسعون عموماً لإجهاض جنين الحرام، وثانيهما أنه إذا لم يتم التخلص من جنين الحرام فإن الأب لا يساهم -في الغالب- في تنشئة وتربية ولده الحرام بشكل علني، ومن ثم يدمر مستقبل الطفل عموماً، ويعيش محروماً من الوارث الذي من واجبه أن يتولى رعايته".⁽⁴⁾

5. مناسبة اسم السورة لموضوعاتها. مثال ذلك: قال المفسر: اسمها يونس... لأن موضوعها مبنيٌّ على حادثه يونس -عليه السلام-. واعلموا أن تسمية أيّ سورة قرآنية بأسماء بعض الأنبياء أو الأشياء ليس أمراً اعتباطياً وكأنه لا سبب له ولا حكمة فيه، وإنما الهدف منه التذليل على أن موضوع تلك السورة أو السور يدور حول الحادث المذكور لذلك النبي أو حول صفات وأحوال ذلك الشيء⁽⁵⁾.

القسم الثالث: المآخذ⁽⁶⁾ على المناسبات التي ذكرها المفسر

1. ذكر المناسبة بناء على تفسير الآية المجازي أو الإشاري. فمثلاً: ذكر المفسر المناسبة بين سورة العاديات والقارعة، قائلاً: "إن السورة السابقة⁽⁷⁾ تتحدث عن رقي النبي -صلى الله عليه

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص412.

(2) سورة الاسراء: 32.

(3) يقصد بها: آية {ولا تقتلوا اولادكم خشية اطلاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا} (سورة الاسراء: 31).

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص497.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص2-3.

(6) عندما أتحدث عن المآخذ، لا أقصد الأخطاء التي وقع بها المفسر في محاولة كشفه للمعنى الصحيح من المناسبات التي بين الآيات أو بين السور. لكنني أقصد بها الأخطاء الكبيرة التي ضربت بعضاً من منهجه وحرفته عن جادة الصواب أثناء تناوله للمناسبات.

(7) يقصد بها: سورة العاديات.

وسلم - وغلبته المتعلقة في زمن بعثته، أما هذه السورة⁽¹⁾ فتتحدث عن رقي دينه - صلى الله عليه وسلم - في الزمن الأخير حين تأتي على الإسلام أيام المحن والمصائب⁽²⁾.

في الحقيقة، أن سورة العاديات لم تتحدث عن رقي النبي ولا عن غلبته. وسورة القارعة لم تتحدث عن المحن والمصائب التي ستصيب أو أصابت المسلمين في الزمن الأخير. فالآيات في سورة العاديات حذرت من يوم القيامة، بينما الآيات في سورة القارعة تحدثت عن أحداث وأحوال يوم القيامة. وسبب خطئه يعود إلى تفسيره الإشاري للسورتين.

2. يستخدم المناسبة في حرف معاني بعض الألفاظ الموجودة في الآية⁽³⁾. فمثلاً: حرف المفسر معنى "يوم القيامة" المقصود به يوم البعث والجزاء، إلى معنى آخر، وهو يوم فتح مكة!!

قال المفسر: "قال الله تعالى في سورة الممتحنة مستكراً ما كان يفعله بعض المسلمين أحياناً من إبلاغ أخبار إخوانهم إلى الكفار، فقال لهم محذراً: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّتَّةُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ لَنْ تَفْعَلَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الممتحنة: 2-3) والمراد من {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} هنا القرار الذي صدر يوم فتح مكة وبعده في هذه الدنيا... فلا داعي لتطبيقه على القيامة التي تكون بعد الموت"⁽⁴⁾.

صحيح أن بعض المفسرين ذكروا سبب نزول الآيات، وهي قصة حاطب بن أبي بلتعة، الذي كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفا لعثمان. فلما عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فتح مكة، بعث حاطب مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) يقصد بها: سورة القارعة.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص687.

(3) تلعب المناسبات دوراً عند المفسر في تحديد معنى اللفظ القرآني، فأحياناً يكون هذا الدور موافقاً للمعنى المأثور، مثاله: قال المفسر: "أما قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ فاعلم أن الصلاة تعني العبادة والدعاء أيضاً، وما دام الحديث هنا يدور حول الدعاء فالصلاة هنا تعني الدعاء" (بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص609). وأحياناً يكون مخالفاً للمعنى المأثور، وهذه من المآخذ التي قصدت بها في هذه النقطة.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص252-253.

من غزوهم⁽¹⁾. لكن لا يعني هذا، تفسير يوم القيامة بـ "فتح مكة"، فلو أنها يوم فتح مكة لذكر القرآن ذلك، بدلاً من يوم القيامة. كما أنه خالف المعنى الظاهري المراد من الآية، فيوم القيامة هو يوم البعث الذي أجمع عليه أصحاب التفسير المأثور.⁽²⁾

القسم الرابع: النظم القرآني والوحدة الموضوعية للقرآن الكريم

سعى المفسر بشير الدين محمود في تفسيره، إثبات العامود أو الوحدة الموضوعية في كل سورة، وتبيين النظم القرآني الذي يربط سور القرآن في سلسلة موضوع واحد.

يؤمن المفسر أن هذا النظم القرآني مكنون سره في سورة الفاتحة التي تختزل في آياتها السبع، كل الموضوعات، التي تحدثت عنها سور القرآن الكريم بالتفصيل بعد ذلك.⁽³⁾

وبعد هذه الآيات السبع، فإن مجمل مواضيعها عبارة عن سلسلة مكونة من سبع حلقات رئيسية⁽⁴⁾ مرتبطة بعضها ببعض، تبدأ من سورة البقرة وتنتهي إلى سورة الناس.⁽⁵⁾

فمثلاً: من سورة البقرة إلى سورة التوبة، حلقة واحدة تحمل موضوعاً واحداً، ثم من سورة يونس إلى سورة الكهف حلقة أخرى؛ لأنها تحمل موضوعاً آخر، لكنها مرتبطة بالحلقة الأولى.

قال المفسر: "في السور الثماني الأول قدم الله للناس شخصية الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وإنجازاته العظيمة إثباتاً لصدق الإسلام. كما دعاهم لاعتناقه ببيان عقائده السامية، وتعاليمه الجميلة،

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (111/8).

(2) فسرهما الإمام الطبري في تفسيره "جامع البيان" (316/23): "يقول تعالى ذكره: لا يدعونكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالموءدة، فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ، إن أنتم عصيتموه في الدنيا، وكفرتم به". ينظر أيضاً: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (115/8)، الصابوني، صفوة التفاسير (342/3).

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص550.

(4) الحلقات السبعة هي: الحلقة الأولى: من سورة البقرة إلى سورة التوبة، الحلقة الثانية: من سورة يونس إلى سورة الكهف، الحلقة الثالثة: من سورة مريم إلى سورة القصص، الحلقة الرابعة: من سورة العنكبوت إلى سورة الصافات، الحلقة الخامسة: من سورة {ص} إلى سورة فصلت، الحلقة السادسة: من سورة الشورى إلى سورة الحجرات، الحلقة السابعة: من سورة {ق} إلى سورة الناس. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص12-14.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص12-18.

وعرفانه الواسع وأوامره الحكيمة، وتأثيراته القوية الطيبة. أما مجموعة السور الأخرى -يونس وما بعدها- فقد نبّه فيها على ضرورة النبوة وأهمية الدين، وبعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- والأهداف المنوطة بمبعثه".⁽¹⁾

وأشار المفسر أيضاً، عند تفسيره بكل سورة. إلى محورها الرئيسي الذي تركز عليه السورة، وإلى الوحدة الموضوعية التي تربط مواضيع السورة المختلفة. ولكن بشكل غير مباشر أحياناً.

فمثلاً: يلاحظ أن المحور الذي يربط مواضيع سورة البقرة عند المفسر، هي: الآيات والدلائل، والبراهين والشريعة وحكمتها وأساليب التزكية والطهارة.⁽²⁾

أما المأخذ الهام، الذي أخذ عليه أثناء ممارسته لهذا التطبيق. فهو ربطه لآيات السورة بنظم أو عامود خاطئ لا يشير إلى موضوع الآيات، فينعكس ذلك بشكل سلبي على تفسيره للآيات، فيفسرها بمعاني خاطئة أو منحرفة عن معناها الصحيح؛ لتناسب ذلك النظم الخاطئ.

مثال ذلك: يرى المفسر أن نظم سورة الزلزلة أو موضوعها الرئيسي هو: "أن هذا القرآن أو هذا الرسول سيقوم بإصلاح الناس ثانية حين يقع في العالم زلزال عظيم في كل المجالات"⁽³⁾. مع أن موضوعها ونظمها الأساسي الذي تقوم عليه السورة، هو: أهوال يوم القيامة، وليس ما ذكره لا من قريب ولا من بعيد.

وهذا النظم الذي ذكره المفسر، أدى إلى انحراف تفسيره للسورة. فقد فسّر ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾⁽⁴⁾ أي رجف الأرض بسبب إثر قصف المدافع والطائرات والقنابل الديناميتية والذرية في كل بقعة من الأرض حتى ارتجفت ارتجافاً هائلاً، وترتجف الأرض ليل نهار بسبب القطارات والمصانع التي تعمل فوقها وتحتها.. ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾⁽⁵⁾ أن الأرض تطرد الملوك وعُلْيَةَ القوم، وهكذا سوف يُرْفَع عن الفقراء ذلك الثقل الذي فاق احتمالهم.. أيضاً أن الأرض تُخرج ما فيها من معادن وغيرها من الثروات والخيرات...!!⁽⁶⁾.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص6.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص44.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص546.

(4) سورة الزلزلة: 1.

(5) سورة الزلزلة: 2.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص556-625.

الفصل الثالث

منهج التفسير الكبير في علوم القرآن

المبحث الأول

الاهتمام بأسباب النزول

أسباب النزول: "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثةً عنه أو مبيّنةً لحكمه أيام وقوعه".⁽¹⁾

وقد تطرق المفسر بشير الدين محمود في تفسيره لأسباب النزول. إلا أنه لم يكثر منها لعدم "اهتمامه فيها كثيراً" كما قال⁽²⁾، ويعود ذلك لعدة أسباب وردت في تفسيره:

1. أسباب نزول السور ليست من الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما هي روايات عن الصحابة. يقول: "ولكن يجب أن نعلم أنه لم يُروَ شيء من الرسول -صلى الله عليه وسلم- في نزول السور، إنما هي روايات عن الصحابة، لذلك نجد فيها اختلافاً كبيراً أحياناً، إذ تذكر أحياناً عدّة أسباب نزولٍ للآية الواحدة"⁽³⁾.⁽⁴⁾

2. تشابه أسباب النزول لحدث ما، فيعتقد أنها سبب لنزول الآية.⁽⁵⁾

يقول: "سبب نزول آيةٍ من الآيات لا يعني أنها نزلت في ذلك الشخص أو في ذلك الحادث فعلاً، إنما المراد أن مضمونها ينطبق على ذلك الشخص أو الحادث أيضاً".⁽⁶⁾

3. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

يقول: "فمن الخطأ الفاحش تحديد معنى آية في حادث خاص بناءً على رواية تذكر سبب نزولها، لأن هذا بمثابة محاولة فاشلة لحصر بحر القرآن الكريم في كوب".⁽⁷⁾

(1) إسماعيل، محمد بكر: دراسات في علوم القرآن. ط2. (بلا.م): دار المنار. 1419هـ-1999م. ص152.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص 675.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص626-627.

(4) الرد عليه: قول الصحابة له حكم المرفوع إن صح.

(5) يحاول المفسر بشير الدين محمود أن يطرح هذا الرأي في سبيل توضيح مشكلة التعارض بين روايات أسباب النزول. وحقيقة الأمر أن التعارض منشؤه ضعف أسانيد أحاديث معينة بالمقام الأول.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص184.

(7) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص184.

ويمكن استنتاج معالم منهجه في التعامل مع أسباب النزول في النقاط الآتية:

أولاً: رفضه روايات أسباب النزول لتعارضها مع العقل.

وهنا يلاحظ بأنه يرفض بعض الروايات لا لخلل في سندها، ولكن لأنه يراها متناقضة مع العقل.

مثال ذلك، عندما ذكر أسباب نزول سورة الإخلاص، فقال: "سبب نزولها: هناك ثلاثة أنواع من الروايات بشأن نزول هذه السورة، تقول أولها أن مشركين قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- يا محمد، انسب لنا ربك؟ فأنزل الله سورة الإخلاص، فأخبر أنه ليس له أب وليس هو أب لأحد، ولا شبيه له ولا نَدَّ(1)... وبطلان هذه الرواية واضح، إذ من المحال عقلاً أن يثيروا هذا السؤال إلا إذا كان للآلهة التي يعبدونها نسب أيضاً، وحيث إنه لم يكن لها نسب، فكيف يحق لهم أن يقولوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- انسب لنا إلهك. فهذا السؤال من قبل كفار قريش مستبعد عقلاً. والرواية الثانية تقول بأن يهود خيبر جاءوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا أبا القاسم، خلق الله الملائكة من نور الحجاب.. فأخبرنا عن ربك، فلم يجبهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأتاه جبريل بهذه السورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فردَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- على سؤالهم (2). والتدبر في هذه الرواية يكشف أن من المحال عقلاً أن يوجه اليهود هذا السؤال إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهم يؤمنون بالله، ويعلمون أنه هو الخالق، فلا يمكن أن يسألوه: من أي شيء خلق -سبحانه وتعالى-. والرواية الثالثة تقول بأن هذا السؤال قد وجهه نصارى وفد نجران لما وفدوا إلى المدينة، فقالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم-: صِفْ لنا ربك، أمِنْ زبرجدٍ أم ياقوت أم ذهب أم فضة؟ فقال:

(1) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة: ت(279هـ). سنن الترمذي. كمج. تحقيق: أحمد شاكر وآخرون. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1395هـ-1975م. كتاب أبواب تفسير القرآن. باب ومن سورة الإخلاص. رقم الحديث: (3364). (451/5). قال الألباني: "ضعيف". ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (11/350).

(2) ينظر: أبو الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري: ت(369هـ). العظمة. كمج. تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. ط1. الرياض: دار العاصمة. 1408هـ. باب الأمر بالتفكر في آيات الله. رقم الحديث: (86). (370/1). قال الألباني: "ضعيف". ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (11/350).

إن ربي ليس من شيء، لأنه خالق الأشياء، فنزلت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.. (تفسير الرازي)⁽¹⁾. وهذه الرواية أيضا لا تصح عقلاً، لأن المسيحيين أيضا يؤمنون بالله. لا شك أنهم يشركون معه - سبحانه وتعالى - الإله الابن والإله روح القدس، غير أنهم يعلمون جيدا أن الإله الأب ليس من ذهب أو فضة أو ياقوت أو زبرجد. فتوجيه هذا السؤال من قبلهم محال عقلا. إذن، فهذه الروايات كلها عن سبب نزول سورة الإخلاص ظنيّة فقط، فليس أي من الأسباب المذكورة فيها يستحق أن يكون سبباً لنزول هذه السورة العظيمة"⁽²⁾.

4. تفسير الآية وفقاً لسبب النزول إذا صح السبب، ولم يتعارض مع رأيه.

مثال ذلك: قال المفسر بشير الدين محمود في قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾⁽³⁾: "أي أن من الصحابة من قد أثبت صحة دعوى إيمانه، بينما ينتظر بعضهم ليثبت ذلك. ورد في الحديث أن الصحابي مالك بن أنس الأنصاري -رضي الله عنه-⁽⁴⁾ لم يستطع أن يشارك في غزوة بدر، ولما سمع عن بطولات الصحابة الذين شهدوا بدرًا ثار حماسه فأخذ يمشي هنا وهناك وقال: لو أتاح الله لي الفرصة سأريكم كيف يضحى المؤمن..⁽⁵⁾ يقول المفسرون إن قول الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ نزل في أنس بن مالك. ورغم أنني لا أهتم بأسباب النزول كثيراً بيد أنه مما لا شك فيه أن حادثة مالك بن أنس قد وردت في التاريخ والحديث بتكرار وتبلغ كلمات القرآن الكريم من الوضوح والصراحة بحيث لا يسع المرء إلا الاعتراف بصحة سبب نزول هذه الآية"⁽⁶⁾.

(1) ذكره الرازي في تفسيره بسند مقطوع: رَوَى عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ وَقَدْ نَجَّرَانِ، فَقَالُوا: ... الخ. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، (357/32). وأخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات": "فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، صِبْ لَنَا رَبِّكَ الَّذِي بَعَثَكَ. [ص:39] فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: 2]". البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى: ت(458هـ). **الأسماء والصفات**. 2مج. تحقيق: عبد الله الحاشدي. ط1. جدة: مكتبة السوادى. 1993م. رقم الحديث: (606). (38 / 2). قال الألباني: 'ضعيف'. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (11 / 350).

(2) بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج10، ص651-652.

(3) سورة الأحزاب: 23.

(4) يقصد به الصحابي أنس بن النضر -رضي الله عنه-، ولكنه أخطأ.

(5) ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث: 2805، (19/4).

(6) بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج7، ص674-675.

5. ذكر سبب النزول دون التعليق عليه.

مثال ذلك: ذكر المفسر في أول سورة هود: هناك رواية عن ابن عباس أنها مكية ... وقد استثنى مقاتل ثلاث آيات: ... (1) "والثالثة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾" (2) نزلت في نبهان التمار (3). وعندما تطرق إلى تفسير الآية مفصلاً بعد ذلك، لم يتطرق إلى ذكر الرواية نهائياً، ولا حتى التلميح عنها لا من قريب ولا من بعيد. (4)

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص187.

(2) سورة هود: 114.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص187.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص349-350.

المبحث الثاني

موقفه من المكي والمدني

ذكر العلماء أقوالاً عديدة في تحديد المكي والمدني، بعضهم نظر في تقسيم المكي والمدني إلى المخاطبين، وبعضهم نظر إلى المكان، وآخرون نظروا إلى الزمان⁽¹⁾. إلا أن المفسر بشير الدين محمود -مما استنتجه من خلال عرضه وترجيحه لأدلة المكي والمدني- يعتبر المكي ما كان قبل الهجرة والمدني بعد الهجرة -أي أنه نظر إلى الزمان-. ويدل على ذلك ما قاله المفسر بشير الدين محمود عن سورة الناس: "هناك روايات تقول إنها نزلت في مكة، وروايات أخرى تقول إنها نزلت في المدينة. فبدلاً من أن نأخذ بعض هذه الروايات ونترك بعضها من دون دليل نقول: إما أنها نزلت في مكة، ثم نزلت في المدينة، أو أنها مدنية فقط، لأن القرآن اختتم في المدينة المنورة"⁽²⁾. لكنه اعتمد على "الروايات" في تحديد السورة إذا كانت مكية أو مدنية، لذلك يقوم بجمع أقوال المفسرين في المكي والمدني من كتب التفسير وذكرها في مطلع تفسير كل سورة⁽³⁾، وإن كان هناك خلاف بين الأقوال يسعى إلى الترجيح بينها ومثال ذلك، قوله عن سورة الرعد: "فالباحثون عامة يعتبرونها مكية، ويبدو أن البعض اعتبرها مدنية لوجود آيات فيها نزلت بالمدينة. واعلم أنه لا يوجد ضمن هذه الآراء أي قول لأي من أكابر الصحابة إلا علي الذي يراها مكية. فنبت أنها مكية كما تشير إلى ذلك مواضع السورة نفسها"⁽⁴⁾.

والملاحظ أن المفسر قد استعان بالمكي والمدني في تفسير الآيات، مثال ذلك: "هذه السورة⁽⁵⁾ مكية ولم يُرد الله تعالى فيها إثارة حفيظة أعداء الإسلام من دون داع، فلذلك عدّ عليهم مساوئهم باستعمال كلمات ذات معنيين حتى يتبادر إلى أذهانهم المعنى غير المقصود هنا، فلا تنثر ثوابهم، وإلا فالحق أن قوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾⁽⁶⁾ إشارة إلى أهل مكة الكافرين، والمعنى أنهم ناكرون جدا

(1) ينظر: عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، (1/380).

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص713.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص361-362.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص475.

(5) سورة العاديات.

(6) سورة العاديات:6.

للجميل، إذ ينكرون نِعَمَ الله تعالى ويظلمون الفقراء ولا يطعمون المساكين ويعتبرون الصدقة عبئاً، فلا يستحقّون عون الله تعالى"⁽¹⁾.

ويجدر التنبيه هنا أن المفسر حرص على رد شبهات المستشرقين في المكي والمدني، مثال ذلك: "أما القسيس "ويري" فقال أن "وليام موير" يرى أن سورة الإخلاص هي من أوائل السور نزولاً، بينما يرى "تولدكه" أنها نزلت في السنة الرابعة. ويرى "ويري" "ويري" أن رأي "وليام موير" أقرب إلى الصحة، لأن أسلوبها يدل على أنها من أوائل السور نزولاً. لقد قلت مراراً إن المفسرين يحدّدون زمن نزول السور بناءً على الروايات، أما المستشرقون فلا يبنون رأيهم على شهادة التاريخ، بل على مضمون السور وأسلوب عبارتها. والحق أنهم لا يقدرّون على فهم مضامين القرآن الكريم فهما صحيحاً، كما أنه ليس لديهم إلمام كاف بالعربية يمكنهم من أن يستنتجوا من أسلوب عبارات الآيات استنتاجاً سليماً. إن معرفتهم بالعربية ضئيلة جداً، فادعاهم بتحديد زمن نزول سور القرآن بناءً على أسلوبها ليس إلا مغالطة وتزييفاً"⁽²⁾.

والملاحظ من خلال تتبع السور التي قام بشير الدين محمود بتفسيرها، أنه لا يثبت آيات مكية في السور المدنية، وكذلك لا يثبت آيات مدنية في السور المكية.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص670.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص645-646.

المبحث الثالث

الأخذ بترتيب آي القرآن وسوره

هذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي تحدث عنها المفسر بشير الدين محمود في تفسيره، لذلك فلا بد أن أوضحها في مطلبين:

المطلب الأول: عدد الآيات وترتيبها في سورها

اهتم المفسر بشير الدين محمود بذكر عدد آيات و"ركوعات"⁽¹⁾ كل سورة في مستهل تفسيرها، وجمع جميع الأقوال للسور التي اختلف في عدد آياتها مع توضيح السبب، مثال ذلك، تفسيره لسورة المؤمنون، حيث قال: وعدد آياتها 119 عند البصريين و118 عند الكوفيين. ونحن أيضاً نرى أن عدد آياتها 119، ولكن هذا يرجع إلى اعتبارنا البسمة جزءاً من كل سورة... فإننا نتفق مع الكوفيين فيما يتعلق بالآيات التي تلي البسمة بأنها 118، أما عدد آيات هذه السورة كلها مع البسمة فهو 119 آية. بيد أن هذا الاختلاف بين الكوفيين والبصريين لا يعني أن هناك آية ناقصة أو زائدة في السورة في رأيهم، وإنما الواقع أن ما يعتبره أحد الفريقين آية واحدة يعدّه الفريق الآخر آيتين. فقله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾⁽²⁾ آية كاملة عند البصريين، ولكن الكوفيين يرون أنها ليست آية كاملة، بل هي جزء من الآية التالية، ولذلك قالوا إن عدد آيات هذه السورة ليس 119، بل 118 آية.⁽³⁾

ويرى المفسر أن سبب الاختلاف في عدد الآيات يرجع إلى القواعد النحوية في تحديد الفاصلة القرآنية، وليس إلى النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾. وهذه الاختلافات على ثلاثة أنواع: "أولها: أنهم اتفقوا على عدد الآيات في سورة ما، ولكنهم اختلفوا في تحديد طول الآيات، بمعنى أن أحد الفريقين

(1) الركوعات: جمع ركعة، هي أقسام صغيرة تناسب القراءة في ركعات الصلاة، وهي مألوفة في المصاحف المطبوعة خارج الجزيرة العربية، وخاصة في القارة الهندية وإيران وأفغانستان وإندونيسيا وبعض بلاد المغرب العربي. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص44.

(2) سورة المؤمنون: 45.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص135-136.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص3-4.

قال إن هذه العبارة تُعدُّ آيةً واحدة، في حين اعتبرها الآخر آيتين. وثانيها: أن بعضهم اعتقد أن عدد آيات سورة ما أقل من عددها المتعارف عليه. وثالثها: أن البعض قد ذكر عدد الآيات فوق العدد المتعارف عليه".⁽¹⁾

كما رد على شبهات المستشرقين والمسيحيين الذين يدعون تضارب أو نقصان القرآن الكريم؛ بسبب اختلاف عدد الآيات فيه، فقال: "ولكن هذا الاختلاف أو النقصان ليس حقيقياً كما أثبت من قبل، وإنما الأمر الواقع أن أحد الفريقين قد اعتبر جملة من القرآن الكريم آية كاملة نظراً إلى مضمونها، بينما لم يعتبرها الفريق الآخر آية كاملة بل جزءاً من الآية التالية، وهذا ما أدى إلى الاختلاف في بيان عدد آيات بعض السور، دون أي نقصان في محتواها. فكلا الفريقين يسلم بصحة كل لفظ من السورة، دون نقصان أو زيادة في محتوى القرآن كله. ولكن ماذا يفعل المرء تجاه هؤلاء المسيحيين الجاهلين الذين يدلون بأرائهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الفحص والتحري".⁽²⁾

وتؤمن الجماعة الأحمدية بمن فيهم المفسر بشير الدين محمود، أن ترتيب الآيات في المصحف هو أمر توقيفي من الرسول -صلى الله عليه وسلم-⁽³⁾، حيث قال في تفسيره: "أن كيفية نزول الآيات تحل مسألة نزول السور. فالثابت من الحديث أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كلما نزلت عليه آيات من القرآن كان يأمر كُتَّاب الوحي أن ضعوا آية كذا في المكان الفلاني، والآية الأخرى في مكان آخر".⁽⁴⁾

وهذا ما تراه واضحاً في المصاحف التي تطبعها الجماعة الأحمدية فهم لا يقدمون آية مكان آية، أو يبدلون آية مكان آية، أو يحذفون أي آية. بل وجدت أن الجماعة الأحمدية قد التزمت "بالفواصل القرآنية"⁽⁵⁾ وعدد الآيات في كل سورة، كما هو موجود في المصاحف التي تطبع من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، إلا أنهم يحتسبون البسمة كآية في كل سورة ما عدا سورة التوبة.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص3-4.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص135-136.

(3) وهذا ما أجمعت عليه الأمة، كما نقل هذا الإجماع الزركشي في كتابه البرهان (255/1) بقوله: "وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِتَرْتِيبِهِ فَأَمَّا الْآيَاتُ فِي كُلِّ سُورَةٍ وَضَعُ الْبَسْمَلَةِ أَوَّلَهَا فَتَرْتِيبُهَا تَوْقِيفِيٌّ بِلَا شَكٍّ وَلَا خِلَافٍ فِيهِ وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ تَعْكِسُهَا".

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص40.

(5) الفواصل جمع الفاصلة، وهي الكلمة التي تكون في آخر الآية القرآنية. الجرمي، إبراهيم محمد: معجم علوم القرآن. ط1.

دمشق: دار القلم. 2001م. ص: 207.

المطلب الثاني: ترتيب سور القرآن وأسمائها

وافق المفسر بشير الدين محمود رأي "الجمهور"⁽¹⁾ من العلماء الذين قالوا بأن ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي من الرسول صلى الله عليه وسلم، مشيراً إلى الحكمة من ترتيب السور من ناحية النزول ومن ناحية التدوين قائلاً: "فجعل تعالى بحكمته الكاملة ترتيباً لنزوله، وترتيباً آخر لتدوينه وتحريره. لقد كان ترتيبه النزولي بالنظر إلى حاجات القوم المعاصرين للقرآن الكريم دفعاً لشبهاتهم وحلاً لمسائلهم، أما ترتيبه من ناحية التدوين فكان بالنظر إلى حاجات الأجيال المسلمة التالية التي يجب أن تكون مطلعة على مسائل الدين إلى حد كبير".⁽²⁾

من جهة أخرى، يرى المفسر بشير الدين محمود أن أسماء السور كانت بأمر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، إذ قال: "لكني على يقين أن أسماء السور كانت بأمر الله تعالى"⁽³⁾. وهذا يعني أنه يعتقد بأنها توقيفية.

وفي ختام هذا المطلب لا بدّ من الإشارة إلى أن تسمية سور القرآن في المصاحف التي تطبعها الجماعة الأحمدية لا تختلف عن المصاحف التي تطبع من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إلا في أربعة سور، وهي: سورة الإسراء يسمونها بسورة بني إسرائيل، وسورة الإنسان يسمونها بسورة الدهر، وسورة الزلزلة يسمونها بسورة الزلزال، وسورة المسد يسمونها بسورة اللهب. ولعل سبب ذلك يرجع إلى تأثرهم بالمصاحف التي تطبع في جمهورية باكستان الإسلامية.

(1) عباس، فضل: اتقان البرهان في علوم القرآن، (1/442).

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص605.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص38.

المبحث الرابع

موقفه من رسم المصحف والأحرف السبعة والقراءات القرآنية

جمع الباحث هذه المواضيع الثلاثة في مطلب واحد نظراً؛ لقلة تعرض المفسر بشير الدين محمود لها في تفسيره، وشدة ارتباطها ببعضها البعض.

أولاً: رسم المصحف: ويراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في كتابة كلمات القرآن وحروفه⁽¹⁾. ويطلق عليه الرسم العثماني، أو الرسم المصحفي، أو الرسم السِّلفي⁽²⁾.

تعتمد الجماعة الأحمدية الرسم العثماني في طباعة مصاحفها. وقد أثنى المفسر بشير الدين محمود على سيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لقيامه بهذا الجهد فقال: "وصار العرب كلهم أمة واحدة، وتوحدت لغتهم حيث فهموا القراءة الحجازية تماماً ارتأى سيدنا عثمان -رضي الله عنه- وكان مصيباً في رأيه كل الصواب أن السماح بالقراءات المختلفة سيؤدي إلى الاختلاف، فألغى استعمال هذه القراءات⁽³⁾ استعمالاً عاماً ولم ير بأساً في بقائها محفوظةً في الكتب. فبنيّة حسنة منع عثمان -رضي الله عنه- من استخدام القراءات المختلفة، وجمعاً للعرب والعجم على قراءة واحدة، أجاز تداول المصاحف المطابقة للقراءة الأصلية الأولى للقرآن أعني القراءة الحجازية"⁽⁴⁾.

لكن المفسر بشير الدين محمود لم يتطرق أثناء تفسيره للأمر التي تتعلق برسم المصحف، مثل: حذف الألف من ياء النداء، وزيادة الألف بعد واو الجمع، وكتابة الألف واواً مثل "الصلوة، الزكوة"، وغيرها من قواعد الرسم⁽⁵⁾.

(1) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (369/1).

(2) ينظر: الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية. ط1. العراق: اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري. 1928م. ص157.

(3) الرد عليه: أن سيدنا عثمان -رضي الله عنه- لم يلغى القراءات فهي موجودة إلا الآن، بل ألغى الأحرف السبعة، ماعدا الحرف الموجود حالياً.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص65-73.

(5) لقد حاول العلماء حصر قواعد رسم المصحف في ست قواعد؛ وهي: الحذف، الزيادة، الهمز، البديل، الفصل والوصل، ما فيه قراءتان فيكتب على إحدهما. السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور: صفحات في علوم القراءات. ط1. (بلا.م): المكتبة الأمدادية. 1415هـ، ص169.

ثانياً: الأحرف السبعة

لم يتفق العلماء والمفسرون على تحديد ماهية الحروف السبعة، إذ نقل الإمام الزركشي أربعة عشر قولاً من أقوالهم لمعنى الحروف السبعة، من أهمها: (1)

1. أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب. فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة أزد، وربيعية، وبعضه بلغة هوازن، وسعد بن بكر. وكذلك سائر اللغات ومعانيها. وإلى هذا ذهب: أبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن يحيى ثعلب، وحكاه ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني، وحكاه بعضهم عن القاضي أبي بكر (2).

2. وقيل: إن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة، نحو أقبل وهلم وتعال وعجل وأسرع وأنظر وآخر وأمهل ونحوه، وكاللغات التي في أفّ ونحو ذلك. وذهب إليه جمهور أهل الفقه والحديث. منهم: سفيان بن عيينة، وابن وهب، ومحمد بن جرير الطبري، والطحاوي.

3. وقيل: إن المراد سبع قراءات وحكي عن الخليل بن أحمد والحرف هاهنا القراءة. وقد ضعف الزركشي هذا القول.

نجد أن المفسر بشير الدين محمود يرى بأن الحروف السبعة هي لهجات القبائل المختلفة -وهو أقرب إلى الرأي الأول- مطلقاً عليها اسم "القراءات القرآنية". مثال ذلك ما ذكره بعد الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّا الْقُرْآنَ أَنْزَلْنَا عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ" (3). فقال بعدها مباشرة: "لقد تبين من هنا أن القراءات -التي يؤسس عليها المستشرقون

(1) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/213-226).

(2) القاضي أبي بكر المروزي (200-292هـ): هو أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد بن إبراهيم الأموي المروزي، قاضي حمص ودمشق، وكان إماماً أكثر عنه النسائي، وله تصانيف منها: كتاب (العلم)، و(مسند عائشة)، وغير ذلك. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: ت(748هـ). سير أعلام النبلاء. 25مج. تحقيق: مجموعة من المحققين. 3. (بلا.م): مؤسسة الرسالة. 1985م. ، (13/527).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ جَرَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أُقْرَأُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُقْرَأُ بِهَا، وَكَدْتُ أَنْ أُعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أُقْرَأُ بِهَا، فَقَالَ لِي: «أُرْسِلْهُ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ»، فَقَرَأَ، قَالَ: «هَكَذَا أَنْزَلْتُ»، ثُمَّ قَالَ لِي: «اقْرَأْ»، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «هَكَذَا أَنْزَلْتُ إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَقْرَأُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ». البخاري، صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم، رقم الحديث: (2419)، (122/3).

والقسيسون مطاعنهم في القرآن الكريم بشكل كبير - ليست إلا الفروق الموجودة بين لهجات شتى القبائل العربية. وقد كثرت هذه الفروق في اللهجات في اللغة العربية بحكم كون الشعب العربي محاصراً بين العديد من الشعوب التي لها لغات مستقلة، إذ كانت حدود الجزيرة العربية تتصل بالحبشة من ناحية، وبفارس من ناحية أخرى، وكانت لهم علاقات باليهود والآراميين من ناحية ثالثة، وكانت لهم صلات بالهند من ناحية رابعة؛ فكان من المحتم أن تتأثر وتتفاعل لغة قوم تحاصرهم كل هذه الشعوب ذوات اللغات المختلفة من شتى الجهات. فكانت النتيجة أن بعض العرب كانوا لا ينطقون بعض الحروف نطقاً سليماً. فمثلاً كان بعضهم لا ينطق "ر" بل ينطقه "ل". أو إذا وجدوا بعض الصعوبة في نطق لفظ استخدموا مكانه لفظاً آخر... ولقد أوجد القرآن الكريم حلاً لهذه المعضلة حيث اختار حروفاً أو ألفاظاً بديلة نظراً إلى الاختلافات الموجودة في لهجات القبائل العربية المختلفة، مما مكّن جميع العرب من قراءة القرآن الكريم بيسر وسهولة. وبما أنه كان أسلوباً جديداً نادراً لم يفتن إليه أحد قبل القرآن الكريم".⁽¹⁾

ثالثاً: القراءات القرآنية: وهو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل.⁽²⁾

ذكر المفسر بشير الدين محمود الحكمة من تعدد القراءات القرآنية فقال: "الاختلاف في القراءات كان إما تقادياً لضرر الاختلاف الموجود بين لهجات القبائل المختلفة، أو توسيعاً لمعاني القرآن الكريم"⁽³⁾، موضحاً أن القراءات هي من عند الله تعالى.⁽⁴⁾

ومع هذا فلم تعتن الجماعة الأحمديّة بموضوع القراءات في تفسيرها، فلم أرَ لمؤسس الجماعة المرزا غلام أحمد إلا مثلاً واحداً تطرق فيه للقراءات، من خلال استعراضه لقراءة شاذة؛ ليدعم بها معتقده أن المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام- قد توفى.⁽⁵⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص512-513.

(2) ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف: ت(833هـ). منجد المقرئين ومرشد الطالبين. ط1. (بلا.م): دار الكتب العلمية. 1420هـ -1999م. ص9.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص73.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص512.

(5) هذا المثال من كتابه "حقيقة الوحي" ص41. حيث قال: "وكان يستنتج من الآية: [وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} (سورة النساء: 159) معنى خاطئاً يبعث السامع على الضحك لأنه كان يريد أن يثبت من هذه الآية أن الجميع سيؤمنون بعيسى قبل وفاته، بينما قد ورد في قراءة ثانية للآية نفسها "قبل موتهم" بدلا من "قبل موته". وهذه (القراءة الثانية للآية) قراءة أبي بن أبي كعب الشاذة. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (402/2).

كذلك المفسر بشير الدين محمود لم يتطرق إلى القراءات القرآنية في تفسيره للآيات إلا في ثلاثة مواضع: (1)

الموضع الأول: من سورة البقرة، في تفسيره لآية: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (2).

حيث تعرض لقراءة شاذة وهي كلمة "المَلِكِينَ" بكسر اللام بدلاً من فتحها (3)؛ ليدعم تفسيره بأن هاروت وماروت لم يكونا ملكين بل رجلين صالحين (4).

الموضع الثاني: من سورة هود، عند تفسيره لآية: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (5).

ذكر المفسر قراءة "مُجْرِبَهَا ومُرسَهَا" بضم الميمين (6) في شرح الكلمات، من باب التوسع في توضيح معاني هذه الكلمات. فقال المفسر بشير الدين محمود: "وفي قراءة: مُجْرِبَهَا ومُرسَهَا.. أي بسم الله الذي هو مجربها ومُرسَهَا" (7).

(1) تطرق المفسر في مواضع أخرى في تفسيره، بذكر بعض القراءات الشاذة؛ ليدعم بها مذهبه. مثل: {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} بفتح التاء. وذلك أثناء إسهابه بشرح موضوع يتعلق بالنبوة. ولكنني قصدت في الثلاث مواضع، هي أثناء تفسيره للآية القرآنية التي يبغى تفسيرها، ويقصد فيها تبين القراءات الأخرى غير قراءة حفص بن عاصم، التي تعتمد عليها الجماعة الأحمدية القاديانية والمفسر بشير الدين محمود في قراءة القرآن الكريم.

(2) سورة البقرة: 102.

(3) قرأ الجمهور: (المَلَكِينَ) بفتح اللام والكاف مثني (مَلِك) وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير (المَلِكَيْنِ) بكسر اللام مثني (مَلِك) قال ابن الجوزي: وقراءة الجمهور أصح. الصابوني، محمد علي: روائع البيان تفسير آيات الأحكام. ط3. دمشق: مكتبة الغزالي. 1980م. (71/1).

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص58.

(5) سورة هود: 41.

(6) وهذه قراءة جميع القراء ما عدا حمزة والكسائي وحفص، وهي من القراءات السبعة. ينظر: ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد: ت(403هـ). حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني. (بلاط). (بلاطم): دار الرسالة. (بلاط). ص340.

(7) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص252.

الموضع الثالث: من سورة الليل، في تفسيره لآية: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾⁽¹⁾.

ذكر المفسر رواية أبي الدرداء -رضي الله عنه-: "والذكر والأنثى"⁽²⁾ في تفسيره للآية؛ من أجل بيان الرواية التي ذكرت في مناسبة هذه الآية، والاسترسال بعدها في موضوع القراءات القرآنية وكشف اللبس عنها.⁽³⁾

(1) سورة الليل: 3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (170/6) رقم الحديث (4944): "حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَالَ: أَيْكُمْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالُوا: كُنَّا، قَالَ: فَأَيْكُمْ أَحْفَظُ؟ فَأَشَارُوا إِلَى عُلْقَمَةَ، قَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ؟ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل: 1]؟ قَالَ عُلْقَمَةُ: وَالذَّكَرِ وَالْأُنثَى، قَالَ: «أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَكَذَا»، وَهَوْلَاءِ يُرِيدُونِي عَلَى أَنْ أَقْرَأَ: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى} [الليل: 3] وَاللَّهُ لَا أَتَابِعُهُمْ". وللعلم هذه قراءة من القراءات الشاذة؛ لأنها غير متواترة وتخالف الجمهور فلا تعدّ قرآناً.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص65-ص73.

المبحث الخامس

الاهتمام بالحروف المقطعة في أوائل السور

الحروف المقطعة هي: حروف من حروف الهجاء، ذكرها القرآن في مطلع بعض السور، تتكون من حرف أو أكثر ينطق كل حرف بمفرده. وهي: الم، المص، الر، المر، كهيعص، طه، طس، طسم، حم، عسق، ق، ن. ذكرت في تسع وعشرين سورة. (1)

اختلف المفسرون في تفسير هذه المقطعات فمنهم من توقف عن تفسيرها والخوض فيها، ومنهم من قال: إنها أسماء السور، وهو قول كثير من المفسرين، ومنهم من قال إنها أسماء الله - عز وجل -، أو أن كل حرف من هذه الحروف دالٌّ على اسم من أسماء الله تعالى، وصفة من صفاته، ومنهم من قال: إن هذه الحروف أدوات تنبيه على غير ما ألف العرب مثل "ألا، وأما، والهاء من هذا وهؤلاء"، ومنهم من قال: إنها حروف تحدّى الله بها العرب، أي: إن هذا القرآن مؤلّفٌ من جنس هذه الحروف، فأتوا بشيء من مثله إن استطعتم، فإن لم تفعلوا -ولن تفعلوا- فآمنوا بأنه من عند الله (2). لكن المفسر بشير الدين محمود لم يبتعد كثيراً عن هذه الأقوال، فقد اعتمد على قول ابن عباس - رضي الله عنهما - في المقطعات كما نقلها الرازي في تفسيره (3)، لكن مع بعض الإضافات وفق منهجية أسس لها، والتي سأوضحها في هذه النقاط:

1. المقطعات القرآنية تدل على الصفات الإلهية أو أنها اختزال لها، أو أنها أحرف نداء مثل حرفي الألف والياء، أو أسماء مختصرة مثل "طه". واستدل على ذلك ببعض الروايات والأمثلة من كلام العرب. سأعرض مثالين على ذلك:

المثال الأول: قال المفسر: "وهناك معنى آخر للمقطعات مروى أيضاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو أنها تدل على بعض صفات البارئ -سبحانه وتعالى-. فقد روي عن أم هانئ، وهي

(1) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: ت(911هـ). الإتيان في علوم القرآن. 4مج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (بلاط). (بلام): الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1394هـ-1974م. (1/165). وينظر: ريان، أسماء: الحروف المقطعة في فواتح السور القرآنية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، ص12.

(2) ينظر: إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص206-213.

(3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (2/253)

ابنة عم النبي -صلى الله عليه وسلم-⁽¹⁾، أنه -صلى الله عليه وسلم- قال في "كهيعص" إن معناه: كافٍ وهادٍ وعالمٌ -أو عليمٌ- وصادقٌ (تفسير فتح البيان)⁽²⁾.. أي أن حرف الكاف ينوب عن الكافي، والهاء عن الهادي، والعين عن العالم أو العليم، والصاد عن الصادق⁽³⁾.

المثال الثاني: قال المفسر: "لقد قلنا من قبل لدى تفسير سورة البقرة أن {الم} هي من الحروف المقطعة، حيث إن الألف اختزل لـ "أنا"، واللام لـ "الله" والميم لـ "أعلم"، والمعنى "أنا الله أعلم"⁽⁴⁾. وسبب اختيار المفسر لحرف الألف الذي يأتي بالمقطعات القرآنية كحرف نداء -من وجهة نظر الباحث-؛ هو ذكر هذا الأمر كقول لابن عباس -رضي الله عنه- في تفسير الرازي: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْمِ الْمَ أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ.. وَفِي الرَّ أَنَا اللَّهُ أَرَى"⁽⁵⁾، وقد حقق هذا القول وليد بن أحمد الحسين⁽⁶⁾ قائلاً: "ولا يصح سنده إلى ابن عباس"⁽⁷⁾.

أما سبب اختيار المفسر لحرف الياء الذي يأتي بالمقطعات القرآنية كحرف نداء، فقد قال: "والحكمة عندي أن الياء تُستعمل للنداء أيضاً، وقد عدّها النبي -صلى الله عليه وسلم- هنا حرف النداء، معتبراً الصفتين الأوليين نتيجة للأخريين، والتقدير: أنت كافٍ، أنت هادٍ، يا عالمٌ يا صادق"⁽⁸⁾.

(1) ابنة أبي طالب -رضي الله عنها-.

(2) ذكره صديق حسن خان في تفسيره "فتح البيان في مقاصد القرآن" (8/ 133) عن أم هانئ من دون سند، إلا أن السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (5/ 478) أخرجه عن ابن مَرْذُوقٍ عَنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ {كِهْيَعَص} فَحَدَّثَ عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أُمِّ هَانِئٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "كَافٍ هَادٍ عَالِمٌ صَادِقٌ".

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص25-26.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص663.

(5) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (2/253).

(6) وليد بن أحمد بن صالح بن محمد الحسين: ولد في مدينة الزبير بالعراق عام 1964م، درس الفقه وأصوله والعقيدة والحديث والنحو والبلاغة والتفسير وحفظ على ابن عثيمين. وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. أنشأ مجلة الحكمة وهي مجلة بحثية علمية شرعية محكمة تعني بالبحوث والدراسات الإسلامية، كما أن له من الأعمال العلمية المطبوعة من تأليف وتحقيق وتخريج اسهامات كثيرة منها: كتابه (منهج أبي عبيد في تفسير غريب الحديث)، وتحقيقه لكتاب الجرجاني (درج الدرر في تفسير الآي والسور). ينظر: مجلة الحكمة، تاريخ النشر: 2008، <https://www.alhikma59.com/R2.htm>

(7) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي: (ت:471هـ). دَرَجُ الدَّرْرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ. 4م. تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وآخرون. ط1. بريطانيا: مجلة الحكمة. 2008م. (92/1).

(8) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص27.

2. معرفة الصفات الإلهية التي تضمنتها المقطعات القرآنية، يكون بمعرفة موضوع السورة التي تتمحور عليها السورة؛ لأن الصفات تكون مناسبة لموضوع السورة. مثال ذلك: قال المفسر بشير الدين محمود: "لقد استهلّت هذه السورة⁽¹⁾ أيضاً بمقطع "طس" كما استهلّت به السورة السابقة، وكما قلنا من قبل إن "الطاء" اختزال للطف و"السين" للسمع. بيد أن هناك فرقاً وهو أنه قد ورد في مقطع السورة السابقة⁽²⁾ حرف الميم فقيل: {طسم} والميم اختزال للمجيد، وهذا يعني أن تلك السورة تركز على بيان صفة الله المجيد بوجه خاص، أما هذه السورة فمع أن موضوعها نفس السورة السابقة إلا أنها لا تركز على بيان صفة الله -سبحانه وتعالى- "المجيد" كالسورة السابقة. ومن الأدلة الظاهرة على هذا أن السورة السابقة تتحدث عن محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثر، إذ قد ظهر مجد الله تعالى بواسطته -صلى الله عليه وسلم- أكثر. أما هذه السورة فتتحدث عن موسى وداود وسليمان -عليهم السلام- الذين كانت حياتهم وحيات أتباعهم دليلاً على كون الله -سبحانه وتعالى- عالماً بالأسرار الروحانية وسميماً للدعاء، ولكنها لم تدل على صفة الله "المجيد" بقدر ما دلت عليها حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه".⁽³⁾

3. المقطعات القرآنية تناسب السورة التي جاءت فيها والصور التي بعدها، فإذا اختلف الموضوع اختلفت المقطعات، وهذا من أول القرآن إلى آخره.

مثال ذلك: قال المفسر: "وإنّ بحثي بهذا الصدد يؤكد على أن معاني القرآن تتجدد بتجدد هذه الحروف. فإذا ابتدأت سورة بحروف منها فالصور التي تليها -من غير أن تبتدئ بأيّ مقطع من هذه المقطعات- تكون تابعة للصور السابقة لها في الموضوع، وأن الصور المتماثلة في المقطعات تكون متفقة في الموضوع ومنسلكة في سلك واحد. وقد سبق أن بيّنت أن هناك موضوعاً واحداً يستمر من سورة البقرة إلى سورة التوبة، وهذه الصور مرتبطة بمقطع {الم} الذي تبتدئ به سورة البقرة. ثم تأتي سورة آل عمران فتبدأ بالحروف نفسها، أما سور النساء والمائدة والأنعام فإنها خالية من المقطعات،

(1) يقصد بها سورة النمل.

(2) يقصد بها سورة الشعراء.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص377.

فكانها جميعاً تابعة لما قبلها. بعد ذلك تبدأ الأعراف بـ {المص}، محتوية على {الم}، زيد في آخرها {ص}. بعد ذلك الأنفال وبراءة خاليتان من المقطعات، فيستمر الموضوع نفسه المتعلق بـ {الم} إلى براءة. أما الصاد الذي زيد في آخر مقطعة "الأعراف" فيشير إلى موضوع التصديق".⁽¹⁾

4. تدل المقطعات القرآنية على بعض الأعداد والأرقام التي ترتبط بأحداث ستذكرها السورة، ولم يذكر منها إلا "المر" و"كهيعص".

مثال ذلك: قال المفسر: "وسورة مريم تبدأ بـ ﴿كَهَيْعَصَ﴾ [سورة مريم: 1]. التي مجموعها مائة وخمسة وتسعون⁽²⁾. وهذه السورة تذكر ازدهار المسيحية ولا سيما ازدهارها الثاني الذي يأتي بعد رقي الإسلام. والتاريخ يشهد أن المسيحية في هذه السنة، أي 195 بعد البعثة النبوية، بدأت تسترد قوتها. وهذه في نفس السنة التي دُبِّرَت فيها مؤامرة لأول مرة في تاريخ الإسلام لعزل السلطان العباسي المعتصم بالله أثناء محاربه الروم، ولوضع عباس بن المأمون سلطاناً مكانه، كي يضعف الإسلام ضد النصرانية. وفي هذه الفترة نفسها تقريباً هاجم النصارى واستردوا بعض المناطق من الأندلس.. وأرى أننا لو فكرنا بنفس الأسلوب في سائر السور، لتبينت لنا معانيها من الناحية الزمنية أيضاً"⁽³⁾. وقال أيضاً: "ويوافقني في هذا الرأي بعض العلماء من صدر الإسلام أيضاً، فقد روي عن الربيع بن أنس... ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو مدّة قوم وآجالهم"^{(4)!!}⁽⁵⁾.

5. المقطعات القرآنية وحي من الله. قال المفسر: "ومما يشهد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد اعتبر هذه الحروف وحيّاً قرآنيّاً ما روى البخاري في تاريخه ونقله الترمذي والحاكم أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ حرفاً من كتاب الله

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص12-13.

(2) حساب الجمل لـ {كهيعص} يساوي مائة وخمسة وتسعون. وهذا يدل أيضاً على استخدام المفسر لحساب الجمل في تفسير بعض الحروف المقطعة بداية السور، وقد استخدمه؛ لتكون أداة مساعدة له أثناء تفسير السورة -وخاصة عند تفسير السورة تفسيراً إشارياً-، وأداة له عند ترويجه لعقيدة نبوة والده التي يؤمن بها.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص56.

(4) ينظر: الطبري، جامع البيان، (208/1)، رقم الحديث: 243.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص60.

فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول {الم} حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف⁽¹⁾." (2)

6. المقطعات أسلوب استخدمه العرب قيل ذلك. قال المفسر: "يمكن أن يُسأل عن المقطعات: لماذا اختار القرآن الكريم هذا الأسلوب غير العادي؟ ولماذا لم يبين هذه المعاني بلغة سهلة واضحة كي يسهل فهمها على العرب ومن يأتي بعدهم؟ فالجواب أن هذا الأسلوب ليس غير عادي، بل كان رائجا في شعراء العرب وأدباءهم، فكانوا يستعملونه نظماً ونثراً. قال الشاعر: "قلنا قفي لنا فقالت قاف"⁽³⁾.. أي وقفت... فالعرب متمسكون بهذا الأسلوب المرتبط بالقرينة نظماً ونثراً، ومن الأمثال الرائجة لهذا الأسلوب من الكلام ما اختاره القرآن من المقطعات. والأمم الغربية قد بالغت اليوم في استعمال هذا الأسلوب. وهناك مئات بل آلاف من الحروف التي تختزل مختلف الكلمات، والناس يفقهون معناها ولا يستغربونها⁽⁴⁾." (5)

7. المقطعات القرآنية دليل آخر على أن سور القرآن مرتبة من عند الله - عز وجل -." (6)

8. الرد على المستشرقين في طعونهم للحروف المقطعة بداية السور. قال المفسر: "وقد زعم بعض المستشرقين أنها تدل على أسماء الكتبة الذين ألفوا هذه السورة بأمر محمد -صلى الله عليه وسلم- (ترجمة سيل sale نقلاً عن غويليس). فالألف عندهم يدل على أبي بكر، والعين تدل على علي أو عمر، والسين يدل على سعد، والطاء على طلحة، والهاء تشير إلى أبي هريرة رضي الله عنهم. وهذا مما يشهد على جهل المستشرقين، ولكن بالرغم من هذا الجهل فإن كلاً منهم يعد نفسه نابغة عصره في مسائل الإسلام. والأغرب من ذلك أنهم أرادوا بالهاء أبا هريرة

(1) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، رقم الحديث: (2910)، (175/5). قال الألباني: "إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير الضحاك بن عثمان، احتج به مسلم، وهو مختلف فيه". الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. (970/7).

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص54.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (159/1).

(4) مثل: (B.T.) (M.D.).

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص60-61.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص53-61

مع أنه أسلم قبل وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بثلاث سنوات فقط (أسد الغابة)، بينما سورتا مريم وطه المبتدئتان بالهاء مكيتان، وقد نزلتا قبل إسلام أبي هريرة بقرابة خمس عشرة سنة. إضافة الى ذلك أن الثابت من حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الحروف من وحي الله. ومما يجب أخذه في الاعتبار أن هذه السور لو كانت من تأليف الصحابة رضي الله عنهم لكان ذلك يعني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أشهد بنفسه هؤلاء الأشخاص على كذبه -نعوذ بالله من ذلك. فما دام قد استطاع أن يؤلف سائر القرآن من عنده -والعياذ بالله من ذلك- فما هو هدفه من تكليف الصحابة بتأليف هذه السور، حتى جعلهم شاهدين على افترائه .. وإذا افترضنا أنه فعل ذلك فلم أقام الحجة على نفسه بوضع أسماء هؤلاء الكتاب في أول السور؟! (1).

وبعد أن تحدثت عن منهجية المفسر بشير الدين محمود في المقطعات القرآنية، سأذكر باختصار معاني المقطعات القرآنية عنده:

1. ﴿الْمَرَّ﴾: أنا الله أعلم. (2)
2. ﴿الْمَرَّ﴾: أنا الله أرى. (3)
3. ﴿الْمَرَّ﴾: أنا الله أعلم وأرى. (4)
4. ﴿طَسَّ﴾: حرف "الطاء" في "طس" اختزال لصفة الله "اللطيف"، وحرف "السين" لصفة "السميع". (5)
5. ﴿طَسَمَ﴾: اللطيف السميع المجيد؛ لأن حرف الميم هنا اختزال لصفة "المجيد". (6)

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص53-54.
(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص58.
(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص18.
(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص478.
(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص370.
(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص377.

6. ﴿كَهَيْعَصَ﴾: أنت كافٍ، أنت هادٍ، يا عالمُ يا صادقُ.⁽¹⁾

7. ﴿طَه﴾: يا رجل.⁽²⁾

لكن السؤال، كيف توصل المفسر بشير الدين محمود إلى هذا الاستنتاج؟

الجواب: من خلال جمعه للمقطعات المتشابهة في السور، وتحليل مواضيع سورها ومقارنة بعضها البعض. مثال ذلك: {الم}، {الر} التي ذكرهما في تفسيره بالجزء الأول⁽³⁾. ويمكنك العودة إلى تفسيره "التفسير الكبير" لرؤية ذلك، والإطلاع على الموضوع بشكل أوسع وأشمل.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص27.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص468.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص58-60.

المبحث السادس

الأخذ بإعجاز القرآن

اتفق العلماء على أن أعظم وجوه إعجاز القرآن هو الإعجاز البياني، ولكنهم اختلفوا فيما وراء ذلك. فرأى بعضهم أن القرآن معجز ببيانه فحسب، وذهب أكثرهم إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة منها: الإعجاز البياني، والعلمي، والتشريعي. (1)

تؤمن الجماعة الأحمدية بإعجاز القرآن الكريم، إذ ذكر مؤسس الجماعة مرزا غلام أحمد هذا الأمر في مواضع عديدة في كتبه⁽²⁾، وأكد عليه المفسر بشير الدين محمود في تفسيره أيضاً، حيث قال: "إن إعجاز القرآن لمعجزة يمكننا إقناع المسيحي بها. نقول له: ها هو القرآن أمامك، فأت بكتاب مثله إن كنت من القادرين. وبالمثل إن الإتيان بالمعارف الإلهية أو الاطلاع على دقائق أسرار الفطرة معجزة يمكن إقناع كل إنسان بها. فالمعجزات التي غايتها هداية القوم لا بد لها أن تكون مما يمكن إقناع العدو به". (3)

يرى المرزا غلام أحمد أن القرآن معجز بجميع محاسنه ووجوهه، بدون تحديد وجه من وجوه الإعجاز دون آخر. فقال: "تحدي القرآن ليس قائماً على الإعجاز اللغوي فقط، بل يتعداه إلى الإتيان بكلام متمم بجميع المحاسن القرآنية المعجزة بما فيها اللغة الإعجازية". (4)

وسار المفسر بشير الدين محمود على المنهج نفسه، فلم يقل هذا إعجاز لغوي، وذلك تشريعي وذلك علمي وذلك غيبي؛ لأنه يؤمن أن إعجاز القرآن يتضمن جميع وجوهه. لكنه أشار إلى الإعجاز في الآيات الموجودة فيها: بيان لغوي معجز، أو تشريعات لم تكتشف أهميتها إلا مؤخراً، أو أمور علمية اكتشفت مؤخراً، أو ترتيب بياني مبين، أو نبوءة تتبأ بها القرآن ثم ظهرت بعد ذلك. ومن أمثلة ذلك:

(1) عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج1، ص238.

(2) ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: فتح الإسلام توضيح المرام إزالة الأوهام، ص229.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص237-239.

(4) القادياني، المرزا غلام أحمد: الخزائن الدفينة، ص182.

أولاً: الإعجاز اللغوي، قال المفسر: "من كمال إعجاز القرآن الكريم أنه يسوق أدلة صدقه في كلمة واحدة أحياناً، وهنا أيضاً قد دحض تهمة الجنون بكلمة واحدة وجيزة: ﴿صَاحِبِكُمْ﴾، حيث نبّه الكافرين بأن محمداً كان صاحبكم، أي كنتم تعتبرونه صديقاً ومستشاراً وأميناً، فكيف أصيب بالجنون فجأة؟ وكيف يحق لكم اتهامه بالجنون بعد دعواه؟ وكيف تغير رأيكم فجأة وقد كنتم تعتبرونه سيداً لكم من قبل، معترفين بزعامته ورجاحة عقله وزيادة فراسته؟".⁽¹⁾

ثانياً: الإعجاز التشريعي، قال المفسر: "إذن فبعد مرور ثلاثة عشر قرناً انكشف اليوم للعالم صدق القرار القرآني الذي أعلن أن أضرار الخمر أكثر من نفعها، وقد تحقق هذا وثبت علمياً. والذين يتمتعون بعادة قبول كل ما هو خير وحسن ولا يكثرثون بما في مجتمعهم من تقاليد وعادات وأفكار ومبادئ.. شرعوا الآن يهتمون بإصلاح أخطائهم، والله تعالى أعلم إذا كانوا سيفلحون في مساعيهم هذه أم أن أصحاب العادات والتقاليد والأفكار الدينية القديمة هم الذين سيتغلبون".⁽²⁾

ثالثاً: الإعجاز العلمي، قال المفسر: فقله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾⁽³⁾ يعني أولاً: الذي خلقه وجعله بدون عيب، وثانياً: الذي خلقه ثم أزال كل عوج حصل فيه فيما بعد... المراد أنه ليس في خلقه الإنسان ما هو لغو وعبث. خذوا مثلاً العين، فإنها كانت عبثاً لو لم يخلق الله تعالى إزاءها ضوء الشمس، فمن منة الله على الإنسان أنه خلق له العين من ناحية، ومن ناحية أخرى جعل للشمس ضوءاً ترى به عينه. وهذا هو الحال بالنسبة لجميع أعضاء الإنسان، فكل ما فيه قد خلق لهدف محدد، ومنفعة معينة. هناك عضوان فقط في جسم الإنسان كان الأطباء يظنون أنهما خلقاً عبثاً ولا جدوى منهما، وهما شحمة الأذن، والزائدة الدودية. كان الأطباء في الماضي يظنون أن هناك أعضاء أخرى لا فائدة فيها، ولكن انكشفت عليهم ضرورتها شيئاً فشيئاً. فلم يكن هناك إلا عضوان ظنوهما بلا نفع، ولكن قبل حوالي 40 أو 50 سنة قد علموا بفائدة الزائدة الدودية، ذلك بعد أن قام طبيب من فرنسا بتجربة لمعرفة فائدتها. فإنه أخذ 12 قرداً، وقطع الزائدة الدودية من ستة قروء، وتركها عند الستة الأخرى، ثم بدأ يربئها كلها تربية متساوية، وأخذ يلاحظ كل تغير يطرأ على أحد من

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص315.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص486.

(3) سورة الأعلى: 2.

المجموعتين، وبعد فترة وجد أن القروود التي أُزيلت زائدتها الدودية قد قَلَّتْ المناعة عندها، فأخذت تصاب بأمراض ولم يُعُدْ ينفعها الغذاء كما ينبغي، أما المجموعة الأخرى التي لم تُستأصل زائدتها الدودية، فكانت قوية كالسابق. لقد ثبت من ذلك أن الزائدة الدودية -التي اعتُبرت في الماضي بلا فائدة- هي وثيقة الصلة بصحة الجسم، وإذا أُزيلت من إنسان قَلَّتْ مناعته...⁽¹⁾

رابعاً: الإعجاز الغيبي، قال المفسر: "﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾"⁽²⁾. ولقد أوفى الله عز وجل بوعدده في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذ أورث المسلمين مكانة الأمم الخالية، وأهلك أعداءهم ودمرهم تدميراً"⁽³⁾.

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص531-ص532.

(2) سورة النور: 55.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص197.

المبحث السابع

موقفه من الناسخ والمنسوخ

ذهب جمهور العلماء إلى وجود النسخ في القرآن الكريم⁽¹⁾، لكنهم اختلفوا في عدد الآيات المنسوخة فمنهم من يرى أنها "114" آية، كالإمام ابن حزم⁽²⁾، ومنهم من يرى أنها "20" آية كالإمام السيوطي⁽³⁾.

وهناك رأي آخر، لا يرى بوجود النسخ في القرآن الكريم، فالقرآن لا ينسخ بعضه البعض، والسنة لا تنسخه. وأول من قال بهذا الرأي "أبو مسلم الأصفهاني" ونقله الإمام الرازي في تفسيره⁽⁴⁾، وهذا رأي بعض العلماء المعاصرين والحدائين⁽⁵⁾. وهذا هو رأي الجماعة الأحمديّة، إذ أنهم يرون بعدم وجود النسخ في القرآن الكريم، إلا أن الغموض يكتنف مسألة من أول من قال بعدم النسخ في القرآن بالجماعة الأحمديّة؟ أهو مؤسس الجماعة الأحمديّة المرزا غلام أحمد، أم من جاء بعده؟

يرى هاني طاهر⁽⁶⁾ أن مؤسس الجماعة يؤمن بنسخ القرآن بالقرآن، وأوضح دليل لا يقبل التأويل، مثاله: تفسير المرزا غلام أحمد لآية ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾⁽⁷⁾،

-
- (1) ينظر: الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، (186/2)، وينظر: عباس، *إتقان البرهان*، (19/2).
 - (2) ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي. ت(456هـ). *الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم*. تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1406هـ. ص12
 - (3) ينظر: السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، (87-66/3)
 - (4) ينظر: الرازي، *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، (568/27).
 - (5) ينظر: الزهراني، مشرف بن أحمد: *موقف المعاصرين من قضية النسخ*. مجلة العلوم الشرعية. جامعة القصيم. المجلد 7. العدد 3: (رجب 1435هـ/ أبريل 2014). ص8-15.
 - (6) هاني طاهر: ولد عام 1969م، في قرية كفر صور بفلسطين، درس الابتدائية والإعدادية في كفر صور، والثانوية في مدرسة الفاضلية بطولكرم. ثم ذهب إلى العراق ودرس الهندسة الإلكترونية في جامعة بغداد، وتخرج منها حاملاً على شهادة البكالوريوس. ثم درس الشريعة الإسلامية ونال البكالوريوس، وحصل على ماجستير لغة عربية من جامعة النجاح الوطنية. عمل محاضراً في جامعة خضوري، وانضم للجماعة الأحمديّة عام 1999م، وفي عام 2000م بدأ بطباعة العديد من الكتب التي تتحدث عن فكر الجماعة وعقائدها، وشارك بكل قوة في الدفاع عن الجماعة وعقائدها بإلقاء المحاضرات والمناظرات والدروس التلفزيونية، مما أهله للعمل في مكتب العربي بلندن (وهي حلقة الوصل بين الخليفة وأعضاء الجماعة العرب)، وعمل أيضاً كعضو لهيئة التحرير في مجلة "التقوى" التابعة للجماعة التي تصدر من لندن، وبقي كذلك حتى عام 2016م. الذي أعلن بشكل مفاجئ خروجه من الجماعة؛ بعد اكتشاف تناقضات كثيرة في كلام المرزا بعد ترجمتها للعربية، فأصبح من ذلك الوقت، أحد أشد المعارضين للجماعة، وذلك بكتاباته وفيديواته التي ينشرها على قناته في اليوتيوب. مقابلة مع عبد القادر المدلل. 2021/3/28م.

(7) سورة البقرة: 116.

فقد قال هاني نقلاً عن قول المرزا من كتبه-التي لم تنتشر نسخته العربية بعد-: "القرآن في هذه الآية بوضوح تام بأنه لا يمكن نسخ آية إلا بآية فقط. لذا وعد أنه لا بد أن تنزل آية مكان الآية المنسوخة" (الحق لدهيانه، ص 90-91)⁽¹⁾.

إلا أن الجماعة الأحمديّة في فلسطين ردت برد رسمي على هاني طاهر، وذلك بفيديو لعبد القادر المدلل⁽²⁾ خلاصته: أنه نُشر في حياة المرزا غلام أحمد وتحت إشرافه في مجلة مقارنة الأديان الأردية مقالٌ طويل في عام 1907م في عدة أقساط في تنفيذ عقيدة النسخ في القرآن⁽³⁾. ورأيت ردّاً آخر أثناء قراءتي في التفسير الكبير لابنه محمود حيث ذكر سبب عدم إيمان والده المرزا غلام أحمد بقضية النسخ كما قال: "ولكن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود جاء وأعلن أن القرآن من أوله إلى آخره .. من (باء) البسمة إلى (سين) (الناس) قابل للعمل، ولن ينفك هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولا أزال أتذكر جيداً قوله: إذا سلم أحد بأنه لا تزال في القرآن آيات منسوخة.. فلماذا يكلف نفسه عناء التدبر فيه والعمل به؟ سيقول في نفسه: لماذا أضيع جهدي ووقتي في ذلك؟ من يدري أن الآية التي أُعمل فكري فيها يتبين لي فيما بعد أنها كانت منسوخة؟ ولكن الذي يؤمن أن هذا الكلام بتمامه وكمالته منزّه عن النسخ، وأن كل لفظ منه جدير بالعمل به.. لا بد أن يتدبر القرآن، وهكذا يزيد القرآن علماً ومعرفة"⁽⁴⁾.

والحق أن هذا الموضوع يحتاج إلى تحقيق، ويرى الباحث -من أدلة هاني الكثيرة- أن المرزا غلام أحمد كان يؤمن بنسخ القرآن في بادئ الأمر ثم حاد عن هذا الرأي وناقضه.

(1) طاهر، هاني: نسخ التلاوة ونسخ الحكم عند مؤسس الجماعة الأحمديّة، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)، <https://www.youtube.com/watch?v=CVtk8BttlSQ>، 2016/08/29.

(2) عبد القادر إبراهيم مدلل: ولد عام 1970م في قرية كفر صور بفلسطين، درس الابتدائية والاعدادية في مدرسة كفر صور، والثانوية في مدرسة كفر زيّباد. ذهب بعدها إلى الهند ليدرس في جامعة "فونا" وتخرج منها بشهادة البكالوريوس في عام 1992م، ثم حصل على الماجستير في جامعة "أليجار" في الهند، وتخرج منها عام 1995م بتخصص الفيزياء. وعاد إلى وطنه فلسطين ليعمل مدرساً حتى الآن. انضم إلى الجماعة الأحمديّة رسمياً في عام 1999م، وعيّن رئيساً للجماعة الأحمديّة في الضفة الغربية عام 2014م إلى الآن. مقابلة مع عبد القادر المدلل. 2021/3/28م.

(3) مدلل، عبد القادر: الرد على هاني طاهر-النسخ، فيديو من قناة (islamahmadiyya VOD)، 2016/ 9 /2، <https://www.youtube.com/watch?v=gVxqLvnQQ1o>

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص85-90.

اهتمت الجماعة الأحمديّة بموضوع النسخ في القرآن الكريم، حيث أصدر نور الدين القرشي كتاباً يوضح فيه عدم النسخ في القرآن بعنوان "رسائل الرد على الشيعة وإبطال عقيدة النسخ في القرآن"، وسار على هذا النهج بشير الدين محمود الذي لا يرى نسخ القرآن بالقرآن موضحاً لماهية النسخ قائلاً: "قطعياً على أن كل الأفكار الرائجة حول نسخ آيات من القرآن الكريم إنما أساسها الظن، وليس العلم والواقع. إنني لا أنكر أن بعضاً من الأحكام قد استُبدلت في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكنني لم أجد أية شهادة تدل على أن حكماً من الأحكام نزل في القرآن في البداية بشكل ثم استُبدل بحكم آخر. وأرى أن الأحكام التي كانت ذات صبغة مؤقتة قد نزلت على النبي -صلى الله عليه وسلم- بوحى منفصل عن وحي القرآن، فلم يتطلب الأمر تبديل أي حكم نزل في الوحي القرآني".⁽¹⁾

وذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث اعتبر أن "عقيدة النسخ في الآيات القرآنية ظهرت نتيجة لقلّة التدبر.. عندما لم يستطع المفسرون فهم الآية قالوا بنسخها".⁽²⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص358.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص361

المبحث الثامن

الاهتمام بالإسرائيليات

تناولت الجماعة الأحمديّة التفسير بالإسرائيليات من مؤسسها المرزا غلام أحمد بشكل بسيط وذلك عند الحديث عن بني إسرائيل كوفاة المسيح عيسى -عليه السلام-⁽¹⁾، لكن المفسر بشير الدين محمود أكثر من تناول الإسرائيليات، حتى إنه ذكرها في مباحث لا يتخيل أحد أن تذكر فيها، خاصة المباحث التي تتعلق بعلم القرآن أو بقضايا فقهية وغيرها من المباحث، من باب المقارنة والنقد ودحض الأكاذيب والتأكيد على صدق الإسلام، وعندما قرأت كتاباً لمحمد أبو شهبة تحدث فيه عن الإسرائيليات في كتب التفسير، ذكر المواضيع التي تطرق المفسرون بذكر الإسرائيليات فيها، وكان معظمها عن ما يتعلق بعمر الدنيا وبدء الخلق وأسرار الوجود وتعليل بعض الظواهر الكونية، وقصص الأنبياء والأمم السابقة...⁽²⁾، ولكنهم لم يتناولوا الإسرائيليات كما تناولها المفسر بشير الدين محمود الذي فاقهم في هذا الأمر.

وقد عاتب المفسر بشير الدين محمود بعض المفسرين على أخذهم من الإسرائيليات، داعياً المسلمين إلى تطهير كتب التفسير من الإسرائيليات، فقال: "وإنّ وفق الله تعالى المسلمين في يوم من الأيام لتطهير تفاسيرهم من الإسرائيليات لكان هذا حدثاً في غاية الأهمية، وجديراً بأن يخلّصنا مما نتعرض له الآن من الحرج أمام أتباع الديانات الأخرى. ذلك لأن تفاسيرهم مليئة بالكثير من الأمور الخاطئة المتعلقة بالتوراة والإنجيل"⁽³⁾.

لكنه للأسف، وقع بأخطاء كبيرة جداً عندما كان يعتمد على بعض الإسرائيليات في إثبات صحة معتقدات الجماعة، أو عندما يكشف أموراً مبهمّة.

(1) ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: الخزانة الدفينة، ص306-307.

(2) ينظر: أبو شهبة، محمد: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. ط4. القاهرة: مكتبة السنة. 1408هـ. ص161-302.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص363.

وللتوضيح أكثر، سأحدث عن منهجه في الإسرائيليات، في النقاط التالية:

1. أخذ الإسرائيليات من التوراة والإنجيل دون أخذها من روايات التفسير أو الحديث أو من أحبارهم ورهبانهم. وهذا واضح جداً في تفسيره، ومن المراجع التي اعتمد عليها تفسيره.

2. ذكر بعض الإسرائيليات ليوضح الاختلاف أو التضارب بينها.

مثال ذلك: قال المفسر: "وهنا أيضاً تختلف التوراة عن القرآن إذ تزعم أن إخوته هم الذين أخرجوه من البئر حيث تقول بأنهم بعد إلقائه فيها جلسوا يأكلون، فلاحت لهم قافلة من الإسماعيليين، فاتفقوا على بيعه لهم، فأخرجوه منها وباعوه لهم بعشرين درهماً (التكوين 37:28). ولكن القرآن يخبر أن القافلة هي التي أخرجته منها. ويكفي لإبطال زعم التوراة أن نذكر أن هناك تعارضاً صارخاً فيها حتى في بضع جمل وردت عن الحادثة... كذلك ورد في التلمود: بينما إخوته يتحدثون عنه جاء ركب من المديانيين في طلب الماء ونزلوا صدفةً على البئر نفسها التي ألقوا يوسف فيها. وتحير أهل الركب من وجود صبيّ وضيء جميل نبيل، فأخرجوه منها واصطحبوه وساروا".⁽¹⁾

3. مقارنة القرآن بالتوراة لذكر ما تميز به القرآن عن التوراة وغيرها من الكتب السماوية. مثال ذلك: قال المفسر: "أما قوله تعالى ﴿نُجِّيكَ بِدَنِكَ﴾⁽²⁾.. فاعلم أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يذكر نجاة جثة فرعون من الغرق، بينما التوراة لا تذكر شيئاً عن ذلك، ومثلها كتب التاريخ".⁽³⁾

4. ذكر الإسرائيليات المعارضة للقرآن الكريم لدحضها وتبين كذبها.

مثال ذلك: قال المفسر: "هناك عدة اختلافات بين القرآن الكريم والتوراة فيما يتعلق بقصة لوط، ففي حين تَصِفُه التوراة بعبادة الشجار والحسد (التكوين 13)، يصفه القرآن الكريم بصفة الطيب والصالح... تقول التوراة بأن زوجته صارت عموداً من الملح عقاباً من الله تعالى (التكوين 19)،

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص381-382.

(2) سورة يونس: 92.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص169.

بينما لا يذكر القرآن الكريم من هذه القصة الخرافية شيئاً. أرى أن هذه الأمثلة من الخرافات تكفي لإظهار فضل القرآن الكريم على التوراة.⁽¹⁾

5. تفسير الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل بالإسرائيليات؛ للتأكيد على صدق ما جاء به القرآن الكريم.

مثال ذلك: ذكر المفسر بشير الدين محمود بعض المقتبسات التلمودية في تفسيره لآية ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾⁽²⁾ ثم قال: "تبين هذه المقتبسات أن معظم اليهود كانوا يعتقدون أنهم لن ينالوا إلا عقاباً محدوداً".⁽³⁾

6. الاستدلال بالإسرائيليات للتأكيد على صحة معتقدات الجماعة الأحمدية، وأفكاره.

مثال ذلك: تؤمن الجماعة الأحمدية أن يأجوج ومأجوج هي تفوق الظواهر المادية للغرب، وقد ذكر المفسر بشير الدين محمود في تفسيرها: "وأرى من المناسب أن أذكر في هذا المقام الأنبياء المذكورة في التوراة عن مصير يأجوج ومأجوج. ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي: "ثم متى تمت الألف سنة يُحرر الشيطان من سجنه، ويخرج ليُضِلَّ الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج ومأجوج، ليجتمعهم للحرب" (رؤيا يوحنا اللاهوتي 20: 7 و8).

علمًا أن المراد من "الألف سنة" هنا ألف سنة من العام الهجري، أي أن الشيطان سيتحرر من سجنه بعد ألف سنة من ظهور سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-. وهكذا وقع، فإن الشعوب الغربية ثبتت أقدامها في الهند سنة 1611 الميلادية، وكانت هذه بداية عهد ازدهار يأجوج!!⁽⁴⁾.

7. يقدم المفسر آراءه وتحليلاته في نصوص الإسرائيليات.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص304.

(2) سورة البقرة: 80.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص384.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص771-772.

مثال ذلك: قال المفسر: ورد أن المسيح قال لتلاميذه: "قادهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى 28: 19). وهناك أماكن أخرى أيضاً ورد فيها قول المسيح -عليه السلام- إنه ابن الله، بل الابن الوحيد لله تعالى. ولكن ينبغي ألا يغيب عن البال أن المسيح نفسه قال أيضاً، وفي أماكن كثيرة من الإنجيل، إنه ابن الإنسان.... وما دام المسيح -عليه السلام- نفسه يعترف بكونه إنساناً فكيف جاز للمسيحيين أن يفسروا كلمة "ابن الله" بما يخالف التوراة والإنجيل كليهما؟ فإما أن يقولوا أن المسيح كان -معاذ الله- مجنوناً حيث قال تارة إنه ابن الله، وأخرى إنه ابن الإنسان؛ أو نحاول إيجاد حل لهذه المعضلة، فنقول إن أحد التعبيرين حقيقة والآخر استعارة، وإذا عرفنا أيهما حقيقة وأيها مجاز لتوصلنا إلى النتيجة الصحيحة. فلو ثبت أن كلمة "ابن الإنسان" مجاز، لكان المسيح ابناً لله حقيقةً، وأما لو ثبت أن تعبير "ابن الله" مجاز لتبين أن حكاية كون المسيح "ابن الله" التي يبني عليها المسيحيون كفارتهم لحكاية باطلة تماماً. وحينما ندرس الإنجيل من هذا المنظور نجد المسيح -عليه السلام- يقول: "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون" (متى 5: 9). فالمسيح -عليه السلام- قد أطلق هنا تسمية "أبناء الله" على أناس غيره أيضاً، فثبت بذلك أن أحداً إذا سُمي ابناً لله فلا يصبح ابناً لله حقيقة، وإلا فإن كل صانعي السلام يمكن أن يدعوا أنهم أبناء الله حقاً. (1)

8. الاعتماد على الإسرائيليات في كشف المبهمات.

مثال ذلك: قال المفسر بشير الدين محمود في تفسيره لقوله تعالى ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (2): "كان رؤبين أكبر إخوة يوسف -عليه السلام-، وأما الذي رفض العودة إلى البيت فهو يهوذا الذي كان الرابع بين إخوته سناً بحسب ما ورد في التوراة (التكوين 29 و 44). وقد طعن بعض الكتاب المسيحيين في القرآن بأنه قد أخطأ في قوله {قَالَ كَبِيرُهُمْ} حيث نسب هذا الرفض إلى رؤبين بدلاً من يهوذا الذي قال هذا الكلام في الواقع!.. وإذا سلمنا جدلاً بصحة بيان التوراة في هذه القضية فهذا أيضاً لا يقدح في القرآن لأنه قال {كَبِيرُهُمْ}

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص 81-83.

(2) سورة يوسف: 80.

ولم يقل "أكبرهم"، ولا مانع من اعتبار الابن الرابع من الإثني عشر من أبناء يعقوب "كبيرهم" وإن لم يكن أكبرهم. إذ نستطيع التوفيق بين بيان المصدرين بكل سهولة، ذلك أن نأخذ كلمة {كَبِيرُهُمْ} بمعنى الكبير درجةً لا الكبير سنًا، وسبق أن أثبت في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ أن يعقوب -عليه السلام- كان يثق بيهودا -الابن الرابع سنًا- أكثر من رأوبين -الابن الأكبر سنًا، إذ لم يرسل بنيامين معهم إلا بضمان من يهوذا، ولذلك كله يجب اعتباره كبيرهم".⁽²⁾

يرى الباحث: أنه من أجل حمل كلمة "كبيرهم" على أنها أكبرهم درجة لا أكبرهم سنًا، فيجب من وجود قرينة تصرف المعنى الحقيقي الظاهري للفظ "كبيرهم" وهي: أكبرهم سنًا إلى المعنى المجازي الذي تحدث به المفسر. لكن المفسر لم يعرض في تفسيره أي دليل أو قرينة إلا الرواية الإسرائيلية. وهذا مما يؤخذ عليه.

9. محاولة التوفيق بين الرواية التوراتية والقرآن الكريم.

مثال ذلك: قال المفسر: "العجيب أن معنى جدعون في العبرانية هو كمعنى طالوت في اللغة العربية. فكلمة جدع تعني في العبرانية أن يقطع الإنسان شيئاً ويسقطه على الأرض، أو يقشره أو يقطعه بالفأس. فجدعون هو من يقطع عدوه ويصرعه. وقد ورد في التوراة عن جدعون أنه كان بطلاً كبيراً ومحارباً شجاعاً (قضاة:6: 11). أما طالوت فهو اسم وصفي لجدعون من طال: أي تفوق. فطالوت هو الذي تفوق على الآخرين وصار صاحب مجد ورفعة فوق الآخرين كأن هذا الاسم يشير إلى أن هذا الشخص كان قبل ذلك من أدنى الرجال، ولكنه طال وتفوق على الآخرين فيما بعد بإذن الله".⁽³⁾

(1) سورة يوسف: 80

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص436-437.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص564.

الفصل الرابع

منهج التفسير الكبير في التفسير اللغوي والعلمي

المبحث الأول

منهج التفسير الكبير في التفسير اللغوي

يعدّ التفسير اللغوي من أهم مرتكزات التفسير؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين. فلن يستطيع أحد فهم الآيات القرآنية وتفسيرها إلا بتعلم العربية واتقان أسسها، والاعتماد على مصطلحاتها، ومعرفة أسلوبها، وإدراك أسرارها. يقول الزركشي: "وَمَعْرِفَةُ هَذَا الْفَنِّ لِلْمُفَسِّرِ ضَرُورِيٌّ وَإِلَّا فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْإِقْدَامُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى".⁽¹⁾

اهتمت الجماعة الأحمديّة باللّغة العربيّة وأولتها حرصاً بالغاً بتعلمها، وتعليمها لخدّامها الذين يهبون حياتهم لخدمة الجماعة، ومع أن مؤسس الجماعة الأحمديّة من قاديان بإقليم البنجاب في الهند، يتحدث بلغة بلده الأوردو. بيد أننا نراه يمدح اللّغة العربيّة في كتاباته ويثني عليها، قائلاً: "والذين مارسوا اللّغاتِ وفتشوها، واطّلعوا على عجائب العربيّة ونظروها، ورأوا لطائف مفرداتها ووزنوها، وشاهدوا ملّح مركّباتها وذاقوها، فأولئك يعلمون بعلم اليقين، ويُقرّون بالعزم المتين، بأن العربيّة متفردة في صفاتها، وكاملة في مفرداتها، ومعجبةٌ بحُسن مركّباتها، ومُصنّبةٌ بجمال فقراتها، ولا يبلغها لسانٌ من ألسن الأرضيين"⁽²⁾.

تبنى ابنه المفسر بشير الدين محمود هذا النهج، موضحاً أنها أم اللغات، ومؤكداً على عظمتها، فمن أقواله عن اللّغة العربيّة: "الله تعالى علم آدم لغة مبنية على حكمة، إذ إنها متناسقة في ربطها بين المبنى والمعنى، أي أن كل كلمة فيها ذات معنى تعبر عنه .. أو بعبارة أخرى، إن الله العليم الخبير علّم آدم اللّغة العربيّة التي صارت فيما بعد أمّاً لسائر اللغات"⁽³⁾. ومن أقواله: "العربيّة كانت لغة الناس كافةً في البداية، لأنه إذا تأكّد لنا أن بداية النسل الإنساني كانت من شبه الجزيرة العربيّة فلا بد من الاعتراف أن العربيّة هي أم الألسنة"⁽⁴⁾.

(1) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر: ت(794هـ—). البرهان في علوم القرآن. 4مج. تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. لبنان: دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركائه. 1376هـ-1957م. (292/1)

(2) القادياني، المرزا غلام أحمد: ممن الرحمن. (بلاط). المملكة المتحدّة: الشركة الإسلاميّة المحدودة. 2010م. ص54.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص202.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص278.

وسيبين الباحث منهج المفسر في التفسير اللغوي من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: بيان معاني ألفاظ القرآن وغريبه

اعتنى المفسر بشير الدين محمود بتفسير مفردات القرآن والكشف عن معاني ألفاظه وغريبه، واهتم بذلك اهتماماً بالغاً، حيث خصص له حيزاً في كل مقطع يقوم بتفسيره من أول "التفسير الكبير" إلى آخره، في جميع أجزائه العشرة تحت عنوان "شرح الكلمات". وسبب هذا الاهتمام ذكره المفسر، قائلاً: "وقد عدّنا المعاني المختلفة التي يحتملها النص العربي تحت عنوان (شرح الكلمات). ومن هذه الكلمات نظمنا قاموساً تفسيرياً أو معجماً للمعاني التي تعتبر قياسية لا بالنسبة للمسلمين فقط بل لكل المتكلمين باللغة العربية من غير المسلمين. ونحن على ثقة بأن الدراسة اللغوية التي قدّمناها لهذه المواد ستلقي ضوءاً، وتعطي القارئ بصيرة نافذة لاستيعاب الترجمة، والاقتناع بأن المفهوم الذي نقلناه عن النص العربي ليس على سبيل التكهن، بل يستند إلى استعمال شائع في اللغة العربية ضمن الاصطلاحات المتعارف عليها. فالقارئ الذي لا يعرف العربية يجب أن يرتاح مطمئناً إلى أن أفكارنا المنقولة عن طريق الترجمة والتفسير.. على الرغم من أنها قد تكون غير مقبولة لدى البعض"⁽¹⁾.

إذن، فاهتمامه بشرح الكلمات من أجل الاستدلال بها على صحة معتقداته، فقد اهتم بتفسير بعض الآيات القرآنية بناءً على معانيها اللغوية المجردة التي قد تخالف صحيح التفسير المأثور في بعض من الأحيان. مما أوقعت المفسر بأخطاء كبيرة، قال الإمام القرطبي: "فَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ ظَاهِرَ التَّفْسِيرِ وَبَادَرَ إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْمَعَانِي بِمَجْرَدِ فَهْمِ الْعَرَبِيَّةِ كَثُرَ غَلَطُهُ، وَدَخَلَ فِي زُمرَةٍ مَن فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِالرَّأْيِ"⁽²⁾.

اعتنى المفسر بشير الدين محمود بألفاظ وكلمات القرآن الكريم، حيث فسر وشرح ما يقارب (1462) لفظاً قرآنياً -قمت باحصائها-، في "شرح الكلمات" وهو الأصل⁽³⁾، وشرحها اعتماداً على معانيها

(1) بشير الدين، التفسير الوسيط، ص 27.

(2) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري: ت(671هـ—). الجامع لأحكام القرآن. 20 مج.

تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط3. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1964م. (34/1).

(3) الأصل عند المفسر أن يشرح معاني الكلمات في خانة "شرح الكلمات" التي تكون قبل تفسيره للآيات، لكنه أحياناً يشرح بعض الكلمات أثناء تفسيره للآية خارج هذه الخانة.

في المراجع اللغوية، كما وفسر بعض الألفاظ بواسطة إعرابها من كتب النحو والإعراب في "شرح الكلمات"؛ وذلك لتوضيح المعنى المطلوب من اللفظ.

أما المعاجم اللغوية وقواميس التعاريف الاصطلاحية التي استخدمها المفسر بشير الدين محمود في "شرح الكلمات"، فهي عشرة، وهي مرتبة بحسب الأكثر استخداماً على النحو الآتي:⁽¹⁾

1. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: لسعيد الخوري الشرتوني (ت: 1331هـ).

2. المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (ت: 502هـ).

3. الكليات: لأبي البقاء الحنفي (ت: 1094هـ).

4. تاج العروس: للزبيدي (ت: 1205هـ).

5. المنجد في اللغة: لعلي الأزدي (ت: 309هـ).

6. لسان العرب: لابن منظور (ت: 711هـ).

7. الصحاح: للجوهري الفارابي (ت: 393هـ).

8. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للمقري (ت: 770هـ).

9. معجم بحار الأنوار: لمحمد طاهر (ت: 986هـ).

10. المعجم الوسيط: لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(1) العدد التقريبي لألفاظ القرآن الكريم التي شرحها في كل معجم: أقرب الموارد: 1078، المفردات: 225، الكليات: 61، تاج

العروس: 53، المنجد: 22، لسان العرب: 8، الصحاح: 4، المصباح المنير: 1، معجم بحار الأنوار: 1، المعجم الوسيط: 1.

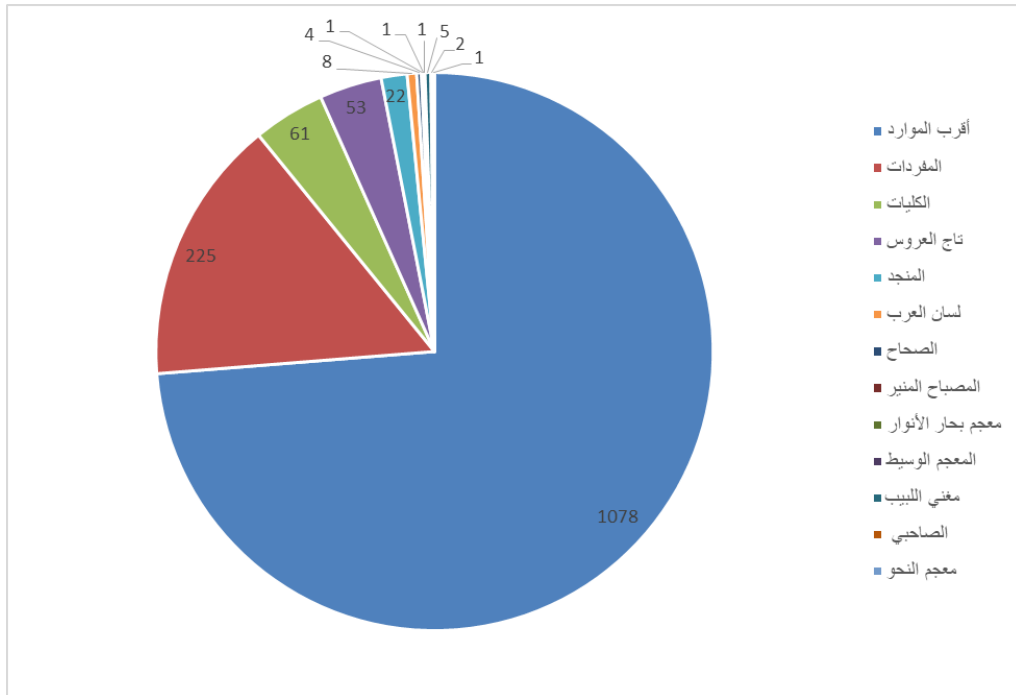
أما المراجع النحوية التي استخدمها المفسر في "شرح الكلمات"، فهي ثلاثة مراجع، مرتبة بحسب الأكثر استخداماً:⁽¹⁾

1. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: لابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ).

2. الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: لابن فارس (ت: 395هـ).

3. معجم النحو: لعبد الغني الدقر.

للتوضيح بشكل أفضل، إليكم هذا الرسم البياني الذي يظهر فيه استخدام المفسر بشير الدين محمود المعاجم والمراجع عند تفسيره لمعاني ألفاظ القرآن الكريم:



الشكل (1): استخدام المفسر بشير الدين محمود المعاجم والمراجع عند تفسيره لمعاني ألفاظ القرآن الكريم

(1) العدد التقريبي لألفاظ القرآن الكريم التي شرحها في كل مرجع: مغني اللبيب: 5، الصحابي: 2، معجم النحو: 1.

يلاحظ من هذا الرسم البياني:

أولاً: استخدم المفسر معجم "أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد" بنسبة تقارب 74% في تفسيره لكلمات وألفاظ القرآن الكريم. وقد وضح سبب اعتماده عليه، فقال: "تستهدف في منشوراتنا دحض التأثير المسموم للمستشرقين الذين لا يتقون بالقواميس ذات الطابع التفسيري، ولذلك أقتبس من القواميس ذات الطابع الأدبي خالصاً أو من مؤلفات المسيحيين أنفسهم حتى لا يبقى للمستشرقين أو المتأثرين بهم مهرب من القبول".⁽¹⁾

ولا بد أن أشير هنا، بأن المفسر بشير الدين محمود انتقد أصحاب المعاجم والقواميس قائلاً: "المؤسف أن قواميسنا متأثرة بالدين حتى جعلوا اللغة أيضاً تحت تأثير التفاسير، وهذا لم يخدم الإسلام شيئاً وإنما أضر به إذ اختفت بسبب هذا التصرف الكثير من معارف القرآن عن أعين الناس. ليت هناك من يشمر عن ساعد الهمة والجد ويصنف قاموساً لغوياً يكون متحرراً تماماً من تأثيرات التفاسير الدينية، حتى يخرج الناس من هذا القيد الضاغط المجافي للحق .. فيسهل عليهم فهم القرآن الكريم!"⁽²⁾. ومن الأمثلة على هذا الانتقاد عندما ذكر معنى الكوثر في "شرح الكلمات"، قائلاً: "الكوثر: الكثير من كل شيء؛ السيد الكثير الخير؛ الرجل الكثير العطاء والخير؛ نهر في الجنة. (الأقرب)⁽³⁾. هذا المعنى الأخير الذي ذكره صاحب "أقرب الموارد" ليس ثابتاً من اللغة، ولم تستعمل العرب لفظ الكوثر بهذا المعنى قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، بل الواقع أنه عندما استعمل لفظ الكوثر في القرآن والحديث وفسره المسلمون أنه نهر يُعطاه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنة، وراج هذا المعنى بين الناس، فأدخله اللغويون في المعاجم متأثرين بهذه العقيدة، وإلا فالكوثر لا يعني إلا المعاني الثلاثة الأولى".⁽⁴⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص449.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص227.

(3) الخوري، سعيد: أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد. كمج. ط1. طهران: دار الأسوة للطباعة والنشر. 1416هـ. (521/4).

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص300.

أما تعليقي على انتقاد المفسر لأصحاب المعاجم والقواميس: أن القواميس اللغوية لم تتأثر بالتفاسير الدينية، إنما أحاطت بها. وهذا شيء طبيعي أن تحيط القواميس بجميع معاني الألفاظ الحديث منها والقديم. بالمثال السابق مثلاً، لا يلاحظ على "أقرب الموارد" أنه حذف التفسيرات اللغوية للفظ الكوثر مقابل المعنى المأثور، لكنه أضاف عليها معنى جديد أقره النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه نهر من الجنة⁽¹⁾. كما يلاحظ أيضاً استخدام أصحاب النوايا الخبيثة لمثل هكذا انتقاد من أجل نبذ الروافد الأخرى الضرورية لفهم القرآن؛ كالسنة والسيرة ومرويات الصحابة والإجماع وغيره.

ثانياً: المعاجم اللغوية الأحدث، مثل: (أقرب الموارد وتاج العروس). استخدمها المفسر بشير الدين محمود أكثر من المعاجم اللغوية الأقدم ماعدا "المفردات في غريب القرآن". ربما يعود ذلك؛ لسهولة الاستخدام. أما معجم "المفردات في غريب القرآن" فقد ذكر المفسر سبب تفسيره لكلمات القرآن منه، قائلاً: "هو من أوثق القواميس التي تشرح مفردات القرآن، وقد ألفه العلامة أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني المعروف عادة بالإمام الراغب، ويذكره بعض المؤرخين باسم الأصفهاني فقط. واني لا أقتبس من كتابه في تفسيري إلا نادراً، لأننا نستهدف في منشوراتنا دحض التأثير المسموم للمستشرقين"⁽²⁾.

والحديث عن معجم "المفردات" يأخذنا إلى الحديث عن غريب القرآن الكريم، فقياس مدى اهتمام المفسر بغريب القرآن في كامل تفسيره صعب جداً أن يحصر في بحث كهذا، فاخترت جزءاً متوسطاً من القرآن الكريم؛ ليكون مقياساً على مدى اهتمامه من عدمه. فعدت إلى الألفاظ التي فسرها الإمام البخاري في صحيحه من كتاب تفسير القرآن الكريم⁽³⁾، وجمعها محمد فؤاد عبد الباقي بعد ذلك في "معجم غريب القرآن الكريم مستخرجاً من صحيح البخاري". وهذه الألفاظ من الجزء الرابع عشر من

(1) أخرج البخاري في صحيحه (8 / 120)، رقم الحديث (6581)، كتاب الرقائق، باب الحوض: "حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح وَحَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكُوْثَرُ، الَّذِي أُعْطَاكَ رَبُّكَ".

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص449.

(3) وسبب اختياري له؛ لأقيس مدى بيان المفسر للمعنى اللغوي للمأثور أثناء تفسيره.

القرآن الكريم وفيها سورتين مكيتين (الحجر والنحل)، وقارنت تفسير الإمام البخاري لها⁽¹⁾ بالتفسير الكبير للمفسر بشير الدين محمود⁽²⁾، فوجدت ما يلي:

1. فسر الإمام البخاري في صحيحه ثلاثاً وأربعين لفظاً أو كلمة قرآنية من الجزء الرابع عشر⁽³⁾، بينما فسر المفسر بشير الدين محمود في تفسيره الكبير اثنين وأربعين لفظاً منها⁽⁴⁾. وهذا يدل على مدى اهتمامه بتفسير الألفاظ القرآنية.

2. فسر المفسر بشير الدين محمود ثلاثاً وتسعين لفظة منها في "شرح الكلمات"، وثلاثة ألفاظ أثناء تفسيره.⁽⁵⁾

3. اعتمد المفسر على المعاجم اللغوية في تفسير ألفاظ غريب القرآن في هذا الجزء، وهي مقسمة على ما يلي:

أ- فسر من معجم "أقرب الموارد" منفرداً، اثنان وثلثون لفظة.⁽⁶⁾

(1) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، (80/6-82).

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص3-419.

(3) 1- {كِتَابٌ مَّعْلُومٌ} [الحجر: 4]، 2- {لَوْ مَا تَأْتِينَا} [الحجر: 7]، 3- {شَيْعٌ} [الحجر: 10]، 4- {سُكَّرَتْ} [الحجر: 15]، 5- {بُرُوجًا} [الحجر: 16]، 6- {لَا مَنَ اسْتَرْقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر: 18]، 7- {لَوَاقِحٌ} [الحجر: 22]، 8- {حَمًا} [الحجر: 26]، 9- {صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} [الحجر: 41]، 10- {تَوَجَّلْ} [الحجر: 53]، 11- {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} [الحجر: 62]، 12- {ذَابِرٌ} [الحجر: 66]، 13- {لَعْمَزُكٌ} [الحجر: 72]، 14- {الصَّيْحَةُ} [الحجر: 73]، 15- {لِلْمُتَوَسِّمِينَ} [الحجر: 75]، 16- {يُهْرَعُونَ} [هود: 78]، 17- {الْيَمَامُ مُبِينٌ} [الحجر: 79]، 18- {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ} [الحجر: 80]، 19- {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ} [الحجر: 87]، 20- {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} [الحجر: 90]، 21- {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} [الحجر: 91]، 22- {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99]، 23- {ثُرَيْحُونَ} [النحل: 6]، 24- {تَسْرَحُونَ} [النحل: 6]، 25- {يَشِيقٌ} [النحل: 7]، 26- {قَصْدُ السَّبِيلِ} [النحل: 9]، 27- {تَسِيمُونَ} [النحل: 10]، 28- {تَمِيدٌ} [النحل: 15]، 29- {فِي تَقْلُوبِهِمْ} [النحل: 46]، 30- {عَلَى تَخَوُّفٍ} [النحل: 47]، 31- {مُفْرَطُونَ} [النحل: 62]، 32- {لِلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ} [النحل: 66]، 33- {سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلًا} [النحل: 69]، 34- {وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ} [النحل: 70]، 35- {حَفَدَةٌ} [النحل: 72]، 36- {أَكْنَانًا} [النحل: 81]، 37- {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} [النحل: 81]، 38- {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ} [النحل: 81]، 39- {دَخَلًا بَيْنَكُمْ} [النحل: 92]، 40- {أَنْكَائًا} [النحل: 92]، 41- {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل: 98]، 42- {رُوحُ الْقُدْسِ} [النحل: 102]، 43- {فِي ضَيْقٍ} [النحل: 127].

(4) جميع ما سبق ما عدا لفظة {تَوَجَّلْ} [الحجر: 53].

(5) الثلاثة ألفاظ التي وضحها أثناء تفسيره، هي: 1- {كِتَابٌ مَّعْلُومٌ} [الحجر: 4]، 2- {بُرُوجًا} [الحجر: 16]، 3- {صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} [الحجر: 41]، وما تبقى فكان يشرحها في "شرح الكلمات".

(6) جميع الألفاظ باستثناء ما ذكر من النقاط القادمة: (ب)، و(ج)، و(د).

ب-فسر من معجم "المفردات" منفرداً، لفظتين⁽¹⁾. ومن معجم "تاج العروس" منفرداً، لفظتين⁽²⁾.

ج- اشترك في تفسير اللفظة الواحدة من معجمين، وذلك في خمسة ألفاظ.⁽³⁾

د- فسر لفظاً واحداً وهو ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾⁽⁴⁾، من تفسير القرطبي بدون الاستناد الى أي معجم.⁽⁵⁾

4. يلاحظ التزام المفسر بشير الدين محمود في ذكر معاني ألفاظ غريب القرآن وفقاً للتفسير المأثور الذي أخرجه وذكره الإمام البخاري في صحيحه بشكل كبير، فيما يتعلق بالجزء الرابع عشر من القرآن الكريم.

مثال ذلك: قال الإمام البخاري: "﴿مُفْرَطُونَ﴾"⁽⁶⁾: «مُنْسِيُونَ»⁽⁷⁾، وذكر المفسر بشير الدين محمود أيضاً في تفسيرها: شرح الكلمات: ... مفراطون: أفرط الأمر: نسيه.. التفسير: ... أي كما أنهم تركوا الله تعالى كذلك سيتركهم الله في العذاب وينساهم.⁽⁸⁾

5. اختلف المفسر بشير الدين محمود مع التفسير المأثور في ذكر معنى اللفظ، بموضعين هما: ﴿الْمَقْتَسِمِينَ﴾⁽⁹⁾، و﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾⁽¹⁰⁾ الذي انحاز الى معناها اللغوي دون المأثور. فتفسيرها المأثور الذي ذكره الإمام البخاري: «الْبَيَانُ الدَّفْعُ مَا اسْتَدْفَأَتْ»⁽¹¹⁾، لكن المفسر بشير الدين محمود ذكر معناها بناء على ما ورد في معجم الأقرب، فقال: "وعلى الله قصد السبيل"

(1) 1- {كِتَابٌ مَّعْلُومٌ} [الحجر: 4]، 2- {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ} [الحجر: 80].

(2) 1- {يُرْوَجًا} [الحجر: 16]. 2- {لِيَأْمُرَ مُبِينٍ} [الحجر: 79].

(3) 1- {شَيْعٍ} [الحجر: 10]: أقرب الموارد والبحر المحيط، 2- {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر: 18]:

أقرب الموارد والمفردات، 3- {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} [الحجر: 90]: أقرب الموارد وتاج العروس، 4- {عَلَى تَخَوُّفٍ}

[النحل: 47]: أقرب الموارد والمفردات، 5- {سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلًا} [النحل: 69]: أقرب الموارد والمفردات.

(4) سورة الحجر: 7.

(5) قال المفسر: "شرح الكلمات: لوما: حكى النحاس: لوما" و"لولا" و"هلا" واحد. (تفسير القرطبي، تحت هذه الآية). بشير

الدين، التفسير الكبير، ج4، ص20. وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (4/10).

(6) سورة النحل: 62.

(7) البخاري، صحيح البخاري، (82/6).

(8) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص289.

(9) سورة الحجر: 90.

(10) سورة النحل: 9.

(11) البخاري، صحيح البخاري، (82/6).

أي بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق (الأقرب)⁽¹⁾⁽²⁾. مما أدى إلى تفسير الآية بعيداً عن سياقها الذي تحدثت فيه عن الأنعام.⁽³⁾

من خلال هذه الأمثلة: يتضح بعض منهج المفسر في تفسيره لمعاني ألفاظ القرآن، بذكر اسم المعجم اللغوي أو المرجع مختصراً باسمه الأول أو اسمه الأول والثاني بعد اقتباسه منه، مع أمانته العلمية أثناء الاقتباس. كما يستند أحياناً أكثر من مرجع عند شرحه للفظ أو الكلمة، سواء ليكثر من ذكر معانيه⁽⁴⁾، أو ليثبت ذلك المعنى الواحد.

ويمكن بيان منهج المفسر في بيان معاني ألفاظ القرآن وغريبه، من خلال النقاط الآتية:

أولاً: بيان ميزة اللغة العربية في اشتقاق كلمة من أخرى مع اتفاقها في المعنى والحروف الأصلية، دون ترتيب. فقال: "وهذه الميزة مختصة باللغة العربية دون سائر اللغات.. لأن الأسماء فيها تفيد التعرف على الشيء، ولو غيرنا أسماء المسميات ما حدث خلل ما. فمثلاً باللغة الأردنية يسمى الطعام المصنوع من الغلال "روتى" ويسمى بالإنجليزية "برد" وبالفارسية "نان".. ولو استبدلناها بأية أسماء أخرى ما كان لذلك أثر يذكر. ولكن اسم هذا الطعام في اللغة العربية "خبز" وهو اسم ذو معنى.. إذ إن مادة "خ ب ز" تدل على الصنع والانتفاخ. فمثلاً بزخ: نفخ صدره وأبرزه، خبز: سمن بدون مرض أو عيب، خبز: صنع شيئاً بضرب الكفين بسرعة. فالخبز شيء صنعه الأيدي بسرعة، وهو أيضاً منتفخ. وهذه الكلمة تصوير حقيقي لهذا الطعام. والآن، لو استبدلنا كلمة "خبز" بكلمة أخرى ما أفادت هذا المعنى".⁽⁵⁾

(1) الخوري، أقرب الموارد، (619/2).

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص204.

(3) قال المفسر بشير الدين محمود: "التفسير: المراد من قوله تعالى: {وعلى الله قصد السبيل} أنه حق على الله بيان قصد السبيل. وقد ذكر القرآن هذا المعنى في موضع آخر في قوله تعالى {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل: 12). وفي هذا تأكيد أن الله -عز وجل- وحده قادر على أن يدل على الطريق الخالي من الإفراط والتفريط، أما ما يصفه البشر من مناهج فلا تخلو من العيب أبداً. وقد وضّح بذلك أن كل البشر -إلا الذي يكون تحت رعاية الله الخاصة- فيهم نزعة العصبية والانحياز بشكل أو آخر، بسبب حبهم لأحد أو لبغضهم لآخر، وأن كل القوانين والتعاليم التي يستنها البشر يعوزها العدل الكامل دائماً...". بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص204-205.

(4) أي: أنه يشرح عدة معاني للفظ، وكل واحد منها من مرجع.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص200-202.

ثانياً: الاقتصار على أصل المدلول اللغوي للفظه بمعزل عن التفسير المأثور.

مثال ذلك: تفسيره اللوح المحفوظ، فقال: "وكما هو ظاهر من شرح الكلمات، فإن اللوح هو السطح العريض المكتوب عليه، خشباً كان أو عظماً، وهو من لاج يلوح.. أي ظهر. وحيث إن صفحة الورق يمكن طيها، لكن المكتوب على الخشب أو العظم لا يمكن طيّه، فلذلك يسمى لوحاً. والظاهر أن الشيء الذي لا يطوى فيه ميزة وعيب في وقت؛ الميزة أن كل واحد سيقروه، فيشاع بين الناس جيداً، والعيب أنه عرضة للمحو أو التلاعب لكونه مفتوحاً على الدوام، ولذلك زاد الله هنا كلمة {محفوظ} عند وصف القرآن الكريم"⁽¹⁾.

ولم يأت هنا على ما ورد في التفسير المأثور حول معنى اللوح المحفوظ⁽²⁾،⁽³⁾، ومثاله أيضاً ما جاء في شرحه لكلمات سورة المسد، حيث جاء في حديثه عن أبي لهب: "وأبو لهب يعني حرفياً: صاحب النار الملتهبة، ويعني عرفاً مخترع الأشياء النارية الملتهبة، أو من كان مصيره الاحتراق في لهب النار. أما المفسرون فيقولون إن تسميته بأبي لهب راجع إلى حسنه وإشراق وجهه. لقد بينت من قبل إنه لا يراد من أبي لهب شخص معين، بل هو إشارة إلى أمة تصبح غالبية في الزمن الأخير، وتوجج النيران ضد الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو الإسلام، أو تخرع مخترعات نارية مشتعلة وتضم إليها الشعوب المجاورة لتناصرها، فتصبح كأنها يدان لها"⁽⁴⁾.

وهذا التفسير معارض للمأثور بشكل قطعي والذي يدل على أن أبا لهب شخص كان معروفاً في الجاهلية، وفي مواقفه المعارضة للدعوة الإسلامية، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه حديث ابن عباس -رضي الله عنه-، حيث قال: "صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي:

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص492.

(2) أود التوضيح، أن المفسر عرض المعنى المأثور للوح المحفوظ، منكرًا إياه، مدعيًا أنها من الاسرائيليات، ولم يعرض في تفسيره أي دليل أو بيينة يبرهن فيه على صدق قوله. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص491.

(3) المعنى المأثور للوح المحفوظ: بأن اللوح المحفوظ في المأ الأعلى، أخرج الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ} [البروج: 22]، رقم الحديث: (7553)، (160/9): "وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ بِنِ خَيْاطٍ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبْتُ، أَوْ قَالَ سَبَقْتُ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ". وينظر أيضاً: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (373/8).

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص639.

«يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» -لِبَطُونِ فُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَفُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَحْبَزْتُكُمْ أَنْ حَيَلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝﴾ [المسد: 2] (1). إلا أن المفسر طعن في الرواية، قائلاً: "ولكن يجب أن نعلم أنه لم يُروَ شيء من الرسول -صلى الله عليه وسلم- في نزول السور، إنما هي روايات عن الصحابة... أما ابن عباس -رضي الله عنه- فلم يكن قد وُلد وقت نزولها، وإنما بلغ سن الرشد في المدينة المنورة، فمعرفة عن السور المكية ليست إلا سماعية، وعليه فلا نستطيع الجزم أن ما ذُكر من شأن نزول هذه السورة يقيني وقطعي" (2). وهذا الطعن يدل دلالة واضحة على ضعفه في علوم الحديث؛ لأن ابن عباس -رضي الله عنه- من الصحابة العدول، فما دام الحديث في سنده صحيح، فمعنى ذلك أن الصحابي ابن عباس -رضي الله عنه- ربما قد سمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه الرواية عندما كبر، أو سمعها من أحد الصحابة الذين شاهدوا هذا الأمر. والصحابة جميعهم عدول ثقات.

وأعجب من المفسر بشير الدين محمود، الذي قبل رواية ابن عباس -رضي الله عنه- المقطوعة الموقوفة في تفسيره ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ (3) بمعنى إني مميتك (4). ولم يقبل هذه الرواية الصحيحة!! وإن دل هذا، فإنه يدل على تعامله مع الأحاديث بانتقائية. فيختار الحديث أو يرفضه، بما يناسب رأيه وهواه، لا بما يمليه عليه صحة الحديث من ضعفه.

ثالثاً: بيان معاني الألفاظ من خلال الوجوه والنظائر.

ومعنى الوجوه والنظائر: "أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع تظير للفظ الكلمة

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وأندر عشيرتك الأقربين، رقم الحديث (4770)، (111/6).

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص627.

(3) سورة آل عمران: 55.

(4) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة} [المائدة: 103]، (54/6).

الْمَذْكُورَةَ فِي الْمَوْضِعِ الْآخِرِ، وَتَفْسِيرِ كُلِّ كَلِمَةٍ بِمَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى الْآخَرَى هُوَ الْوُجُوهُ. فَإِذِنِ النَّظَائِرُ:
اسْمٌ لِلْأَلْفَاظِ، وَالْوُجُوهُ: اسْمٌ لِلْمَعَانِي". (1)

ومن أجل التوضيح أكثر، فالوجوه: هو ما اتفق لفظه واختلف معناه. والنظائر: هو ما اختلف لفظه واتفق معناه. والنظائر أعم من الترادف؛ لأنَّ الترادف ينحصر في المعاني المتشابهة، والنظير قد يكون في المعاني المتشابهة أو في الأوزان، أو الأشكال، أو في الإعراب أو الاشتقاق وما شابه ذلك. (2)

وقد اهتم المفسر بذكر وجوه الكلمة المتعددة أثناء ذكره لمعناها في "شرح الكلمات"، وتفسير الكلمة أو اللفظة القرآنية بناء على وجوهها المتعددة وعدم حصرها على وجه واحد، إلا إذا أبطل السياق إحدى الوجوه. قال المفسر: "القاعدة في ألفاظ القرآن الكريم أن يؤخذ بكل المعاني المختلفة للفظ الوارد في آية، إلا ما أبطله الله تعالى في الآية نفسها أو في آيات أخرى" (3).

وهذه من محاسن تفسيره، فهو يفسر الآيات بمعاني متعددة، ولا يقصرها على المعنى المأثور، ولا تعارض تلك المعاني الأخرى للمأثور.

ومن الأمثلة على ذلك، تفسيره للفظة (يقيمون الصلاة) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (4). حيث قال: "يقيمون: قام يقوم قياماً: انتصب ضدَّ قعد. قام الأمر: اعتدل. قام على الأمر: دام وثبت. قامت السوق: نفقت. قام الحق: ظهر وثبت.. وأقام الصلاة: أدام فعلها. أقام للصلاة: نادى لها. وأقام الله السوق: جعلها نافقة. (الأقرب) (5) وورد في المفردات: قوله

(1) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: ت (597هـ). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم. ط1. لبنان: مؤسسة الرسالة. 1984م. ص83.

(2) ينظر: السيد حيدر شيرازي وفاطمه زاده. دراسة تحليلية إحصائية في النظائر اللغوية في تفسير مجمع البيان «الترادف والتباين والاشتراك». مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. فصالية محكمة. العدد الثامن عشر: (صيف 1393هـ.ش/2014م). ص95-100.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص309.

(4) سورة البقرة: 3.

(5) الخوري، أقرب الموارد، (4/444).

تعالى: {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} .. أي يديمون فعلها ويحافظون عليها (1) (2)، ثم بين أن إقامة الصلاة تدل على المعاني الآتية (3): "أما قوله تعالى {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}. فقد سبق أن ذكرنا أن من معاني إقامة الصلاة:

1. المثابرة عليها. فالقيام على الأمر هو المداومة عليه، فقوله {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يعني أنهم يستمرون فيها ولا يتركونها ولا مرة واحدة.

2. ومن معاني الإقامة التعديل والتسوية، وعليه فقوله تعالى {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يعني أن المتقين يؤدون الصلاة مع شروطها الظاهرة، ولا يخالفون ما وُضع لها من قواعد.. مراعين ما وضعه الشرع للوضوء من شروط. ويصلون الصلاة في مواقيتها، ويحسنون ما في الصلاة من قيام وركوع وسجود وقعود.

3. ومن معاني قوله تعالى {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} أنهم يرغّبون الآخرين فيها، لأن إقامة الأمر يعني ترويقه أيضا وترغيب الناس فيه. وعليه فقوله تعالى {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يعني أن هؤلاء المتقين يصلون كما يحثون الآخرين على أدائها وينشطون الكسالى بترغيبهم فيها.

4. وقبل الصلاة بالجماعة تردد كلمات الأذان بشيء من الزيادة دعوة للإمام لأن يصلي بالناس، وهذه الكلمات تسمى إقامة. وعليه فمن معاني إقامة الصلاة بالجماعة. وفي بلادنا يقولون قامت الصلاة. وعليه فمن معاني قوله تعالى {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} أنهم يؤدونها ويجعلون الآخرين يصلون.

ثم استدل المفسر على صحة هذه المعاني، وعدم معارضتها للمأثور، فقال: "إن هذه المفاهيم التي بينتها مستنبطاً من المعاني اللغوية لقوله تعالى {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يؤيدها القرآن والحديث" (4)، ثم ساق الأدلة من الآيات القرآنية على ذلك. (5)

(1) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: (ت504هـ). المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. دمشق: دار القلم. 1412هـ. ص690.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص83.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص88-90.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص90.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص90.

لكن من المآخذ على تفسيره، عندما يفسر أحد وجوه الألفاظ بما يناسب رأيه المخالف للمأثور -ويكثر هذا النوع عند تفسيره لجزء عم-.

مثال ذلك: حديثه عن معنى (العصر) في سورة العصر، حيث قال: "العصر: عصر العنب ونحوه عصراً: استخرج ماءه. وعصر الشيء عنه: منعه. وعصر فلاناً: أعطاه العطيّة. وعصره حبسه. والعصر مصدر؛ ومن معانيه: اليوم؛ الليلة؛ العشيّ إلى احمرار الشمس... ومن معاني العصر: الرهط والعشيرة؛ المطر من المعصيرات؛ العطيّة. والعصر والعصر والعصر: الدهر. وجمعها عُصور"⁽¹⁾، فذكر معنى مأثوراً من معانيها فقال: "الواو في قوله تعالى {وَالْعَصْرِ} للقسم، والمراد: نقدّم العصر شهادةً على أن الإنسان لفي خسر"⁽²⁾،⁽³⁾، وفسر اللفظ بمعاني متعددة بناءً على وجوه الكلمة، فقال: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٤﴾ .. أي نقدم هذا العصر شهادةً أنه مهما امتلك هذا الإنسان من قوة وعتاد مادي إلا أنه سوف يكون في خسر حتماً لبُعدِه عن الله تعالى... ومن معاني العصر: الرهط والعشيرة، وعليه فالمراد من قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٤﴾ أننا نقدّم قومَ محمد -صلى الله عليه وسلم- شهادةً على أن الإنسان مندفع نحو الخسران... ومن معاني العصر: العطيّة، وعليه فالمعنى أننا نقدّم العطيّة شهادةً على أن الإنسان في خسر، بمعنى أن الله تعالى عندما يُنعم على الدنيا بعطيّة النبوة والوحي، فلا يزدهر إلا المؤمنون، أما الآخرون فيظلون محرومين من الرقي.⁽⁵⁾

وكلها تدور في فلك معنى واحد. بيد أنه فسر إحدى معاني العصر بما يخالف المأثور، فقال: "والمعنى الثاني للعصر "العشي إلى احمرار الشمس"، أي الجزء الآخر من النهار، بتعبير آخر الجزء الأخير من نهار الشمس المحمدية، وعليه فإنّ مفهوم قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص734.

(2) المرجع السابق.

(3) أخرج الإمام البخاري في صحيحه من كتاب تفسير القرآن (177/6): "قَالَ يَحْيَى: الْعَصْرُ: الدَّهْرُ، أَقْسَمَ بِهِ"، وأخرج الإمام الطبري في تفسيره (589/24): "حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: (وَالْعَصْرِ) قال: العصر: ساعة من ساعات النهار... والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر (وَالْعَصْرِ) اسم للدهر، وهو العشيّ والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكلّ ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه".

(4) سورة العصر: 1-2.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص738-750.

حُسْرٍ ﴿١﴾ أنه عندما يأتي زمن الانحطاط على الإسلام في الزمن الأخير ويبعث الله تعالى محمداً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لإحياء دينه ثانية⁽²⁾.

ومن المآخذ أيضاً، عندما يفسر بعض وجوه الألفاظ بما يناسب رأيه المخالف للمأثور، مع تجاهله تفسير أحد الوجوه التي تحمل المعنى المأثور؛ ليبطل ذلك المعنى.

مثال ذلك: فسر المفسر بشير الدين محمود "القارعة" بالقنبلة النووية⁽³⁾، مما اضطره الى أن يفسر جميع آيات سورة القارعة بما يناسب هذا المعنى. منها آية ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾⁽⁴⁾، فقد ذكر المفسر معاني هاوية في "شرح الكلمات" قائلاً: "هاوية: هوى الرجل: مات. وهوى الشيء: سقط من علو إلى أسفل. والهاوية: الثائلة؛ من أسماء جهنم (الأقرب)⁽⁵⁾"،⁽⁶⁾. وقد فسرها بمعاني متعددة -تخالف المأثور- بناء على وجوها اللغوية، فقال: "فالمراد من قوله تعالى ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أنهم يموتون موتاً غير طبيعي، ويبادون. كما كان موت الشعبين الياباني والألماني غير طبيعي في هذه الحرب العالمية؟!"⁽⁷⁾. كما أبطل المفسر وجهاً من وجوها بتجاهل تفسير معنى ذلك الوجه الذي ذكره في "شرح الكلمات"⁽⁸⁾، وهو المعنى المأثور الذي قال به الصحابة والتابعين مثل: عبد الله بن عباس -رضي الله عنه-، وقتادة⁽⁹⁾. أن المعنى من قوله تعالى ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾: أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم الملازمة، وقيل: إن معنى ذلك، فأم دماغه هاوية في النار، أي: يلقي في النار على رأسه.⁽¹⁰⁾

(1) سورة العصر: 1-2.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص740.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص696.

(4) سورة القارعة: 9.

(5) الخوري، أقرب الموارد، (4/444).

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص697.

(7) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص702.

(8) الهاوية: من أسماء جهنم.

(9) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (24/575-576).

(10) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: ت(1376—). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. (بلام): مؤسسة الرسالة. 1420هـ-2000م. ص933

المطلب الثاني: الأخذ بمسائل النحو والإعراب

يعدّ الإعراب من الأركان الهامة في التفسير اللغوي، قال السيوطي في كتابه "الإتقان": "النَّوعُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ: فِي مَعْرِفَةِ إِعْرَابِهِ... وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا النَّوعِ مَعْرِفَةُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْإِعْرَابَ يُمَيِّزُ الْمَعْنَى وَيُوقِفُ عَلَى أَغْزَاضِ الْمُتَكَلِّمِينَ".⁽¹⁾

مع أهميته، إلا أن المفسر بشير الدين محمود لم يعتنِ بالنحو والإعراب كما اعتنى بمعاني ألفاظ الكلمات ووجوهها. لكنه تعرض له في تفسيره، وقد رصدت تعرضه بهذا الجانب في النقاط الآتية:

أولاً: الاستعانة بالإعراب لتوضيح المعنى

مثال ذلك: ما جاء في تفسيره لقوله تعالى ﴿الرَّ كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ (سورة إبراهيم:1)، حيث قال: "كلمة (كتاب) في الآية خبرٌ مبتدأ محذوف، والتقدير: هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك"⁽²⁾.

ثانياً: الاستعانة بآراء المدارس النحوية

تحدث المفسر عن مدرستين كبيرتين للنحو، فقال: "كانت هناك مدرستان كبيرتان للنحو؛ بصرية وكوفية. إن نحاة هاتين المدينتين اختلفوا في قواعدهم، وبالتالي اختلفوا في استخراج المسائل النحوية أيضاً. إن معظم أهل الهند يتبعون الكوفيين في الفقه.. أعني أنهم يتبعون الإمام أبا حنيفة الكوفي، ولكن فيما يتعلق بالنحو فإنهم يتبعون البصريين أكثر"⁽³⁾.

وهذا يعلل سبب تأثره بالمدرسة البصرية في النحو، مثال ذلك: عند تفسيره لآية ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْأَمْثَكِ رَبِّينَ﴾⁽⁴⁾: "بئس: كلمة نَمٌّ، وهي فعل ماضٍ جَمَدَ لإخراجه عن موقعه، فهو محوّل عن بؤس الرجل أي أصاب بؤساً، وحقّ فاعله أن يكون مقروناً بلام الجنس أو مضافاً إلى مقرون بها، وقد يُضمَر مفسراً بنكرة منصوبة على التمييز أو بما النكرة نحو: بئس رجلاً زيداً، وبئس ما زيداً"⁽⁵⁾.

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (309/2).

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص558.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص107.

(4) سورة النحل:29

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص264.

وهذا مذهب البصريين، الذين ذهبوا إلى أنّ (نِعْم) و(بِئْسَ) فعلان ماضيان لا يتصرفان، وذهب الكوفيون إلى أنّهما اسمان مبتدآن. بسبب أن (بِئْسَ) موضوعة لغاية الذم، فجعل دلالتهما على الزمان مقصورة على الآن؛ لأنك إنما تمدح وتذم بما هو موجود في الممدوح والمذموم لا بما كان فزال، ولا بما سيكون ولم يقع.⁽¹⁾

لكن المفسر لا يتفق مع البصريين دائماً، فقد قال مثلاً: "أودّ أن أبيّن أن البصريين يرون أن المحذوف المتعلق باللام في قوله تعالى {لِإِيلَافٍ} هو ما ورد في آخر السورة السابقة، والتقدير عندهم: "فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ" (جامع البيان للطبري)⁽²⁾. وهناك سؤال ينشأ عن هذا التقدير وهو: أحمى الله الكعبة من أجلها هي أم من أجل إيلاف قريش؟ ألم يكن الله تعالى ليهلك أصحاب الفيل لولا إيلاف قريش؟ ولو أهلكهم، والحال هذه، فكيف يعتبر هلاكهم منةً على قريش؟ إذن، فقول البصريين يؤدي إلى تناقض في الظاهر؛ إذ أخبر الله تعالى في السورة السابقة بأنه أهلك أصحاب الفيل إرساءً لتعظيم الكعبة، بينما قال هنا إنه أهلكهم إيلافاً لقريش. بل إن هذا الاعتراض يتقوى أكثر في بادئ الرأي إذا أخذنا في الحسبان المفهوم الذي بينته؛ إذ قلت إن الله تعالى لم يهلك أصحاب الفيل تعظيماً للكعبة فقط، بل لإرساء عظمة محمد -صلى الله عليه وسلم- أيضاً، مما يعني أنه كان من قبل سببان لإهلاك أصحاب الفيل: تعظيم الكعبة وإيلاف قريش، فأضفتُ إليهما سببا ثالثاً، وهو الأهم والأولى عندي"⁽³⁾. وهذا رأي الكوفيين: أن لام الابتداء الداخلة على المضارع مخصّصة له بالحال⁽⁴⁾.

ومن منهجه أيضاً، أنه يذكر أقوال الكوفيين والبصريين، مع الترجيح بينهما وفقاً لسياق الآية. لكنني سأكتفي بالمثال السابق. من أجل الاختصار وعدم الخوض بأمثلة كثيرة في هذا الموضوع.⁽⁵⁾

(1) ينظر: الأتباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله: ت(577هـ). الإتنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. 2مج. ط1. (بلام): المكتبة العصرية. 1424هـ-2003م. (81/1).

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (620/24).

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص107-108.

(4) ينظر: الأتباري، الإتنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، (330/1).

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، (681/4-682)، (642/10).

ثالثاً: العناية بالضمائر ومرجعيتها، لما لذلك من أثر في تحديد المعنى

مثال ذلك: تفسيره الضمير المتصل في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾⁽¹⁾، فقال: "ما أبلغه من كلام حيث ذكرت الحقيقة في كلمات موجزة للغاية. يقول عز من قائل: إنما لم نقصد بكلمة {أَهْلِكَ} كل من في بيتك، وإنما قصدنا المؤمنين فقط، لأن أهلك الحقيقيين من هم على صلة بالله - عز وجل -. وقوله تعالى {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} يمكن تفسيره بطريقتين؛ الأول: أن يكون ضمير الغائب في (إنه) راجعاً إلى دعاء قام به نوح، والمعنى: أن دعائك هذا يا نوح ليس عملاً صالحاً إذ ليس في محله، لأن الصالح من الأعمال ما يكون ملائماً للموقف. لقد سبق أن أعلننا قضاءنا، فلا جدوى من هذا الدعاء وقد حان العذاب. والثاني: أن يكون الضمير عائداً على ابنه، وتكون كلمة (عمل) بمعنى عامل، أو يكون هناك محذوف والتقدير: إنه ذو عمل غير صالح، والمعنى: أن ابنك ليس من أهلك لأنه لم يزل يعمل عملاً غير صالح أي كان يرتكب أعمالاً غير صالحة منافية للتقوى. وكلا التقديرين جائز وفق القواعد العربية".⁽²⁾

لكن ما يؤخذ على تفسيره للضمائر، أنه فسرها على رأي يناسب تفسيره الإشاري للآية أو السورة. مثال ذلك: قال المفسر: "فكما أن ضمير الغائب في قوله {أَنْزَلْنَاهُ} عائد على القرآن الكريم كما هو واضح في المعاني التي بينها أنفاً، كذلك يرجع ضمير الغائب هذا إلى المذكور في قوله تعالى {أَرَأَيْتَ} و {عبداً}، وهو محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فثبت أن قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽³⁾ يعني أيضاً أنزلنا محمداً في هذه الليلة".⁽⁴⁾

(1) سورة هود: 46.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 3، ص 255.

(3) سورة القدر: 1.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 9، ص 435.

وفسرها بأنها عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليناسب المعنى الإشاري لهذه الآية وهو: "أنزلنا محمداً في ليلة روحانية شديدة الظلام اقتضت أن ينزل فيها رسول من الله لإصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات"⁽¹⁾. وهذا المعنى مخالف لصحيح المأثور.⁽²⁾

رابعاً: الاستعانة بالنحو في تأييد مذهبه

من المآخذ الكبيرة على المفسر، استخدامه للنحو والاعراب في حرف معنى الآية الظاهري إلى معنى آخر يخالف المأثور.

مثال ذلك: قال المفسر في قوله تعالى ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾⁽³⁾: "يعني بحسب فهم العامة أنها كانت ترمي عليهم حجارة من سجيل، ولكنه يمكن أن يعني أيضاً أنها كانت ترميهم على حجارة من سجيل، ذلك أن من عادة الطيور الجارحة آكلة الميتة من نسور وحدان أن تأخذ قطعة من اللحم وتجلس على حجر وتضربها به وتأكلها.. ربما تضربها به لتلينها أو لتنظيفها.. لذا فالأصح أن الباء هنا بمعنى (على)، لا سيما وقد هلك القوم بمرض الجدري. وانتشرت جنثهم في العراء. فالمراد من الآية أن الطيور التي تأكل لحم الحيفة اجتمعت هنالك، فكانت تنهش جنثها ثم تأكل لحمها ضاربة إياه على الصخور. والثابت من اللغة والقرآن الكريم أن الباء تأتي بمعنى (على). قال الشاعر: أَرَبُّ يَبُولُ الثُّعْلَبَانُ بِرَأْسِهِ.. لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعْلَابُ... وقال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿إِن تَأْمَنَهُ بَقْنَطَارٍ﴾⁽⁴⁾.. أي على قنطار".⁽⁵⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص436.

(2) فقد جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ". وهذا يتقي مطلقاً تفسيره الإشاري. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، رقم الحديث (2014)، (45/3)، وينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (446/3).

(3) سورة الفيل:4.

(4) سورة آل عمران: 75.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص100.

والرد على ذلك:

1. هذا تفسير مخالف لإجماع الصحابة والتابعين⁽¹⁾، بأن الطير الأبايل كانت ترميهم بحجارة معها.
2. ذكر النحويون أن حرف الباء له ثلاثة عشر معنى، أهمها (الاصاق) واختلف بعضهم إذا كان من معانيها الاستعلاء (أي: أنها تأتي بمعنى على) أو لا. فسيبويه لم يذكر لحرف الباء معنى غير الالتصاق، فهذا أصله. فهو معنى لا يفارقها. وهذا معناها الحقيقي، أما صرفها بمعنى آخر (الاستعلاء) يكون مجازياً.⁽²⁾

3. إذا أردنا تفسير القرآن بالقرآن، فإن الرمي بالسجيل المنضود ورد في مكان آخر من القرآن الكريم. وذلك في سورة هود، عندما تحدث عن سيدنا لوط وعذاب قومه. فقال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾⁽³⁾. من العجيب، أن بشير الدين محمود فسر هذه الآية بمعناها الحقيقي، فقال: "وتطأير الأحجار التي تتساقط على الأرض كالمطر"⁽⁴⁾. وبإلته، فسر تلك الآية، وبسورة الفيل بالمعنى الحقيقي.⁽⁵⁾

المطلب الثالث: قلة الاهتمام بالأساليب البلاغية

من خلال الاطلاع على التفسير الكبير لبشير الدين محمود، يظهر بشكل واضح قلة اهتمامه بالأساليب البلاغية، ويعود ذلك إلى ثلاثة أسباب:

- (1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (606/24)، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (631/8)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص935.
- (2) ينظر: المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي: ت(749هـ). الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. ط1. لبنان: 1992م. ص36-42.
- (3) سورة: 83.
- (4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص303.
- (5) قصة أصحاب الفيل عند المفسر: اعتصم عبد المطلب مع قريش بالجبال ينتظر هجوم أبرهة، لكن الجيش لم يتحرك في ذلك اليوم لعدم تحرك الفيلة غالباً، فانتشر الجدري فيهم على نطاق واسع حتى المساء وأخذ الآلاف يضطربون من ويلاته، وفي اليوم الثاني والثالث أخذوا يموتون. ومعلوم أن الجدري مرضٌ مُعْدٍ جداً؛ حيث ينتقل من الواحد إلى الآخر بسرعة، فانتقل من المصابين إلى الأصحاء ووقعت الفوضى في الجيش كله، فجاءت الطيور التي تأكل لحم الجيفة، تضربهم بالحجارة تنهش لحمهم، وترميهم على حجارة صلبة. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص21-67.

1. اعتماد المفسر منهج مناقشة الخصوم وإثبات الحجة عليهم أثناء دفاعه عن القرآن الكريم وعن عقائده وآرائه في تفسيره الكبير، مما يجعل الأمور البلاغية ليست مقصداً عنده؛ لعدم أهميتها أمام الخصوم الذين لا يتحدثون اللغة العربية ولا يقدرّون أهميتها وقدرها.

2. تفسيره للقرآن الكريم باللغة الأوردية مما يضعف الاهتمام لدى القارئ أو المستمع الهندي والباكستاني في التعرف على أساليب اللغة التي لا يفقهها ولا يحسن معرفتها ولا يتحدث بها.

3. أن المفسر عربياً، ولم ينشأ وترعرع مع العرب. صحيح أنه تعلم العربية واستطاع التحدث بها بعد ذلك، ويبدو من تفسيره أنه كان مطلعاً على كثير من قواعدها. لكن طبيعة النشأة تؤثر في اتقان البلاغة وإدراك أسرارها.

مع هذا، فإن المفسر بشير الدين محمود تناول بعض الأساليب البلاغية والبيانية في تفسيره، ويرصد الباحث منهجه فيها في النقاط الآتية:

أولاً: يبين التآلف بين اللفظ والمعنى، ودقة دلالة ألفاظ النص القرآني

مثال ذلك: قال المفسر: " ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾⁽¹⁾.. عندما دعا إبراهيم بهذا لم تكن مكة بلداً، وإنما كانت هناك بعض الأكواخ، وكانت واديا غير ذي زرع ولا ماء.. فدعا إبراهيم أن اجعل هذه الأرض الجرداء بلداً.. وإلا لقال (اجعل هذا البلد آمناً)، ولكنه قال (اجعل هذا بلداً آمناً). فدعاء إبراهيم لم يكن لمدينة يريد لها النماء والازدهار.. وإنما دعا لأرض قفرٍ كي تكون بلداً آمناً. فهناك احتمال أن يحدث الفساد والفتنة في المدن، لأنه عندما يجتمع الناس ويعيشون معا تقع الشجارات والحروب وأنواع الفساد".⁽²⁾

(1) سورة البقرة: 126.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص160-161.

ثانياً: بيان أسلوب الكناية

يعرض المفسر أحياناً "الكناية"⁽¹⁾ في الآيات بما يوافق المأثور، مثاله: عندما فسر آية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾⁽²⁾ قال في شرح الكلمات: "يُذْهَبُكُم: الذهابُ: المُضِيُّ، وهو كنايةٌ عن الموت أيضاً، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. (المفردات)⁽³⁾،"⁽⁴⁾.

وأحياناً يذكر "الكناية" على معنى إشاري يخالف المأثور، مثال ذلك: قال المفسر: "ف قوله تعالى ﴿فَأَلْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾⁽⁵⁾ إشارة إلى سمو أخلاق الصحابة.. كما أن هذه الآية تشير إلى سخاء المسلمين وكرمهم، لأن إشعال النار كنايةً عن السخاء والشجاعة أيضاً، فما زال شعراء العرب يعيرون أعداءهم قائلين: إن نارنا لا تزال تنتقد، أما ناركم قد انطفأت"⁽⁶⁾. لكن معناها المأثور الذي روي عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنه-: ﴿وَأَلْعَدِيَّتِ ضَبْحًا﴾⁽⁷⁾ هي الخيلُ، ﴿فَأَلْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ الرَّجُلُ إِذَا أُورِيَ زَنْدَهُ"⁽⁸⁾.

ثالثاً: إظهار أسلوب التصوير الفني في القرآن، وهو قليل جداً في تفسيره

مثال ذلك: قال المفسر: "فالمراد من قوله ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾⁽⁹⁾ أن بعض أهل هذه القرى (أي الشعوب) لا تزال ذريتهم قائمة باقية، وبعضها قد انقرضت أو صارت شبه منقرضة. والمفهوم الثاني:

(1) الكناية: ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره، وهي: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي؛ لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته. ينظر: قاسم، محمد أحمد ومحبي الدين ديب: علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني». ط1. لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب. 2003م. ص286-288

(2) سورة ابراهيم: 19.

(3) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص332.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص588.

(5) سورة العاديات: 2.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص658

(7) سورة العاديات: 1.

(8) الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم: المستدرک علی الصحیحین. ت(405هـ).

4مج. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ-1990م. رقم الحديث: 3967، كتاب

التفسير، تفسير سورة العاديات. (581/2). والحديث فيه ضعف لجهالة الراوي (مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُحَبُّوبِيُّ بِمَرَوْ).

(9) سورة هود: 100.

هو القرى نفسها، والمراد من قوله تعالى ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ أن آثار بعض هذه المدن لا تزال باقية بينما لم يبقَ لبعضها الآخر أي أثر. وهكذا يلفت الله الأنظار إلى حقيقة تاريخية مهمة بأن بعض الشعوب التي مرَّ ذكرها آنفاً لا تزال آثارها ومعالمها موجودة باقية، بينما اندرست آثار بعضها الآخر نهائياً أو أصبحت في عالم المجهول.. ولو أنهم يعثرون عليها في المستقبل فهذا أيضاً لا يقدر في القرآن العظيم لأنه يصفها بكلمة (حَصِيدٌ)، والحصيد ما قُطِع بالمنجل، والمعروف أن النبات المقطوع بالمنجل تبقى أصوله محفوظة باقية⁽¹⁾.

ويقصد بها المفسر: أن الآية عبرت بالصورة المحسّنة المتخيلة لآثار المدن التي انقرضت، بالنبات المقطوع بالمنجل الذي يقطع جزءاً كبيراً من الزرع، لكن أصله يبقى دون أن يمسه المنجل. كذلك بعض آثار المدن ينفي جزء كبير من آثارها لكن تبقى بعض أصولها قائمة.

رابعاً: رفض وجود التكرار في القرآن الكريم

ينكر المفسر وجود "التكرار" في الآيات من دون غرض، فغرض التكرار -من وجهة نظره- هو الإتيان بمعنى آخر، قال المفسر: "إذا أعيد الكلام لغرض جديد فهذا لا يناقض حسن الكلام، ولا ينافي البلاغة، وإنما التكرار الذي يتعارض مع البلاغة فهو ما لا فائدة منه ولا غرض. ومثال ذلك قولنا في مجلس للناس: اجلسوا. ثم نقول بعد قليل: اجلسوا. في المرة الأولى كان الكلام موجهاً للواقفين في ذلك الوقت، وفي الثانية لمن لم يجلسوا بعد. فإعادة جملة واحدة هنا ليس مخالفاً للفصاحة، ولا يسمى تكراراً، لأن لكل جملة غرضاً وهدفاً"⁽²⁾. كما أنه لم يذكر أن للتكرار هدفاً بلاغياً ولا يرجح ذلك، وهذا الأمر استنتجته عندما عرض قولين، الأول نقله من تفسير الرازي أن التكرار في قوله تعالى ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ ﴿٤﴾﴾ يفيد التأكيد⁽⁴⁾، والثاني نقله من تفسير روح المعاني ما أخرجه عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه -أنه ليس تكراراً، بل هو إشارة

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص325.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص259.

(3) سورة النكاثر: 3-4.

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (271/32).

إلى حدثين: الأول في القبور والثاني في النشور⁽¹⁾. مرجحاً المعنى الثاني بقوله: "وأرى أن الجملة الأولى تتعلق بالدنيا والثانية بالآخرة، كما قال الله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾⁽²⁾.. أي أنهم سيرون مصير أعمالهم في الدنيا كما يلقون العذاب في الآخرة".⁽³⁾

(1) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (453/15).

(2) سورة الإسراء:72.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص726

المبحث الثاني

منهج التفسير الكبير في التفسير العلمي

التفسير العلمي: هو التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن الكريم للنظريات والاصطلاحات العلمية، وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها. (1)

بدأت نزعة التفسير العلمي من العصر العباسي الذهبي إلى أيامنا، ومن الطبيعي أن تكون بداية هذه النزعة العلمية على شكل محاولات للتوفيق بين الإسلام وبين ما ترجم من ثقافات أجنبية وما استحدث من علوم في البيئة الإسلامية، حتى صارت هذه النزعة قوية ومعلنة في القرن الخامس الهجري وما تلاه، إلى أن صارت هذه النزعة ضخمة غالبة في أواخر القرن التاسع عشر إلى أيامنا بفعل تخلف المسلمين في الناحية العلمية والصناعية وتقدم الغرب وتفوقه. وكان الإمام الغزالي أول من وضع الأسس النظرية للتفسير العلمي، أما الفخر الرازي (ت: 606هـ) صاحب تفسير "مفاتيح الغيب" المشتهر بالتفسير الكبير، فقد طبق كل ما استحدثته البيئة الإسلامية من ثقافة علمية وفكرية على آيات القرآن الكريم. (2)

اختلف العلماء في قبول التفسير العلمي من عدمه، بيد أن معظمهم في عصرنا الحالي يميلون إلى قبوله؛ وذلك بسبب الحقائق العلمية التي اكتشفت وهي توافق ما صرح به القرآن الكريم من دون غموض أو لبس. لكن وفقاً لضوابط معينة، أهمها: (3)

1. ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن؛ وهو الهداية والإعجاز.

(1) المحتسب، عبد الحميد: اتجاهات التفسير في العصر الراهن. ط3. الأردن: منشورات مكتبة النهضة الإسلامية. 1982م. ص247.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص245-251.

(3) ينظر: الرومي، فهد بن عبد الرحمن: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. 3مج. ط1. السعودية: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد. 1407هـ-1986م. وينظر: المصلح، عبد الله عبد العزيز: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه. ط3. المملكة العربية السعودية: دار جياذ للنشر والتوزيع. 2011م. ص33-34.

2. أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.
3. أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة، ويفتحهم إلى جلال القرآن، ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعاً يعيد للأمة الإسلامية مجدها.
4. ألا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه؛ بل تذكر لتوسيع المدلول". وأيضاً من الضوابط التي تحدث عنها العلماء، ألا يقتضي التفسير العلمي للآية نقض ما أجمع عليه السلف.

اهتم مفسرو الجماعة الأحمديّة بالتفسير العلمي، بدأً من مؤسس الجماعة المرزا غلام أحمد الذي أبرز اهتمامه في كتابه "فلسفة تعاليم الإسلام"، والمفسر بشير الدين محمود الذي سار على نهجه، وتمثل منهجه في تفسيره "التفسير الكبير"، بما يلي:

أولاً: تفسير القرآن بالنظريات العلمية

اعتنى المفسر بشير الدين محمود بعرض النظريات العلمية وتفسير الآيات القرآنية بها، سواء وافقت التفسير المأثور أو خالفته. وأوضح مثال ذلك: آيات خلق الكون والإنسان، وقد تحدث المفسر عن مراحل الخلق مقسماً إياها إلى أربعة مراحل، فقال: "وقد ذكر القرآن الكريم أربع مراحل للخلق كالآتي:

المرحلة الأولى: وهي عندما لم يكن لأي شيء وجود سوى الله تعالى.

المرحلة الثانية: وهي التي خلقت فيها المادة.

المرحلة الثالثة: وهي التي أخذت فيها هذه المادة في التفاعل والتشكّل نتيجة الاجتماع، وبدأت تنشأ فيها طاقات مختلفة، وتترتب فيها قوانين شتى يُسمى اكتمالها السنن الطبيعيّة.

المرحلة الرابعة: وهي التي تكرّرت فيها عملية الخلق نتيجة هذه السنن الطبيعيّة، أعني بدأت سلسلة التوالد والتناسل وشرع الإنسان يولد من إنسان وأخذت الغلال تنبت من غلال".⁽¹⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص575-576.

وللتوضيح أكثر، نبدأ أولاً بآيات خلق الكون.

فقد فسر بشير الدين محمود الآيات التي تتحدث عن خلق الكون بنظريات وأبحاث علمية تتوافق مع المأثور أو لا تتعارض مع ضوابط التفسير العلمي. ويتضح ذلك، من خلال تفسيره لآية ﴿كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾⁽¹⁾، إذ قال: "ولقد بين الله تعالى هنا حقيقة لم يكن الناس يعلمونها قبل هذا القرن، وهي أن كل كرة فلكية تتكون كالاتي: تتجمع كومة هائلة من الذرات في الفضاء، ثم تنقلص شيئاً فشيئاً، وعندما تنكمش الذرات في هذه الكومة أكثر تأخذ في الدوران، فتتفصل بعض أجزائها من أطرافها وتسقط بعيداً، وهكذا تتكون النظم الفلكية التي منها نظامنا الشمسي الذي تقع فيه كرتنا الأرضية. إن النظريات التي قدمها العلماء حتى اليوم حول تكوّن النظام الشمسي كلها تُجمع تقريباً على أن كرتنا الأرضية كانت قبل شكلها الحالي جزءاً من الشمس أو من كرة مماثلة للشمس. إن النظرية الأخيرة التي قدمها "فريد هامل" (من جامعة كيمبرج) تقول إن تلك الكرة المماثلة للشمس كانت زميلة لها، وعندما انفجرت هذه الكرة تشكلت كواكبنا، حتى أخذت أرضنا شكلها الحالي المنفصل. ثم تولد في الأرض بخار الماء، ثم من الماء وُجدت الحياة".⁽²⁾

وهذه من نظرية الانفجار العظيم، التي لا تعارض المعنى الظاهري للآية، ولا تعارض التفسير المأثور. بل تشابه مع تفسير الصحابي ابن عباس رضي الله عنه-، عندما سئل الليل كان قبل أو النهار، فأجاب: "أرأيتم السماوات والأرض حين كانتا رَتْقًا هَلْ كَانَ بَيْنَهُمَا إِلَّا ظُلْمَةٌ؟ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّيْلَ قَبْلَ النَّهَارِ"⁽³⁾.

ومن آيات خلق الكون التي فسرها المفسر بشير الدين محمود، حيث قال: قوله تعالى ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾⁽⁴⁾. لا يعني "اليوم" هنا اليوم الشمسي المعروف. فيرى مجاهد وابن حنبل وابن عباس وزيد بن الأرقم أن هذا اليوم يساوي ألف يوم عادي (ابن كثير وروح المعاني، سورة الأعراف)⁽⁵⁾... فإنها لا

(1) سورة الأنبياء: 30.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص575-576.

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (433/18)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (297/5).

(4) سورة السجدة: 4.

(5) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (382/3)، وينظر: الألويسي، روح المعاني، (373/4).

تتحدث عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وإنما تتحدث عن ستٍ من مدارج الخلق ومراحله حيث ذكرت أن الأرض خُلقت في يومين أي مرحلتين، ثم في أربعة أيام أي في مراحل أربع زوّدت بالكفاءات والقدرات اللازمة لحياة الإنسان وبقائه ورقبه فيها. وإن الآية لا تنفي أبداً خلق أي شيء آخر بجانب خلق الأرض وكفاءاتها في هذه الفترة الزمنية الطويلة. فخلق السماء في يومين لا يعني أنها خلقت في وقت ما بعد المراحل الست الأولى، بل المراد من ذلك هو أن خلقها على صورة كاملة استغرق مرحلتين ولكنهما لم تكونا منفصلتين عن المراحل الست، وإنما خُلقت في نفس الفترة التي خُلقت فيها الأرض. فالمجموع إذن ست فترات لا ثمانٍ. وإن علم طبقات الأرض أيضاً يؤكد على أن خلق الكون كلّه تم في فترة واحدة ... فكانت الأرض والأجرام السماوية كلها تقطع معاً مراحل استكمالها في فترة واحدة، ولا يصح القول إن الأرض خُلقت أولاً ثم جاء دور خلق الأجرام الفلكية أو أنه قد حدث العكس. كلا، بل إن الأمر هو على نحو ما يؤكد القرآن الكريم. إذ إنّه لم يذكر أي فترة منفصلة زوّدت فيها الأجرام السماوية بقدراتها وكفاءاتها... يتبين من هذه الآية وغيرها أنه قد جرت السُنّة الإلهية في خلق الكون أن كل شيء فيه يكتمل بالمرحلة السابعة. يتم خلقه في ست مراحل ويكتمل في المرحلة السابعة.⁽¹⁾

إذن، فتفسيرات المفسر لآيات خلق الكون، لا تعارض التفسير المأثور، ولا قواعد التفسير العلمي.

أما بالنسبة لآيات خلق الإنسان. فقد كان منهجه فيها مختلفاً، حيث فسرها بناءً على نظرية التطور الداروينية التي تعارض التفسير المأثور وإجماع السلف وظاهر الآيات.

فقد استند المفسر على جواب مؤسس الجماعة (المرزا غلام أحمد) الذي نقله في تفسيره، عندما سأله منجم استرالي، بأن التوراة ذكرت أن آدم أو الإنسان الأول ظهر في أرض جيحون وسيحون، وقطن هناك، فهل هؤلاء المقيمون في أمريكا وأستراليا وغيرها هم أيضاً من أبنائه؟ فأجاب المرزا: لسنا نقول بذلك، ولا نتبع التوراة في هذه القضية... كما أننا لا ندعي أن بني نوع الإنسان الذي يقطنون اليوم في مختلف أنحاء الأرض هم أولاد آدم هذا الأخير، بل إننا نعتقد بأن بني الإنسان كانوا موجودين قبله... فلا يمكن لنا الجزم بأن سكان أستراليا وأمريكا من أولاد آدم هذا، ومن الجائز أن يكون بعض

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص27-31.

الأودام الآخرين⁽¹⁾،⁽²⁾. وهذا ما آمن به المفسر بشير الدين محمود. إذ إن المفسر فسر الآيات التي تتحدث عن خلق آدم بتأويلات باطلة⁽³⁾؛ لتتناسب مع هذه النظرية.

فمن تأويلاته، قال المفسر: "ويصدق هذا المعنى قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿١٠﴾ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة: 7-9). تبين هذه الآية أن ترتيب خلق الإنسان كما يلي:

1. خلق الإنسان أولاً من طين، 2. ثم استمرار نسله بالنطفة المنوية، 3. ثم تمام اكتمال القوى الإنسانية فيه، 4. ثم بعد ذلك نزول الوحي الإلهي عليه.

فأدم الذي تشرف بكلام الله تعالى.. كان من ذرية الناس الذين خُلِقوا من النطفة، وليس من الذين تطوروا من خلق الطين كحلقة أولى للبشرية. وثمة آيات أخرى تدل على أن آدم -عليه السلام- لم يكن أول إنسان ظهر في الوجود، بل كان في عصره كثير من الناس غيره.. ففي سورتنا هذه يقول

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص188-196.

(2) قول المرزا غلام أحمد -باعقادي-، لم يكن بسبب بحثه أو ربما معرفته بالنظرية الداروينية. إنما بسبب تأثره بفكر محيي الدين بن عربي الذي قال بوجود آباء آخرين قبل آدم -عليه السلام- في كتابه "الفتوحات المكية"، وتأثره بقول الفلاسفة أمثال ابن خلدون.

(3) قصة آدم -عليه السلام- عند المفسر: تغلب عليها التفسيرات المجازية والرمزية. فحوار الله عز وجل مع الملائكة تصوير لما جرى على لسان حال كل شيء، بأن الله يريد أن يبعث للناس نبياً (خليفة)، فاستفسر الملائكة عن الحاجة الداعية إلى تأسيس هذا النظام الجديد مع ما يضمنه من خطر سفك دماء وانتشار فساد، فأجابهم عليه. أما سجود الملائكة لآدم، هو سجود حمد على هذه النعمة، وتأتي بمعنى آخر وهو الطاعة (أي: القيام بمصالحه ومصالح أولاده الأنبياء). ورفض إبليس السجود لآدم، بمعنى رفضه للنظام الجديد، ورفض طاعته لآدم؛ لأنه ناري الطبع (متمرد)، وآدم طيني الطبع إذ يتشكل في كل القوالب كالعبيد. بينما محادثة الله عز وجل مع آدم لم تكن كالمحادثات الإنسانية، بل كانت بصورة وحي سماوي مما يتلقاه الأنبياء، حيث أمره إلى الانتقال إلى موضع آخر في الأرض سماه الله "الجنة"، وهذه هي الجنة الأرضية قامت على أسس التمدن الاجتماعي كتعلم اللغة، ونظام الزواج الشرعي، ونظام التحليل والتحرير، ونظام التعاون، والكساء، والسكن. وأمره الله تعالى أيضاً إلى اجتناب (الشجرة) وهي كلمة على سبيل المجاز، يقصد بها اجتناب إبليس وأعدائه. بيد أن آدم خدع من الشيطان (وهم أشخاص كفروا برسالته) الذي ترك العداء الظاهري له وانضم إلى جماعته، وحلف لهم مؤكداً لهم صدقه وإخلاصه. فكانت نتيجة ذلك، حدوث الفساد في الجنة، والخروج من حالة الأمن والسلام التي كان فيها. فلما أحس آدم بخطئه أخذ وزوجته يغطيان نفسهما بأوراق الجنة، ويغطيان أي: يحتميان بالأوراق، والأوراق عنده تعني بذريته الطيبة وسكانها المؤمنون؛ لأنه: فسر ورق لغوياً بمعنى ورق. فأمره الله تعالى بعدها أن ينقل إلى مكان آخر (معنى: اهبطوا) وتاب عليه.

ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، (1/179-220) (5/552-559).

الله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾⁽¹⁾. ويصح من الناحية اللغوية أن يكون المراد بالزوج الأصحاب والجماعة، وبمعنى ذلك أن بني نوعه أيضاً كانوا موجودين من قبله⁽²⁾!! يبدو أن الجماعة الأحمدية هم من أوائل -إن لم يكونوا أول- من فسروا آيات خلق الإنسان بالنظرية الدارونية قبل الحداثيين الجدد.⁽³⁾

أما الرد على تأويل المفسر، وعلى نظرية أن الإنسان وجد نتاج عملية تطور الكائنات الحية، وعلى محاولة تلبيس الآيات القرآنية بها، بشكل مقتضب، ما يلي:

1. لا يوجد هناك دليل لغوي أو آية أو حديث يدل على أن {نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ}⁽⁴⁾ تعني نزول الوحي الإلهي، ولا يستقيم معنى النفخ بالنزول أو المخاطبة، ولا معنى الروح بالوحي.

2. قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾⁽⁵⁾ الزوج هنا لا يمكن أن يكون بمعنى الأصحاب، إنما بمعنى الزوجة؛ لأن الله تعالى خاطبهما في نفس الآية بـ (كلا)، و(سنتما)، و(لا تقربا)، و(فتكونا) وهذا خطاب للمثني. ولو قصد الله تعالى بهم الأصحاب لقال: (كلوا)، و(سنتم)، و(لا تقربوا)، و(فتكونوا).

3. ذكر الله تعالى في كتابه بشكل صريح أن آدم خلق من دون أب، كمثل عيسى، فقال: ﴿إِنَّا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽⁶⁾، والإيمان بهذه النظرية التي تقول إن آدم -عليه السلام- قد ولد من أب، مخالفة صريحة للقرآن.

(1) سورة البقرة:35.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص192

(3) الحداثيين الجدد الذين حاولوا تفسير القرآن تماشياً مع النظرية الداروينية، أمثال: محمد عبده، عبد الكريم الخطيب، مصطفى محمود، شريف عمرو، محمد شحرور، عدنان إبراهيم.

(4) سورة السجدة:9.

(5) سورة البقرة:35.

(6) سورة آل عمران:59.

4. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾⁽¹⁾. والسلالة لغة: من سلّت بمعنى

سحبت أو أخذت⁽²⁾، وقد وضّح النبي محمد صلى الله عليه وسلم-كيف أخذ من هذا الطين ليخلق به الإنسان، فقال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ"⁽³⁾.

5. ردّد. فضل عباس على الحدائين الذين يسعون إلى تأويل الآيات القرآنية، قائلاً: "إن نظرية داروين" مخالفة مخالفة تامة، لما أقره القرآن من حقائق، يجعل من المحال تأويل آي القرآن ليتفق مع نظرية كانت نهايتها أنها قول لا مضمون له"⁽⁴⁾.

في ختام هذه المسألة، لا بد أن أوضح اختلاف المفسر بشير الدين محمود مع أصحاب النظرية الداروينية، فالمفسر يرى أن التطور الإنساني مستقل بنفسه ومنفصل عن غيره من التطورات، فهو ليس مجرد مظهر صادف التطور الحيواني. بل كان تطوره قد دبره الله تعالى منذ بذرة خلقه في البداية بحيث لا يخرج منها في آخر المطاف إلا الإنسان.⁽⁵⁾

ثانياً: عدم إغفال التفسير اللغوي والإشاري عند التفسير العلمي. فكثيراً ما يفسر الآيات التي تتحدث عن المظاهر الطبيعية، تفسيراً لغوياً وعلمياً وإشارياً، مبتدأً بالتفسير اللغوي.

مثال ذلك: تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾⁽⁶⁾، حيث قال: "فالمراد من قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أننا جعلنا شمساً يُحَسُّ حرُّها الشديد من بعيد. والملاحظ هنا أن الله تعالى لم يقل: "وجعلنا السراج وهَّاجاً"، بل قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾؛ ذلك لأن التتوين هنا يفيد التفتيح والمعنى أننا قد جعلنا شمساً عظيمة من صفتها أنها وهَّاجة. وورد في المفردات: "الْوَهْجُ: حصولُ

(1) سورة المؤمنون:12.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (14/19)، وينظر: عمر، أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، (1089/2).

(3) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة، رقم الحديث: (2955)، (204/5). قال عنه الإمام الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وذكر الإمام الألباني في "مشكاة المصابيح" (1/36) بأنه: (صَحِيح).

(4) عباس، فضل: قصص القرآن الكريم. ط1. الأردن: دار النفائس. 2010م. ص153.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص199-201.

(6) سورة النبأ:13.

الضوء والحر من النار . وقوله تعالى {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا}.. أي مضيئًا. وتوهج الجوهر: تالأ⁽¹⁾. فالمعنى الثاني أننا جعلنا شمسًا صفتها الذاتية أنها شديدة الضوء... لقد بين الله تعالى بوصف الشمس وهاجًا أن ضوءها وحرها ذاتيان. القمر لا يمكن أن يسمى وهاجًا لأنه لا يتقد، إنما الشمس هي التي تتقد كما تتقد النار. لقد خلق الله تعالى في الشمس عنصر "الراديوم" (Radium)، وعندما تتجذب ذراتها إلى الداخل نتيجة قوة الجاذبية تحدث ضوءًا وحرًا كما تؤدي إلى انقراض النار بشكل مستمر. إن صفة كون الشمس وهاجة لغنية عن البيان. تبعد الشمس عن الأرض قرابة تسعين مليون ميل... ومع ذلك يصل حرها إلى الأرض، ويبلغ في الصيف حدًا لا يقدر بعض الناس على احتماله ويموتون... أما نظرًا إلى موضوع غلبة النبي -صلى الله عليه وسلم- فأرى أن قوله تعالى {سِرَاجًا وَهَاجًا} يتضمن إشارة خفية إلى هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم-... تتضمن هذه الآية الإشارة إلى كون رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- عالمية حيث بين الله تعالى أنكم سترون تعاليم محمد -صلى الله عليه وسلم- تنتشر في العالم كله كما ينتشر ضوء الشمس في الدنيا كلها... وفي وصول الحر والضوء من مكان بعيد إشارة إلى امتداد فيوض النبي -صلى الله عليه وسلم- من حيث الزمن أيضًا حيث بين الله تعالى أن زمن فيوضه ممتد جدًا، وكما أن الشمس المادية ستظل تسد الحاجات المادية لأهل الدنيا إلى يوم القيامة كذلك ستمد الفيوض الروحانية العالم باستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها⁽²⁾.

لكن من المآخذ عليه، إغراق الآيات التي تتحدث عن المظاهر الطبيعية بالتفسير الإشاري.

ثالثاً: الرد على بعض التفسيرات العلمية المتعارضة مع الحقائق العلمية المكتشفة

ومثال ذلك: قال المفسر بشير الدين محمود في تفسيره للآية ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾⁽³⁾: "لذلك نجد المفسرين المتأخرين يشيرون إلى أخطاء المفسرين القدامى في بيان كيفية تكوّن الدم. غير أن ما ذكره المتأخرون أيضاً لا يتفق تماماً مع ما أكدته البحوث العلمية، ولكن كلمات القرآن الكريم متطابقة تماماً مع الاكتشافات الحديثة

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 885.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج 8، ص 25-28.

(3) سورة النحل: 66.

وهي: أن الغذاء يصل من معدة الحيوان إلى الأمعاء، وهناك جزءٌ لطيف من هذا الغذاء المهضوم يصل مباشرةً إلى القلب عبر العروق وينقلب لدى وصوله إلى الأوردة دمًا، وهناك جزء لطيف آخر يصل من المعدة مباشرة إلى الكبد، ثم ينصب في القلب عبر الأوردة ويصير دمًا؛ ولدى انصباب الدم في الصرع يحدث من التفاعل ما يحوِّله إلى اللبن. كان الناس في الماضي يجهلون هذه الحقيقة بحيث إن المفسرين القدامى قد عانوا مشكلة كبيرة في شرح هذه الآية؛ لأنهم ظنوا بحسب الأفكار السائدة في زمنهم أنه خلال تحوُّل الغذاء إلى الفرث والدم يقع تفاعلٌ يُنتج اللبن. فقد كتب صاحب الكشاف: "إذا أكلت البهيمة العلفَ فاستقرَّ في كرشها طَبَخَتْه، فكان أسفلهُ فرثًا، وأوسطه لبنًا، وأعلاه دمًا"⁽¹⁾ (راجع أيضًا البحر المحيط، ابن كثير)⁽²⁾. مع أن الآية تقول إن الغذاء يتكون لبنًا بعد مروره بمرحلتَي الفرث والدم، وهما الشيطان اللذان لا يرضى أحد بتناولهما، ولكن عندما يصير الغذاء لبنًا يستسيغ الناس شربه بكل شهية ومرتعة، لأنه عندئذ يكون خالصًا نقيًا مما يوجد في الفرث من نجاسة وفي الدم من سموم"⁽³⁾.

رابعاً: الاعتماد في التفسير العلمي على مراجع أجنبية

ينقل النظريات العلمية أثناء تفسيره للآيات، من مصادرها البحثية العلمية الإنجليزية، في الغالب. وأحياناً لا يذكرها.

مثال ذلك: عندما فسر آية ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾⁽⁴⁾، وضع في نهاية تفسيره مرجعها العلمي الذي اقتبس منه⁽⁵⁾، فقال: "أي لقد جعلنا في الأرض جبالاً لكي لا تضطرب بالناس وتُدْمَر. بمعنى أن الهدف من خلق الجبال أن تظل الأرض متينة ثابتة على توازنها. ذلك أن علم طبقات الأرض تؤكد أن الأرض لا تزال ساخنة من داخلها، وإن كانت الآن أقل حرارة مما كانت عليه في بداية خلقها. إن حرارة الأرض عندما أذابت ما بداخلها من الصخور نتيجة شتى التقلبات

(1) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: ت(538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. 4مج. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ. (615/2).

(2) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/498)، وينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (6/553).

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص294-295.

(4) سورة الأنبياء: 31.

(5) (Marvels and Mysteries of science: crust of the Earth & Encyclopeda Britannica; geology)

تولدت في باطن الأرض غازات كثيرة حاولت الخروج إلى سطح الأرض نتيجة الضغط الداخلي، مما أدى إلى الزلازل وانفجار البراكين وتكوّن الجبال. كما أن توازن القشرة الأرضية أيضاً يلعب دوراً في تكوّن الجبال، وهكذا فإن الجبال تسبب في توازن سطح الأرض أيضاً، وتحوّل دون أن تتسبب التقلبات العادية الحاصلة داخل الأرض في إحداث تغيير هائل فوق سطح الأرض، اللهم إلا التغيرات الاستثنائية التي قد تقع على الأرض كالكارثة. ووقوع مثل هذه التغيرات الاستثنائية ثابت من تاريخ كرتنا الظاهر من خلال الآثار الموجودة على سطحها. إذاً فالجبال تحمي الأرض من الاضطراب والزلازل، كما أن بعضاً منها يكشف لنا، في شكل براكين، منظرًا للقوى العاملة في باطن الأرض".⁽¹⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص606.

الفصل الخامس

منهج التفسير الكبير في تفسير آيات العقيدة

المبحث الأول

استعراض منهج التفسير الكبير في التوحيد

يؤمن المفسر بشير الدين محمود بأركان الإيمان، ويرى أن الإيمان لا بد أن يكون نابغاً من القلب مصداقاً به عمله، وليس من اللسان فقط، قائلاً: "وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعني به أن كل من قال لا إله إلا الله بصدق، ثم عمل بحسبها، دخل الجنة حتماً؛ إذ كيف يمكن أن يؤمن أحد بالله تعالى ثم لا يعمل بأحكامه ووصاياه؟ فثبت أن المراد من قوله -صلى الله عليه وسلم- هذا أن من قال لا إله إلا الله بصدق وإخلاص فلا بد أن يدخل الجنة، وليس المراد أن من تقوه بأن لا إله إلا الله بلسانه فقط دخل الجنة، كما يظن عامة المسلمين اليوم" (1).

ودليل الإيمان الحقيقي -كما يعتقد المفسر- أن يحب الله تعالى ويقدمه على كل شيء، فقال: "فانظر كيف أن القرآن قد بيّن هنا مقياساً لمعرفة حب الله -عز وجل- عند كل إنسان. فمن الناس من يكون الشعور بالإحسان عنده قوياً فيكون أباه أحب إليه من كل شيء سواهم، فقيل له: إن كان أبائك أحب إليك من الله تعالى فلم تصل إلى درجة الإيمان بعد. ومنهم من يستولي عليه حب استمرار النسل أكثر من أي شيء آخر، فيكون أولاده أحب شيء إليه، فقيل له ولأمثاله: إن كان أبناؤكم أحب إليكم من الله -عز وجل- فلستم من أهل الإيمان المقبول... ومنهم من يرضنّ بالمال بحيث يكون ماله أعز عليه من نفسه وولده، فهناك كثير من البخلاء الذين أدت بهم الشقاوة لدرجة أنهم لم ينفقوا على علاج أولادهم المرضى، فماتوا وهم يقاسون آلام المرض؛ فقيل لمثل هؤلاء: عليكم أن تؤثروا حباً الله على حب المال وإلا لن تحرزوا مقاماً رفيعاً في الصلاح والتقوى" (2).

ويعرض الباحث في هذا المبحث منهجه في قضية التوحيد من خلال أقسام التوحيد الثلاثة، في المطالب الآتية:

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص490.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص340-341.

المطلب الأول: توحيد الربوبية

ويعني: الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بالإجابة عند الاضطرار، الذي له كل الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله.⁽¹⁾

بيّن المفسر بشير الدين أن التوحيد والإيمان بالله - عز وجل - هو دين الفطرة، التي يخلق بها كل الناس، فقال: "لقد ذكر القرآن الكريم هنا تلك الآيات والبراهين الدالة على التوحيد التي تُوجد في نفوس الكفار... إنه لمن الحقائق الثابتة أنه عند حلول المصائب الشديدة لا يلجأ الناس إلا إلى الله - عز وجل -. فمثلاً إن النصارى يؤلّهُون المسيح - عليه السلام -، ولكنهم لا يبتهلون إليه بسبب الحرب الدائرة حالياً بين إنجلترا وألمانيا، وإنما يدعون الله تعالى لتفريج الكروب. فلو كانوا موقنين بألوهية المسيح حقاً لما فعلوا هكذا أبداً... فلو كان في قلوبهم يقين راسخ وتأثير عميق لألوهية اللات والعزى لاستغاثوا بهما في ذلك الوقت العصيب، ولكنهم لم يدعوهما، بل دعوا الله تعالى، وهذه هي شهادة الفطرة"⁽²⁾.

كما ساق المفسر بعض الأدلة على وجود الله - عز وجل -، وأنه خالق كل شيء، منها:

1. دليل الكون على وجود الله، يقول: "كل ما في الكون خاضع لنظام واحد كحلقات سلسلة واحدة فلا مناص من التسليم بأن الكون مخلوق بيد إله واحد.. اللهم إلا أن يقال أن الإله الواحد لم يكن بمفرده قادراً على خلق الكون كله، فتوزّع الآلهة المتعددة الأعمال فيما بينهم، فأنجز كل منهم ما عهد إليه بحسب الخطة المتفق عليها فيما بينهم من قبل. ولكن لا أحد يعتقد بهذا حتى ولا الملحدون، لأنه منافٍ للعقل، إذ لا يمكن أن يكون الناقص إلهاً. وهذا الدليل يوصل المرء إلى نتيجة واحدة فقط هي: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾⁽³⁾ (4).

(1) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. 1421هـ. ص9.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص279.

(3) سورة البقرة: 163.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص237.

2. دليل الرزق. حيث وجود هذا العدد الهائل من الحيوانات، وإطعامها، دليل على وجود الله، إذ قال: "يُدّعي الإنسان بفضلَه على الحيوانات الأخرى، ولكنه يتكبد في كسب رزقه مشقةً وعناءً، بينما تجد هذه الكائنات الحية من حيوانات وحشرات -التي تبلغ البلايين لا الملايين- غذاءها مهيناً ميسراً. وهذا دليل على وجود ذات عليا لا يخفى عليها أي من مخلوقاتها، إذ لا يرزقها الإنسان، وإنما يرزقها الله -سبحانه وتعالى-".⁽¹⁾

المطلب الثاني: توحيد الألوهية

ويعني: إفراد الله وحده بالعبادة، والذل والخضوع والمحبة والخشوع والركوع والسجود والذبح، وسائر أنواع العبادة لا شريك له.⁽²⁾

يدعم المفسر بشير الدين محمود قول القرآن الكريم بأن عقيدة التوحيد أسبق زمنًا من الشرك، ويدافع عنها. فقال: هناك اختلاف في هذه المسألة بين القرآن الكريم وبين علماء مقارنة الأديان الغربيين. فالقرآن يؤكد على أن عقيدة التوحيد أسبق زمنًا من الشرك، ولكن هؤلاء يقولون بأن الناس كانوا مشركين في بداية الأمر، ثم بدأوا يفكرون في وجود إله واحد، فنشأت نظرية التوحيد الإلهي ... ولكن التاريخ والواقع الحاضر يشهدان على صدق موقف القرآن الكريم. لقد كان اليهود موحدين في بداية الأمر، حتى إن المستشرقين أيضًا يعترفون بأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- علم التوحيد الكامل، ولكن انظروا كيف صار اليهود بمرور الزمن مشركين وثنيين عمليًا. وهذا ما حدث بالناس في البداية، كانوا موحدين ثم صاروا مشركين. وهذا ما يؤكد القرآن الكريم هنا بأنهم عندما قطعوا صلتهم بالخالق أخذوا يبحثون عن الملاذ في المخلوقات، وهكذا تسرب فيهم داء الشرك.⁽³⁾

والشرك نوعان في نظر المفسر: "أحدهما الاعتقاد بوجود آلهة عديدة وإن كان بعضها أكبر من بعض، وثانيهما: اعتبار كل ما سوى الله مخلوقًا، مع إعطاء بعض هذه المخلوقات درجة الألوهية. فالنوع الأول هو شرك في ذات الله، والنوع الثاني هو شرك في صفات الله، وقد فند الله تعالى بقوله

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص71.

(2) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص21.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص544-545.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽¹⁾ عقائد كل أولئك الذين يؤمنون بإلهين أو ثلاثة، أو يتخذون له ابناً أو بنات، أو يعبدون الأصنام. فبقوله تعالى أولاً ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم بقوله ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽²⁾، ثم بقوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁽³⁾ قد بين الله تعالى أن الذين يشركون الأشياء الأخرى في صفات الله هم على الباطل، فإن الإنسان مهما كان عظيمًا فهو محتاج إلى الله تعالى في كل حال، إذ من المحال لمخلوق أن يبلغ درجة الله، ولا أن يشترك في فعله تعالى".⁽⁴⁾

تحدث المفسر أيضاً عن أضرار الشرك وخطورته على الإنسان، فقال: "فالحق أن الذين يتخذون البشر آلهة لن ينتفعوا بهم. والذين يرفعون النبي إلى درجة الإله أيضاً لا يمكن أن ينالوا البركات والمنافع المنوطة بالنبي، لأنهم لا يعاملونه كنبي، ولا يجدون لديه المنافع والبركات التي تُرجى من الله الخالق فقط، ذلك لأن النبي ليس بإله كما يظنون. والحقيقة أن هذا هو السبب الأكبر في تخلف الهند عن مواكبة البلاد الأخرى في مجال الرقي والتقدم، لأن أهلها بدأوا يؤلهون الماء والنار، ولا يبرحون عاكفين على عبادتهما. والحق أنهما أكبر العناصر التي يتوقف عليها تقدم الإنسان ورقيه، وقد سخرهما الأوروبيون لاحتياجاتهم الحياتية فسبقوا أمم العالم. ولكن قد بلغ الجهل بالهندوس درجة أن الإنجليز عندما بدأوا أثناء حكمهم لبلاد الهند في شق قناة من نهر "الغانج" أثاروا ضجة واحتجوا على الإنجليز قائلين: لماذا تقطعون آلهتنا. وهذا ما فعله المسلمون⁽⁵⁾ أيضاً زمن انحطاطهم حيث بدأوا يخلعون على الموتى صفاتٍ تخص الله وحده - عز وجل -، ويتوسلون إليهم لسد الحاجات ودفع الخطوب. فكانت النتيجة أنهم حُرِّموا من المنفعة الحقيقية التي كان بإمكانهم أن يجنوها من أولياء الله هؤلاء، أعني أن يتأسوا بأسوة هؤلاء الصالحين. وباختصار فقد أخبر الله تعالى هنا أن الشرك عائق كبير في رقي الإنسان، وأنه ليس بإمكان المشرك أن ينتفع حقاً مما أودع الله في خلقه من منافع ومرافق".⁽⁶⁾

(1) سورة الإخلاص: 1.

(2) سورة الإخلاص: 3.

(3) سورة الإخلاص: 4.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص662.

(5) من خطأ المترجمين أو المفسر التعميم هنا، فالأصل أن يقولوا "بعض المسلمين"؛ لأن هناك كثير من المسلمين في بلاد عدة لم يمارسوا تلك الشراكيات عند القبور، لا في زمن الانحطاط ولا في غيرها.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص505-506.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ويعني: إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبتته له رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنه رسول -صلى الله عليه وسلم- من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق.⁽¹⁾

يؤمن المفسر بشير الدين محمود بأسماء وصفات الله -عز وجل-، وينزّرها عن مشابهة المخلوقين، فقال: "إن قوله تعالى {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} يكشف حقيقة أخرى بأسلوب رائع، وهي: مع أن العباد يتصفون بصفات مشابهة لصفات الله تعالى، إلا أنه من المحال أن يكون له نَدٌّ ومثيل في صفاته، لأن الناس لا يتصفون بتلك الصفات اتصافاً يجعل أحداً منهم كُفُوًا لله تعالى. فعلى سبيل المثال إن الإنسان يُبصر ويسمع، ولكن سمعه وبصره محدود وناقص بحيث لا مقارنة بينه وبين الله تعالى فيهما. والحيوان يشبه الإنسان في الرؤية والأكل والمشى، ومع ذلك فلا يمكن أن يُعتبر كُفُوًا ونَدًّا للإنسان، لأن الإنسان ينجز ببصره وفمه ورجليه ما لا ينجزه الحيوان بها"⁽²⁾. ويرى أن عدم الإيمان بصفات الله -عز وجل- يؤدي إلى الشرك، كما حدث مع النصارى وغيرهم، فقال: "لو أن المسيحيين آمنوا برحمانية الله تعالى لزم عليهم الاعتراف بأن الشرع ليس لعنة، بل إن رحمانية الله تقتضي نزول الهداية من عنده تعالى؛ وإذا لم يكن الشرع لعنة، بل يؤدي العمل به إلى النجاة، لوجب إنكار الكفارة والفداء؛ وإنكار الكفارة ينفي بنوّة المسيح لله تعالى، ويطلان بنوّة المسيح لله تعالى يرادف هلاك المسيحية"⁽³⁾.

من أبرز أقوال المفسر بشير الدين محمود في الأسماء والصفات:

1. تنقسم صفات الله -عز وجل- إلى صفات رئيسية، وصفات تابعة لها.⁽⁴⁾

(1) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص 77.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 10، ص 669.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 5، ص 342.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج 5، ص 335.

2. تحديد اسم معين من أسماء الله على أنه "الاسم الأعظم" خطأ. حيث قال: "وليس بمستبعد أن تكون هذه الآية ردًا على ادعاء اليهود بمعرفة "الاسم الأعظم" .. حيث نبّه الله - سبحانه وتعالى - أن تحديد اسم معين من أسماء الله على أنه "الاسم الأعظم" خطأ. فعلى الإنسان أن ينادي الله تعالى باسم يناسب حاجته، وإذا لم يحضره ذلك الاسم المناسب وقت الدعاء فليعلم أن جميع أسمائه - سبحانه وتعالى - عظيمة، فليدعُه بأي منها، وسوف يستجيب الله له نظرًا إلى حالته القلبية"⁽¹⁾.

3. الدعاء بأسماء الله الحسنى بالاسم الملائم للمطلب الذي يدعو به.⁽²⁾

ومن انحرافات المفسر بشير الدين محمود في الأسماء والصفات، هو محاولته "تكيف"⁽³⁾ "يد الله" بيد الرسول - صلى الله عليه وسلم -، و"العرش"، على أنها صفات الله، مقتبساً ذلك من أقوال والده مؤسس الجماعة. ومن أمثلة ذلك:

1. قوله: "قال الله تعالى في القرآن الكريم لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: 10)، والحقيقة أن اليد التي كانت فوق أيديهم هي يد النبي - صلى الله عليه وسلم -، لا يد الله - سبحانه وتعالى -؛ ومع ذلك لا نقول أن نبينا - صلى الله عليه وسلم - إله. لماذا؟ لأنه لا توجد فيه - صلى الله عليه وسلم - صفات الله التي ذكرها القرآن في مواضع أخرى. مثلاً يقول الله تعالى عن نفسه إنه لا يأكل ولا يشرب، ولكن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يأكل ويشرب"⁽⁴⁾. وهذا نفسه تفسير والده المرزا غلام أحمد في كتابه "حقيقة الوحي"⁽⁵⁾.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص609.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص609.

(3) التكيف: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص88.

(5) قال المرزا غلام أحمد: "يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فقد اعتُبرت يد النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية يد الله، وواضح أنها ليست يد الله... وهذه الاستعارة أيضاً لا تتعدى التشبيه". القادياني، المرزا غلام أحمد: حقيقة الوحي، ص79.

والرد عليه: أن يد الله - عز وجل - فوق يد النبي - صلى الله عليه وسلم - التي تعلو يد المبايعين⁽¹⁾، و"يد الله" في عقيدة أهل السنة بلا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تكييف.

قال الإمام ابن تيمية في كتابه تحت عنوان "طريقة السلف في الصفات": "وطريقة سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله: من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات".⁽²⁾

2. قال المفسر عن العرش: "أي سوف يحمل العرش الإلهي يوم القيامة ثمانية أركان. أي أن الصفات الإلهية التنزيهية سوف تتجلى عندئذ عن طريق صفات تشبيهية ثمان كما تتجلى الآن في الدنيا بأربع، وهذه الأربع هي: رب العالمين، الرحمن، الرحيم ومالك يوم الدين⁽³⁾. يظن البعض أن العرش شيء مخلوق مادي، وذلك لفهمهم الخاطئ لآيات من القرآن الكريم، كقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (غافر: 7)، ودليلهم أن العرش مادام محمولاً فلا بد أن يكون شيئاً مخلوقاً مادياً. والحق أن استدلالهم غير سليم، لأن "الحمل" لا يراد به دائماً حمل الشيء المادي، بل يُستخدم أيضاً لبيان حقيقة الشيء، كقول الله - جل جلاله -: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72)⁽⁴⁾. ودافع عن رأيه ورأي والده من قبله، فقال: ولو أنهم قالوا بأن العرش وُضع بشكل مادي على الماء المادي بعد خلق السماوات والأرض، فهذا أيضاً لن يستقيم، لأننا لا نرى أي عرش موضوع على الماء بل لا نجد آثاراً أو علامات لذلك. إن الله - سبحانه وتعالى - حكيم وقول الحكيم لا يخلو من حكمة... فلا الماء

(1) وهذا قول السُّدِّيُّ نقله البيهقي في تفسيره: "كانوا يأخذون بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة". البيهقي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/224).

(2) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: ت(728هـ). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. 9مج. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. 1406هـ-1986م. (523/2).

(3) وهذا القول اقتبسهُ المفسر من والده المرزا غلام أحمد. ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: الخزانة الدفينة، ص139.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص34.

هنا مادي إذن ولا العرش مادي. وإنما الحق أنه -في لغة الوحي والدين- يعبرُ بالماء عن كلام الله -سبحانه وتعالى-، فالآية تعني أن العرش الإلهي موضوع على الكلام الإلهي.⁽¹⁾

الرد عليه: الحمل هنا مجهول، والأصل التوقف عن تفسير "العرش" وحمله؛ لعدم إدراكنا إياه. فالإيمان به من دون تأويل، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل. أما الماء، فلا يقصد بها الماء التي نراها، بل ماء أخرى لا نعلمها؛ لأن السماوات السبع كحلقة في فلاة الكرسي، الذي هو أيضاً حلقة في فلاة العرش العظيم.⁽²⁾

وهناك تفصيل في هذا الموضوع، وفقاً لعقيدة أهل السنة والجماعة، في كتاب "العرش" للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: 748هـ).

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص35-36.
(2) قال الإمام الطبري في تفسيره: "حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: "وسع كرسيه السماوات والأرض" قال ابن زيد: فحدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس. قال: وقال أبو زر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض". (الطبري، جامع البيان، (399/5)). وقال الألباني: "وجملة القول: أن الحديث بهذه الطرق صحيح". الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (226/1).

المبحث الثاني

منهج التفسير الكبير في القضايا الغيبية

يؤمن المفسر بشير الدين محمود بأن الغيب بيد الله وحده، فقال في تفسيره: "يزعم معظم المشركين بكل شدة أن آلهتهم تعلم الغيب، بل إن بعض الحمقى من المتصوفين المسلمين أيضاً يظنون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعلم الغيب -والعياذ بالله-... فالله تعالى يرد على مثل هؤلاء الوثنيين ويقول: إن علم الغيب لا يتيسر لأحد إلا أن يكون خالقاً، لأن خالق الشيء هو وحده يعلم بما في مخلوقه من قوى وصفات، ولو علم غيره بصفات ذلك الشيء ومزاياه لقدر هو الآخر على خلقه، ولكن الذين تتخذونهم آلهة ليسوا بخالقين، بل هم أنفسهم مخلوقون جميعاً. ما أروع ما فتدت به هذه الآية كون أحد، أيًا كان، عالمًا بالغيب إلا الله -عز وجل-". (1)

لكن الخلل عنده في التفسير هو تأويله لبعض الغيبيات، مثل: الآيات التي تحدثت عن الملائكة، والجن، وعلامات يوم القيامة الكبرى وأهوالها. وهو ما سيتم توضيحه، في المطالب التالية:

المطلب الأول: الملائكة والجن

أولاً: الملائكة

يؤمن المفسر بشير الدين محمود بوجود الملائكة⁽²⁾، وقد تحدثت عن بعض وظائف الملائكة⁽³⁾، وعن طاعة الملائكة لله تعالى، ففي تفسيره لآية ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽⁴⁾ قال: "هذه الآية وصف للملائكة، وإنما تُبطل كل ما نُسج حول هاروت وماروت من خرافات وأباطيل. إن الملائكة يخافون الله -عز وجل- ويفعلون ما يأمرهم به، فكيف يمكن أن يخرجوا عن طاعته"⁽⁵⁾. وله كتاب اسمه "ملائكة الله" تحدث فيه بشكل موسع عن ذكر الملائكة في الديانات أو المعتقدات الأخرى، وحقيقة الملائكة، وضرورتها، والأدلة العقلية لوجودها.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص233.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص199.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص183.

(4) سورة النحل: 50.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص275.

بيد أن تفسيره للآيات التي تحدثت عن الملائكة، شابها نوع من المجاز والتأويل، كأجنحة الملائكة، فهي في نظره الصفات التي يمتلكها الملك، فقال في تفسيره "التفسير الكبير": "يقول الله تعالى في القرآن الكريم عن الملائكة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ﴾ (فاطر: 1) .. أي لقد علمتم، أيها الناس، أننا قد جعلنا للملائكة أجنحة عديدة للرفي، وتذكروا أن عندكم فرصاً كثيرة للرفي" (1). وقد وضع المفسر معنى الأجنحة في كتابه "ملائكة الله"، فقال: "إن ما تقدم يدل على أن الملائكة هم مظاهر للصفات المختلفة، وإن كلمة "الأجنحة" تعني الصفات التي يتصفون بها وليس ريشاً" (2)!! (3).

ومن التأويل، أنه يؤول "الملك" بأنه رجل صالح، مثال: في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِأَيْدِي هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (4)، فقال: وقد أطلق القرآن "الملك" على الصالح النقي حيث ورد في شأن يوسف عليه السلام: (إن هذا إلا ملك كريم) (يوسف: 31) ... أي رجل صالح ذو محاسن. فالمراد من الملكين هنا رجلان صالحان كأنهما ملكان. ويؤيد رأينا ما ذكر من المهمات التي قام بها هذان الملكان؛ فقد ذكر أنهما كانا يلتقيان بالناس ويعلمانهم (5). وهذا مخالف للمأثور. (6) وانعكس تأثير هذا التأويل على قصص الأنبياء، فيرى مثلاً: أن الرسل الذين أخبروا إبراهيم بهلاك قوم لوط -عليهما السلام-، بأنهم أناس صالحون وليسوا ملائكة. (7)

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص640.

(2) بشير الدين، محمود أحمد: ملائكة الله. ترجمة: محمد طاهر نديم. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2019م. ص33.

(3) أتعجب من قول المفسر، فمن قال أن أجنحة الملائكة من ريش!! نؤمن أن للملائكة أجنحة، ولكن بما يناسب خلقها النورانية. علاوة على ذلك، لم يأت المفسر بأي دليل أو برهان أو قرينة على صحة كلامه إلا قول والده المرزا غلام أحمد! (4) سورة البقرة: 102.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص58.

(6) ذكر الإمام الطبري (310هـ) في تفسيره، العديد من الآثار التي تؤكد أن "هاروت وماروت" ملكين، وليسوا رجلين، وقال أيضاً: "حكي عن بعض القراء أنه كان يقرأ: (وما أنزل على الملكين)، يعني به رجلين من بني آدم. وقد دللنا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال، فأما من جهة النقل، فإجماع الحجة -على خطأ القراءة بها- من الصحابة والتابعين وقراء الأمصار. وكفى بذلك شاهداً على خطئها. الطبري، جامع البيان، (2/435-436).

(7) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص291.

كما كان المفسر يكثر من التفسير الإشاري للآيات التي تحدثت عن الملائكة بالتأنيث. مثال: تفسيره للآيات الخمس الأولى من سورة النازعات، فسرها بأنها الملائكة⁽¹⁾، وفسرها تفسيراً إشارياً بأنها جماعات الصحابة، فالنازعات: الغزاة الرماة الذين يعدون ويسبحون بخيولهم أثناء الغزوات، والناشطات: أن المسلمين سينتشرون في الدنيا، وينشطون في الدعوة لله...⁽²⁾.

ثانياً: الجن

يفرق المفسر بشير الدين محمود بين إبليس والشيطان والجن، فإبليس هو ذلك الكائن الوحيد الذي يؤمن به بهذه الصفات التي ذكرتها في التعريف، وقد خلق لاختبار البشر، وسيدخل النار، لكنه لا يعذب فيها، قال المفسر: "فلا شك أن الشيطان وإبليس مصيرهما جهنم، وأن الملائكة مصيرها الجنة، ولكن لن تجد الملائكة في الجنة أي متعة، كما لن يشعر الشيطان في جهنم بأي أذى. ذلك أن الشيطان كائن ناري، ومتى تتألم جذوة من النار إذا ما أُلقيت في الأتون؟! إن النار إنما هي مقام إبليس"⁽³⁾.⁽⁴⁾

والشيطان اسم عام يطلق على جميع القوى الشريرة، من أفراد بشرية أو جماعات أو دول، ويمكن أن يطلق على إبليس. وقد انعكس ذلك الاعتقاد على تفسيراته. فمثلاً: قال المفسر: جاء في وصف المنافقين حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (البقرة: 15). والمراد بالشياطين هنا أئمة الكفر؛ كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ

(1) من أقوال المفسر في تفسيره هذه الآيات: "هذه الآيات تتحدث عن الملائكة. بيد أن ثمة إشكالا وهو أن الضمائر هنا للمؤنث، مع أن الضمير الراجع على الملائكة يجب أن يكون مذكراً، كما في قوله تعالى ﴿رَوَيْفَعُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: 50). لم ينقل المفسرون عن الصحابة أي جواب على هذا الإشكال، بيد أنهم أجابوا عليه من عند أنفسهم وقالوا: صحيح أن الأصل هو الضمير المذكر للملائكة، ولكن قد ورد هنا الضمير المؤنث لأن المراد هنا طوائف الملائكة وجماعاتها. وكل المفسرين والعلماء متفقون على هذا المعنى وهذا التأويل... فلا بد من الاعتراف، في هذه الحالة، أن لكل طائفة من الملائكة مركزاً، وأن أفرادها يظنون على اتصال بهذا المركز، وأنهم يرفعون تقريرهم إلى رئيسهم، لكن ليس على طريقة البشر، بل بما يتناسب مع عظمة الملائكة وحالهم". بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص119-121.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص128-147.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص15-16.

(4) والرد عليه: أن رأيه مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة، بأن النار تعذب إبليس؛ لأنها جعلت عقاباً له، كما دلت عليه ظاهر الآيات.

مُؤْمِنِينَ ﴿آل عمران: 175﴾؛ وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى الْبَعْضِ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا﴾ (الأنعام: 112) ...فهؤلاء كلهم أهل الشر الذين يتزعمون المعارضة والتحريض عليه (1).

أما الجن، عند المفسر، فهو لا حقيقة له ولا وجود، ويمكن أن يطلق على أمور متعددة. ففسر لفظة "الجن" في تفسيره، بعدة معاني، وهي: (2)

1. كل كائن خفي غير مرئي لأعيننا من قبيل الشيطان. هذه الكائنات الخفية تحض البشر على الشر كما تحث الملائكة على الخير، ولكن تأثير الملائكة يكون واسعاً، بينما يكون تأثير هذه الكائنات ضيق النطاق.. بمعنى أنها إنما تتغلب فقط. وقد تسمى هذه الكائنات شياطين أيضاً. وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥٠﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (3).

2. سكان الكهوف: أي أولئك البشر الذين عاشوا ما قبل صلاحية الإنسان لتلقي الوحي، والذين كانوا يقيمون تحت الأرض في المغارات والكهوف، وما كانوا ملتزمين بأي نظام أو قانون. ولكن القرآن الكريم توسع في هذا الاستخدام فاخترع اصطلاحاً جديداً، حيث أطلق كلمة "الإنسان" على من يميل إلى الطاعة والانقياد من البشر، وكلمة "الجن" على البشر الذين طبعا لهم نارياً نائمة، فلا يخضعون للنظام والقانون. وهؤلاء الجن الذين ذكروا في قصة سيدنا آدم.

3. سكان المناطق الشمالية الغربية: مثل: أوروبا وغيرها الذين كانوا شبه منعزلين عن أهل الجنوب من آسيا وغيرها، وكان من المقدر لهم أن يحققوا ازدهاراً مادياً مدهشاً، وأن يتمردوا على الدين بشكل محير. وقد ذكرتهم سورة "الرحمن".

4. أجناب من أهل الشعوب والأديان الأخرى، الذين اعتبرهم البعض -مثل الهندوس واليهود- كائنات غريبة. وبحسب هذا الاعتقاد السائد لدى هؤلاء قد أطلق عليهم القرآن هذه التسمية، كمثل الجن الذين عملوا لسليمان -عليه السلام-، أو الذين آمنوا بالنبي -صلى الله عليه وسلم-.

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص209-211.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص106-107.

(3) سورة الناس: 5-6.

5. البشر ذو الطباع النارية، مثل: ﴿وَالْجَانَّ حَلَقَتْهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾⁽¹⁾ فيعني أن أولئك البشر -الذين نسميهم هنا الجن- كانوا ذوي طباع نارية.. بمعنى أنهم كانوا يستشيطنون غضباً بسرعة، ولا يطيعون النظام بسهولة.

هذه تأويلات المفسر لكلمة أو لفظة الجن في تفسيره للقرآن الكريم، وقد سبقه بها المعتزلة في كثير منها. ورد الشيخ مصطفى الوراق في كتابه "إنكار الجن من شطحات التفسير الموضوعي للقرآن" بأدلة على إبطال التأويلات المنحرفة للفظ الجن.

وأنهي بالقول: أجمع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالجن، وفق المعنى الاصطلاحي الذي بينته⁽²⁾، وهذه التأويلات المتعددة، تدل على ركاكة اعتقادهم، كما قال الإمام القرطبي: "أُنْكَرَ مُعْظَمُ الْمُعْتَزِلَةِ الشَّيَاطِينَ وَالْجِنَّ، وَدَلَّ إِنْكَارُهُمْ عَلَى قِلَّةِ مَبَالِغِهِمْ وَرِكَائِكَةِ دِيَانَاتِهِمْ، وَلَيْسَ فِي إِثْبَاتِهِمْ مُسْتَحِيلٌ عَقْلِيٌّ، وَقَدْ دَلَّتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى إِثْبَاتِهِمْ"⁽³⁾.

المطلب الثاني: القضاء والقدر

يؤمن المفسر بشير الدين محمود بعقيدة القضاء والقدر، ويفسر آياتها وفقاً لعقيدة أهل السنة والجماعة. فقال: "هناك كلمتان في العربية القضاء والقدر، ويظن الناس على العموم أن معناهما واحد، مع أن الأمر ليس كذلك. فقد قال صاحب المفردات: "القضاء فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً، وكل واحد منهما على وجهين: إلهي وبشري؛ والقضاء من الله أخص من القدر لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع. وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر -رضي الله عنهما- لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أَتَقَرُّ مِنَ الْقَضَاءِ؟ قال: أَفَرُّ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ؛ تنبيهاً أن القدر ما لم يكن قضاءً فمرجواً أن يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له"⁽⁴⁾.⁽⁵⁾

(1) سورة الحجر: 27.

(2) ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: ت(456هـ). الفصل في الملل والأهواء والنحل. 5م.ج. (بلاط). القاهرة: مكتبة الخانجي. (بلاط). (9/5).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (50/2).

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 675.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 5، ص 205-206.

كما كان يرد على أصحاب العقيدة الجبرية في تفسيره، فقال: "والعقيدة الجبرية الرابعة نقول إن الإنسان خُلِقَ مجبوراً، وكأنه يرتكب السيئات مجبراً بقانون الله تعالى، وأنه لا ذنب له في ذلك. والإسلام يرفض هذه العقيدة رفضاً باتاً. وحيث إن أصحاب هذه النظرية هم أصحاب الدين ولا سيما المسلمون المبتدعون، لذلك أَرَدَ عليها بأدلة من القرآن الكريم. يقول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.. أي الله الذي جعل الليل والنهار يتناوبان، غير أنه لا ينتفع من ظاهرة تناوب الليل والنهار إلا من يريد أن يتعظ أو من يتحلى بخُلُقِ الشكر".⁽¹⁾

المطلب الثالث: يوم القيامة وعلاماتها

يؤمن المفسر بشير الدين محمود بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقيامة، ويرى أن سبب الشرك وعدم الإيمان يعود إلى إنكار الحياة بعد الموت. فقال: "لقد ركّز القرآن كثيراً على هذا المعنى وقال إن السبب الحقيقي لإنكار الدين أو السخرية به هو إنكار الحياة بعد الموت. وإن في هذا لدرساً عظيماً للواعظين والمعلمين والأئمة والمرتبين. عليهم أن يرسّخوا في أذهان الأطفال منذ نعومة أظفارهم البراهين على البعث بعد الموت، وإلا لن تتم تربيتهم أبداً على ما يرام. علماً أن هذه الآيات تنطبق على اليهود أيضاً، لأن أكثرهم كانوا ينكرون البعث".⁽²⁾

ولكن ثمة مشكلة عند المفسر، في تفسيره للفظ "يوم القيامة" وأسمائها التي وردت في القرآن، فيفسرها أحياناً بمعناها الاصطلاحي الذي بيّنه الكتاب والسنة، ويفسرها أحياناً بأنها: 1- رقي أمة نبي 2- دمار أعداء نبي 3- انحطاط أمة نبي بعد رقيها.⁽³⁾

مثال ذلك: قال المفسر: "قال الله تعالى ﴿رُزِقَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: 212). ويوم القيامة المذكور هنا إشارة إلى يوم فتح مكة وغيره من الأحداث المماثلة التي وقعت في هذه الدنيا. أما إذا

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص287.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص597.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص250-ص251.

اعتبرنا قوله تعالى {وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} إشارةً إلى يوم القيامة والحشر الذي يكون بعد الموت، فلا يستقيم المعنى⁽¹⁾!!

وأدى هذا إلى تأويل بعض الآيات التي تحدثت عن أهوال القيامة تأويلاً منحرفاً مخالفاً لظاهر النص ودون وجود أي قرينة دالة على هذا التأويل. مثال ذلك: قال المفسر: باختصار، إن قوله تعالى ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾⁽²⁾ يشير إلى غلبة القرآن وغلبة النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث أخبر الله تعالى الكافرين أن المؤمنين سيغلبونهم حتى إنهم يخرجونهم من مكة. أما قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾⁽³⁾ فيخبر عن موعد تلك الغلبة. والحق أن نبوءة مجيء الناس أفواجا قد تحقق عند فتح مكة... ثم يقول الله تعالى ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾⁽⁴⁾. ومن معاني الجبال أسياد القوم وزعمائهم⁽⁵⁾.

مع أن المفسر في أحيان أخرى، فسر بعض أحداث يوم القيامة بما يوافق المأثور، مثال ذلك: تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽⁶⁾، فقال: لقد اتضح من هذه الآية أن الذي يرمي الناس بالتهم يتجرأ أكثر فيتهم الله تعالى في نهاية المطاف، لتعوده على إصاق التهم. وستشهد عليهم أعضاؤهم وجوارحهم يوم القيامة وتُخبر الله تعالى عما اقترفوا من سوء الظن ضد الله تعالى وضد الناس... إذاً، فالعيون والجلود والألسنة والأيدي والأرجل، كل هذه ستتحدث بما هو مسجل فيها. ومن الواضح أنه لن يبقى لهم بعد ذلك مجال للإنكار. وكما يقال "الصديق أعلم بالمضرة"، فإن أيديهم ما دامت ستعترف بأنها قد عملت كذا وكذا، وما دامت ألسنتهم ستشهد بأنها قد ارتكبت كذا وكذا من الأخطاء، فلا يمكن أن يقولوا للملائكة أن أعضاءنا هذه تكذب.⁽⁷⁾

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص253.

(2) سورة النبأ: 17.

(3) سورة النبأ: 18.

(4) سورة النبأ: 20.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص33-40.

(6) سورة النور: 24.

(7) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص355-357.

أما موقف المفسر من علامات يوم القيامة، فبين الباحث فيما يأتي:

أولاً: تحرير بيت المقدس من اليهود: قال المفسر: "الاحتلال المؤقت للأرض المقدسة قد حصل مرتين في الماضي⁽¹⁾، وقد حصل الآن أيضاً. وعندما نقول "الاحتلال المؤقت" فهو يعني حتماً أن المسلمين سيدخلون في فلسطين فاتحين ثانية⁽²⁾، ويصبحون ملوكاً لها. وهذا يستلزم أن يُطرد منها اليهود، وأن يوفق الله المسلمين أن يقضوا على هذا النظام الذي يقام بمساعدة الأمم المتحدة وأمريكا قضاء نهائياً، وأن يأتوا بإخوانهم ويُسكنوهم في هذه البلاد. واعلموا أن هذه النبوءة مذكورة في الحديث الشريف أيضاً حيث ورد أن الجيش الإسلامي سيدخل في فلسطين، فيفر اليهود منه ويختبئون وراء الأحجار، وكلما مر جندي مسلم بالقرب من حجر قال له الحجر يا مسلم، يا جندي الله، هذا كافر يهودي ورائي، فاقتله. (البخاري، كتاب الجهاد والسير)⁽³⁾. عندما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الخبر لم يكن لليهود في فلسطين وجود ولا أثر، فثبت من ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد نبأ هنا أنه سيأتي زمان يستولي فيه اليهود على هذه البلاد مرة أخرى، ولكن الله تعالى سيجعل المسلمين غالبين عليهم مرة ثانية... لقد استعملت تعبير "الاحتلال المؤقت" لقوله تعالى ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾⁽⁴⁾.. أي أن فلسطين ستبقى على المدى البعيد في يد قوم هم مصداق لقوله تعالى {عبادي الصالحون}. لذا فلا بد أن يدخل أتباع محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذين هم عباد الله الصالحون، هذه البلاد فاتحين، ولن تقدر القنابل الذرية أو

(1) يقصد بالمرة الأولى: هو فساد دولة بني إسرائيل بعد عهد النبي داوود والنبي سليمان -عليهما السلام-، ودمار دولتهم بسبب هجوم البابليين [فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ] (الإسراء:5)، أما الفساد الثاني لبني إسرائيل هو إيذاؤهم عيسى -عليه السلام- فلحق بهم الدمار على يد الرومان، من تدميرهم للقدس، وللمعابد التي بناها اليهود [فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ] (الإسراء:7). ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص 454-463.

(2) يقصد المفسر: أن القدس انتزعت من المسلمين بسبب الاحتلال الصليبي، ولكنها عادت إليهم، وقد انتزعت مرة أخرى بسبب الاستعمار البريطاني، الذين جاؤوا باليهود مرة أخرى، لكنها ستعود للمسلمين مرة أخرى. ففسر قوله تعالى: [فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا] (الأنبياء: 104): "أي أنه سيأتي بعد ذلك وقت سيؤتى فيه باليهود من كل أنحاء العالم ويُسكنون في فلسطين. وقد حان ذلك الآن حيث استولى اليهود على هذه الأرض". ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص672-673.

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: "حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي رُزَعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُفَاتِلُوا الْيَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجْرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ". البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث (2926)، (42/4).

(4) سورة الأنبياء: 105.

الهيدروجينية الأمريكية ولا المعونة الروسية أن تحول دون ذلك. إن هذا قدر الله، ولا بد أن يقع مهما حاولت الدنيا ردهً".⁽¹⁾

ثانياً: يأجوج ومأجوج⁽²⁾: يرى المفسر بشير الدين محمود أن الدجال ليس شخصاً بل هي أمة يأجوج ومأجوج (أمة شمال آسيا وشرق أوروبا)، ولكن أطلق عليهم اسم "الدجال" لكذبهم وإفسادهم الديني وتحديدًا القساوسة والرهبان منهم. أما يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم يقصد بها فتنهم السياسية.

قال المفسر: زمن الدجال ويأجوج ومأجوج واحد، وورد أن كليهما سينال الغلبة في العالم كله. فثبت أنهما ليسا فتنين منفصلتين، بل هما مظهران لفتنة واحدة. وقد سميت هذه الفتنة دجالاً من منظور ديني، ويأجوج ومأجوج من منظور مادي... إحداهما تشير إلى إفساد العقائد والأفكار الدينية وهي الدجال، والأخرى تشير إلى إشعال الفتن السياسية لتدمير أمن البلاد، وهي يأجوج ومأجوج. علماً أن يأجوج ومأجوج مشتق من الأجيح وهو النار... ذكرت أن شعوب يأجوج ومأجوج التي تعيش في شمال آسيا وشرق أوروبا كانت تغير على أهل آسيا لخصوبة أراضيها، فقام ذو القرنين بصدّ هجماتها بكل قوة حتى أصبحت هذه الأمم محصورة في المناطق الواقعة في أقصى شمال غرب آسيا وشرق أوروبا... لقد تبين من هذه الآيات بجلاء أن شعوب يأجوج ومأجوج ستخرج من بلادها في الزمن الأخير وتستولي على بلاد العالم، ثم تقع العداوة بين كُنتلي يأجوج ومأجوج⁽³⁾، فنتحاران فيما بينهما

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص675-676.

(2) ذكر المفسر بشير الدين محمود في تفسيره قصة "ذو القرنين ويأجوج ومأجوج"، وهي باختصار: يرى المفسر أن ذو القرنين هو الملك الفارسي "قورش" وليس "كيقباد" كما قال معلمه نور الدين القرشي (ال خليفة الأول). وأن "قورش" أو "ذو القرنين" قام بصدّ هجمات يأجوج ومأجوج بكل قوة حتى أصبحت هذه الأمم محصورة في المناطق الواقعة في أقصى شمال غرب آسيا وشرق أوروبا، فبنى سدّاً لمنع هذه الشعوب عن الهجوم على آسيا. فأخبر الله تعالى أنه لما بلغ ذو القرنين بين جبلين وجد وراءهما قوماً لا يكادون يفقهون كلامه، فقالوا: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج يعيثون الفساد في هذه البلاد، فهل نعطيك خراجاً على أن تبني بيننا وبينهم سدّاً؟ قال: إن ما آتاني الله تعالى من قوة للقيام بمثل هذه الأعمال هي أكثر مما عند الأعداء من قوة، فأعينوني بقدر وسعكم حتى أجعل بينكم وبينهم سدّاً منيعاً، انتوني بقطع حديدية لأصنع بها هذا السد. ولما بناه وسأوى بين قمتي الجبلين قال: أتوني الآن النحاس المذاب لكي أقوى به السد. ولما حال السد دون هجمات يأجوج ويأجوج ولم يستطيعوا عبوره وعجزوا عن تقبّه، قال ذو القرنين: كل هذا قد تم بفضل ربي وإحسانه، ولكن عندما يحين وعد ربي عن العذاب العالمي، فسوف يهدم هذا السدّ ويسويّه بالأرض، ولا بد أن يتحقق وعد ربي.. أي عند حلول الوقت الموعود تتقدم هذه الشعوب نحو الجنوب والشرق ثانية، فلن يمنعها هذا السد من زحفها، إذ إنها ستأتي عبر البحار، فلن يحول دونهم هذا الجدار. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص634-638.

(3) وهما: الروس، والشعوب الأوروبية الغربية. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص622.

في النهاية، فيمطر كل طرف منهما الطرف الآخر بالنار، ويهلكان. كما أخبر الله هنا أن كلتا الكتلتين تحرز تقدماً صناعياً مدهشاً وتخترع مخترعات مذهلة، ولكن كلا منهما تكون غافلة عن الدين، فلن ينفعهما تقدمهما المادي والعلمي ولن ينفذهما من الدمار...⁽¹⁾. وهذا نفسه تفسير والده⁽²⁾.

وتفسيرهما مخالف للحديث الصحيح الصريح، الذي نص على أن "الدجال" رجل، يقتله النبي عيسى بن مريم -عليه السلام- بباب لُدّ، ثم يخرج بعدها قوم يأجوج ومأجوج، الذين يموتون في حياة النبي عيسى بن مريم بسبب دعائه عليهم.⁽³⁾

ثالثاً: الدابة: وهي مرض الطاعون عند المفسر، إذ يرى أن هذا المرض خرج في زمن المرزا غلام أحمد ليخبر الناس، بمعنى ليكون دليلاً للناس على صدق نبوءة المرزا غلام أحمد!!⁽⁴⁾

قال المفسر: "دابة الأرض التي أخبر القرآن عن ظهورها هنا هي في الواقع مرض الطاعون الذي قد تفشى في زمن المسيح الموعود -عليه السلام- وأهلك مئات الآلاف من الناس... فهذه نبوءة عظيمة قد تحققت في عهد المسيح الموعود -عليه السلام-"⁽⁵⁾.

وهذا قول والده مؤسس الجماعة: "يأجوج ومأجوج؛ فهما قومان حازا على التقدم والازدهار في الدنيا، أحدهما الإنجليز والآخر الروس. وهذان القومان ينسلون من كل حدب.. أي ينالون الانتصارات بقدرات وهبها الله إياها". القادياني، المرزا غلام أحمد: فتح الإسلام، ص 348.

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج 10، ص 634-637.

(2) ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد حقيقة الوحي، ص 35-36.

(3) ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، (2253/4-2256).

(4) نبوءة المرزا غلام أحمد، باختصار: أن الطاعون لن يدخل قرية قاديان، وأنه لن يصيب من ينتمي إلى جماعته. وسيرد على ادعائهم في المطلب القادم.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 7، ص 521-522.

وعموماً هذا تفسير والده أيضاً لدابة الأرض⁽¹⁾، ويرد عليهما: بأن الدابة لغة: كل ما يدب على الأرض وقد غلب على ما يركب من الحيوان (للمذكر والمؤنث)⁽²⁾، فالفايروس لا يمكن أن نسميه دابة. أما الرد فيما يسمونه معجزة، سيكون في المبحث القادم من هذا الفصل.

المطلب الرابع: الجنة والنار

يؤمن المفسر بشير الدين محمود بالجنة والنار، وقد قارن بين الدين الإسلامي وأصحاب المعتقدات في مسألة الجنة والنار⁽³⁾. وذكر عقيدة الجماعة الأحمدية بقوله: "أكد عليها في هذا العصر سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود⁽⁴⁾... هي أن الجنة أبدية ولزمن غير محدود، ولكن الجحيم ليست كذلك، بل إنها سوف تنتهي بعد مرور زمن"⁽⁵⁾.

وقد استند المفسر بشير الدين محمود في رأيه بفناء النار لوحدها، على بعض الآثار التي نسبت للسلف وهم: عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم جميعاً⁽⁶⁾

(1) قال المرزا: "عندها أُلقي في روعي أنها الطاعون، وهي دابة الأرض التي وُعد بها في القرآن الكريم بأننا سنُخرجها في الزمن الأخير فتكلم الناس لأنهم لا يؤمنون بآياتنا. كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي عندما تتم حجة الله عن بعثة المسيح الموعود نخرج من الأرض دابة تكلمهم. نزول المسيح... وقد سماها الله تعالى دابة الأرض لأن هذا المرض يتفشى بدواب الأرض فيؤثر في الفئران أولاً ويظهر في أشكالها المختلفة، وكما يصيب الناس، فيمكنه أن يصيب الدواب أيضاً". القادياني، المرزا غلام أحمد: نزول المسيح، ص 42-43.

(2) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (268/1).

(3) فقال: "قالهندوس يرون أن الجنة والجحيم (أي الثواب والعقاب) كلتيهما محدودة الزمن. ينال الإنسان جزاء أعماله ثواباً أو عقاباً في العالم الآخر، ثم يرجع إلى الدنيا مرة أخرى. وإن كل الفرق الهندوسية - رغم اختلافها في الأمور الأخرى - متفقة على هذه العقيدة... ويرى اليهود أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً إذ لا مكان فيها لغير اليهود، وأن الجحيم شبه محرمة على اليهود، وإذا كان لا بد من دخول يهودي فيها فإنه لن يبقى فيها إلا لمدة أحد عشر شهراً على الأكثر. أما غيرهم فكلهم في الجحيم التي لا نهاية لها، وسوف يبقون فيها للأبد. وأما النصاري فيرون أن كلاً من الجنة والنار أبدية لا نهاية لها ولا انقطاع. غير أن هناك فرقة منهم تعتقد أن الجنة سوف تنتهي في آخر الأمر. ولكن الإسلام يعارض هذه النظريات كلها معارضة شديدة...". بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص332.

(4) يقصد به: المرزا غلام أحمد.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص332.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص334.

وهذه الآثار جميعها باطلة، بعد تحقيق شعيب الأرنؤوط⁽¹⁾ لها في تحقيقه لكتاب "شرح العقيدة الطحاوية"، قائلاً: "القول بفناء النار لا يثبت عن أحد من الصحابة، وأن ما صح عنهم من عبارات لا تدل على المدعى، وهو القول بفناء النار"⁽²⁾. كما استند المفسر على الأدلة ذاتها التي استدل بها أصحاب القول بفناء النار⁽³⁾، وقد رد عليها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب" بشكل مفصل.⁽⁴⁾

أما منهج المفسر بشير الدين محمود في تفسير آيات الجنة والنار، فيظهر في ثلاثة معالم:

1. أحياناً يفسرها بما يوافق المأثور. مثال ذلك: قوله: "ليس المراد من قوله تعالى ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾⁽⁵⁾ أن المتقين يعيشون في مياه العيون، وإنما المعنى أنهم يسكنون في جنات فيها العيون. لقد بين الله تعالى هنا أن الشياطين سوف يدخلون بسبب كفرهم الجحيم، التي ستمثل لهم في هذه الدنيا على شكل نيران الحشرات والعذاب الدنيوي، وأما في الآخرة فعلى صورة عذاب النار؛ وأن المؤمنين سيعيشون في هذه الدنيا تحت ظل رحمة الله ورعايته، وستتفجر من قلوبهم عيون المعارف والعلوم، مما سيزيدهم رحمةً وفضلاً.. شأن الشجرة التي تنمو وتزدهر بالري، وأما في الآخرة فسوف يُعطون تلك الجنات والعيون التي وعدوا بها في آيات عديدة من القرآن الكريم"⁽⁶⁾.

(1) شعيب الأرنؤوط: ولد الشيخ شعيب بن محرم الألباني الأرنؤوط عام 1928م في العاصمة السورية دمشق، ينحدر من أسرة ألبانية الأصل، هاجرت إلى دمشق سنة 1926، وكان والده من أهل العلم. زاول مهنة تدريس اللغة العربية عام 1955، لكنه تركها لاحقاً ليتفرغ للاشتغال بتحقيق التراث العربي الإسلامي، وكانت بدايته الأولى في المكتب الإسلامي بدمشق عام 1958، حيث ترأس فيه قسم التحقيق والتصحيح مدة عشرين عاماً، حقق فيها أو أشرف على تحقيق ما يزيد على سبعين مجلداً من أمهات كتب التراث في شتى العلوم. ومن أهم تلك الأعمال في المكتب الإسلامي "شرح السنة" للبخاري، 16 مجلداً. توفي الشيخ شعيب يوم 27 أكتوبر/تشرين الأول 2016 في العاصمة الأردنية عمان. ينظر: الجزيرة، شعيب الأرنؤوط.. خادم السنة النبوية، تاريخ النشر: 2016/10/30، <https://www.aljazeera.net/news>.

(2) أبي العز الدمشقي، علي بن علي بن محمد: ت(792هـ). شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ود. عبد الله التركي. (بلاط). (بلام): مؤسسة الرسالة. 1411هـ-1990م. ص 626-627.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص 331-338.

(4) ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. ط1. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. 1417هـ-1996م. ص 93-97.

(5) سورة الحجر: 45.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص 129.

2. أحيانا يفسرها بالمجاز، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: قال المفسر: "ثم قال ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾⁽¹⁾، وهذا لا يعني أن الجنة تغطي مساحة شاسعة أو أن لها أبواباً كثيرة، بل المراد أن فاضل الأخلاق وصالح الأعمال التي تسببت في دخولهم الجنة سوف تتمثل لهم في الآخرة كأبواب عديدة للجنة يدخلون من أيها شاءوا".⁽²⁾

المثال الثاني: قال المفسر: "قد أنبأ الله بقوله ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾⁽³⁾ لا يُسْمَنُ وَلَا يُعْنَى مِنْ جُوعٍ" أن طعام الكافرين وشرابهم سيصبح عذاباً لهم وستحلّ بهم من الهموم والمصائب ما يكدر عليهم صفو الحياة. وكأن هذا الكلام من قبيل الاستعارة كما قال الشاعر باللغة الأردية: خون دل پین ے کو اور لخت جگر کھان ے کو .. یہ غذا ملتی ہے لیلی تیرے دیوان ے کو . أي دم القلب للشرب وفلذة الكبد للأكل.. هذا هو الطعام الذي يجده مجنونك يا ليلي. فأخبر الله تعالى أن الكافرين سيشربون الماء البارد، ولكنه سيبدو لهم نارا، فلن يستسيغوه، بل سيحرق حلقومهم، مثل الإنسان المصاب بغم شديد، الذي يغصّه الماء الزلال ولا ينزل من حلقومه، ومهما أطعمته من غذاء جيد شهّي طيب، إلا أنه لا ينفعه، فيزداد هزالا من شدة الغم".⁽⁴⁾

3. أحيانا يفسرها بالتفسير الإشاري مع عدم إنكاره المعنى المأثور، وأحيانا أخرى ينكر المعنى المأثور، ويكثر هذا النوع في تفسيره لجزء عم. ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: التفسير الإشاري مع عدم إنكاره المعنى المأثور، قال المفسر: "قوله تعالى ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾⁽⁵⁾ يعني: 1-أنهم سيظفرون بكل خير وينجون من كل مصيبة، 2-أن الله تعالى سيقمهم مقاماً ينجون فيه من كل مصيبة وأذى ويحوزون فيه على كل بركة وفلاح. وهذا إشارة أولاً إلى ذلك المقام الذي ينالونه بعد البعث من الموت حيث وعد الله المتقين بأنهم لن يروا في الآخرة أذى، ولن ينقصهم هناك خير، بل ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ (الشورى:22)، كما أنه إشارة إلى ما يناله

(1) سورة الرعد: 23.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص525.

(3) سورة الغاشية: 6-7.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص603.

(5) سورة النبأ: 31.

المتقون في هذه الدنيا... كلمة {مفازا} تنطبق بمعناها الأول -أي مكان النجاة من الهلاك- على الحبشة والمدينة كلتيهما، أما بمعناها الثاني -أي الفوز والنجاح- فتتطبق على المدينة فقط. إذاً، فقولته تعالى {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} كان نبأً بأننا سنعطي المسلمين المدينة المنورة التي ستكون مكان فوزهم ونجاحهم. (1)

المثال الثاني: التفسير الإشاري مع إنكاره المعنى المأثور: قال المفسر: "يقول الله تعالى ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿2﴾ ... أي أن النار التي نوقدها ستهاجم القلوب، إنها ليست نار الخشب التي تنطفئ بالماء، بل هي نار القلب التي يحرقهم لهيبها كل حين. إنهم سيحترقون حسداً وكمداً بروية ازدهار المسلمين. ستقض الحسرة مضاجعهم، ولكنهم لن يدروا ما السبيل للخروج منها". (3)

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص56-61.

(2) سورة الهمزة: 6-7.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص781.

المبحث الثالث

منهج التفسير الكبير في الأنبياء عليهم السلام

لكل طائفة عقديّة مبتدعة انحرافاً ما يمسُّ ركناً من أركان الإيمان، فالجهمية مثلاً ينكرون صفات الله - عز وجل -، والقدرية ينكرون القدر، وهكذا... بيد أن انحراف الجماعة الأحمديّة، يكمن في قضية الإيمان بالأنبياء - عليه السلام -؛ لذلك خصصت مبحثاً منفرداً للحديث عنه، وقسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: الإيمان بالأنبياء عليهم السلام

يؤمن المفسر بشير الدين محمود وجماعته بالأنبياء جميعاً، بل تحدث المفسر في تفسيره عن ضرورة ذلك⁽¹⁾. ومن لم يؤمن بهم وبالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو كافر⁽²⁾. لكن الخل عندهم، بأنهم يؤمنون بأناس آخرين لم تثبت لهم نبوة، ولا يوجد عليها أي دليل، لا في قرآن ولا في سنة. كإيمانهم: بكرشنا، ورام، وزرادشت أنبياء للهندوس..⁽³⁾

تحدث المفسر أن المهمة المشتركة بين الأنبياء كلهم هي نشر التوحيد بنوع من التفصيل⁽⁴⁾، كما تحدث عن سبب ذكر القرآن الكريم لأنبياء محددين دون غيرهم، فقال - ما ملخصه -: أما الأنبياء الذين ذكرهم القرآن بأسمائهم لأسباب خاصة ومصالح جليّة .. فإنه أبرزَ عظمتهم وشأنهم خاصة، وبرأهم من التهم التي وُجّهت إليهم على وجه الخصوص. فمثلاً: تقول التوراة إن آدم - عليه السلام - ارتكب معصية متعمّدة، أما القرآن الكريم فقال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُحِذِّ لَهُ وَعَزَمًا﴾ (طه: 115) .. ورُعم في التوراة أن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - كذب عدة مرات، ولكن القرآن يعلن: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ (النجم: 37) .. وقيل في التوراة أن يد موسى - عليه السلام - صارت بيضاء نتيجة مرض البرص، ولكن القرآن الكريم يبرئ موسى - عليه السلام - من هذه

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص72.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص485.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص255.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص596-595.

الوصمة ويقول: ﴿وَأَصْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ (طه: 22). واليهود يتهمون سيدنا سليمان - عليه السلام - أنه أشرك وصار عاصياً، ولكن القرآن برّاه من هذه التهمة فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة: 102) .. وزعم اليهود أن سيدنا المسيح بن مريم - عليه السلام - كان ثمرة بغاء - والعياذ بالله -، وأنه جاء من نطفة يوسف النجار من غير زواج. واتّهم عيسى - عليه السلام - من قبل أتباعه بتهمة الموت على الصليب، لكن القرآن الكريم يبرئ المسيح وأمه - عليهما السلام - من هذه التهم كلها ويقول: ﴿وَالَّتِي أَحْصَدَتْ فَرجَهَا فَفَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 91)...⁽¹⁾.

وتحدث المفسر أيضاً عن مشابهة قصص الأنبياء مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل قصة، مثال ذلك، قوله: "لقد هاجر موسى - عليه السلام - إلى مدين عندما فرّ هارباً من الفرعونيين بعد حادث قتل فيه أحداً منهم. وعندما هاجر بنو إسرائيل أقام قريبا من مدين. وهذه إحدى المشابهات التي كانت بين موسى وبين نبينا محمد عليهما السلام، إذ أقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة في المدينة، كما أقام موسى بعد الهجرة في مكان باسم مدين"⁽²⁾.

أما المواضيع المتعلقة بالأنبياء، وموقف المفسر منها وأثرها في تفسيره "التفسير الكبير"، فسأوضحها فيما يأتي:

أولاً: موقف المفسر من الوحي

تحدث المفسر عن حاجة الناس للوحي، قائلاً: "فلولا أن الله قد تولى بنفسه هداية الناس إلى الطريق الصحيح لسلك كثير منهم طرقاً خاطئة وهلكوا"⁽³⁾.

وقد ذكر المفسر بشير الدين محمود ثلاثاً وعشرين نوعاً من الوحي، لم يذكر فيها (الكلام المباشر بين العبد مع ملاك يراه)⁽⁴⁾؛ لأنه لا يؤمن به - كما يبدو -. فانعكس ذلك الانحراف على تفسيره،

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص70-71.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص306.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص206.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص611-618.

للحوادث التي تذكر رؤية الأنبياء للملائكة ومخاطبتهم وجهاً لوجه، بتأويلها على أنها كشوف ومنامات، فمثلاً: حادثة أول الوحي، قال المفسر: "هذا الحادث رؤياً حيث ورد في سيرة ابن هشام: حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا، جَاءَهُ جِبْرِيلُ -عليه السلام- بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ: أَقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَعَطَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: أَقْرَأْ. قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَعَطَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ أَقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَعَطَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ أَقْرَأْ⁽¹⁾... فَإِنِ مَا رَأَى الرَّسُولَ -صلى الله عليه وسلم- لم يكن مشهداً مادياً، ولكن بما أن حواسه المادية كانت تعمل عندها أيضاً، فيمكن أن نسمي حالته حالة يقظة. والحق أن الكشف يكون ما بين النوم واليقظة"⁽²⁾. وكذلك سار في منهجه بقصص الأنبياء.⁽³⁾

ثانياً: موقف المفسر من عصمة الأنبياء

يؤمن المفسر بشير الدين محمود بعصمة الأنبياء، ويتضح هذا في دفاعه الدائم عن الأنبياء، من أكاذيب الإسرائيليات.

مثال ذلك: دفاعه عن سيدنا يونس -عليه السلام-، فقال: " يبدو من دراسة القرآن الكريم أن بيان التوراة هذا ليس بصحيح مائة بالمائة، وأن القرآن يرفضه لعدة وجوه منها: أولاً: إن القرآن ينفي بكل شدة وصرامة أن يخالف نبي من أنبياء الله تعالى صريح الوحي، وإلا لرفع الأمان كليةً. والله

(1) ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري: ت(213هـ). السيرة النبوية. 2مج. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1375هـ-1955م. وفي هذه الرواية انقطاع، وهي تخالف رواية صحيح البخاري (7/1) التي تؤكد رؤيته على وجه الحقيقة، وتعامله المباشر مع جبريل -عليه السلام-، وأنها ليست رؤياً أو كشف.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص 312.

(3) مثال ذلك: قال المفسر: "لقد كان زكريا -عليه السلام- في المعبد حين تلقى البشارة بالولد، وكانت مريم أيضاً في المعبد حين تلقت من الله البشارة بالولد، حيث يقول الله تعالى إنها كانت في عبادتها وابتهاؤها في خلوة {أرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سوياً}.. أي جاءها الملاك متمثلاً كإنسان سليم الصحة. ومثله كما يرى المرء في المنام أنه يذبح كبشاً ويكون تأويله موت ابن له أو بنت أو قريب. أو يرى فأراً وتعبيره شخص منافق. أو يرى أن سارقاً قد اقتحم بيته وتأويله الحمو والنسيب". بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص 201.

تعالى يعلن في القرآن الكريم صراحة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: 65)، ويأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بإتباع الرسل قائلاً ﴿فِيهِدْنَاهُمْ أَقْتَدِرْ﴾ (الأنعام: 91).. أي على الإنسان أن يقتدي بهدي الرسل كافة، وأن يسعى لتكون أعماله مصطبغة بنفس الصبغة والروح المتجلية في أعمالهم. فلو كان الأنبياء أنفسهم مصابين -والعياذ بالله- بهذه الأمراض الخطيرة ويعصون أوامر الله فكيف يأمرنا بإتباعهم؟⁽¹⁾.

لكنه يعمد إلى التفسير بخلاف الظاهر أو المجاز أحياناً، مثال ذلك، قوله: "إذن فلا يمكن أبداً أن يراد من قوله تعالى ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾⁽²⁾ أنه أراد بها سوءاً. فإن إرادة كل إنسان تفسر بحسب حالته، وقد وصف الله في الآية السالفة حال الاتنين إذ قال إن المرأة كانت تنوي ببيوسف السوء ولكنه صدّها عن هذا الظلم محذراً إياها من عواقبه. فالمراد من "هم بها" أنها كانت عازمة على أن تتحرف به إلى الشر، وأما هو فكان يريد لها أن تهتدي إلى الخير، بيد أنّ الاتنين لم يفلحا فيما أراد"⁽³⁾. وهذا التفسير يشبه تفسير الإمام الطبرسي⁽⁴⁾ لهذه الآية⁽⁵⁾. وقد رد الدكتور فضل عباس في كتابه "قصص القرآن الكريم"، قائلاً: أنه قول لا بأس به لكنه مبني على التفرقة بين الهمّين وهو خلاف الظاهر لا يصار إليه إلا إذا لم يمكن حملهما على معنى واحد... وهذا خلاف ما يستفاد من السياق قطعاً.⁽⁶⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص177.

(2) سورة يوسف:24.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص384.

(4) الإمام الطبرسي: هو أبو علي، الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي المشهدي، من أكابر علماء الشيعة. ويروى عنه جماعة من العلماء منهم: ولده المذكور، وابن شهر آشوب، والشيخ منتخب الدين، والقطب الراوندي، وغيرهم. ويروى عن الشيخ أبي علي ابن الشيخ الطوسي. له تصانيف، منها: مجمع البيان في تفسير القرآن، والوسيط في التفسير أربع مجلدات، والوجيز مجلدة، وإعلام الوري بأعلام الهدى مجلدين، وتاج المواليد، والآداب الدينية للخرزانه المعبية. توفي سنة 835 هـ. ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، (74/2).

(5) قال الإمام الطبرسي في تفسيره "مجمع البيان": "فكأنه قال: ولقد همت بالفاحشة منه وأرادت ذلك، وهم يوسف -عليه السلام- بضربها ودفعها عن نفسه". الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن. 10 مج. ط1. بيروت: دار المرتضى. 2006م. (299/5).

(6) ينظر: فضل: قصص القرآن الكريم، ص412.

ثالثاً: موقف المفسر من معجزات الأنبياء

يتعامل المفسر بشير الدين محمود مع معجزات الأنبياء في غالبها، على أنها معجزات مادية خالية من خوارق العادة، وعلى أنها عبارة عن كشف وكرامات. فمن الأمثلة في ذلك:

أن الله -عز وجل- سير غيمة أمطرت قبل أن ينزل إبراهيم -عليه السلام- في النار⁽¹⁾، وأن موسى -عليه السلام- استفاد من ظاهرة جزر البحر في عبوره البحر مع قومه، فلما رأهم فرعون يعبرون البحر تعقبهم هو وجنوده على عرباتهم، ولكن رماله المبللة تسببت في هلاكهم، حيث أخذت العربات تغوص في الرمال، وتأخروا كثيراً حتى حان وقت المد، وأخذ الماء في الارتفاع. فما استطاع فرعون أن يتقدم أو يتأخر، فكان مع جنوده من المغرقين⁽²⁾. وأن منطوق الطير الذي تعلمه سليمان -عليه السلام- هو منطوق وفهم وإخلاص عباد الله الصالحين الذين يطيرون إليه بالأعمال⁽³⁾، وأن الهدهد لم يكن إلا قائد جيش عند سيدنا سليمان -عليه السلام- اسمه بالعبرية "هدد" بمعنى: الصوت المرتفع، وأن وادي النمل واد حقيقي لقبيلة بشرية اسمها النمل⁽⁴⁾. وأن معجزة شق القمر كانت كشفاً للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكن الله -عز وجل- وسّعه؛ ليراه كل من في الأرض⁽⁵⁾. وغيرها من التأويلات المنحرفة. وقد تحدثت الباحثة سماح شعشاعة في رسالتها "المعجزات عند القاديانية"⁽⁶⁾

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص707-708.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص520-521.

(3) مثال يوضح منهجه في تأويل المعجزات التي تبدأ بإنكار المعنى الظاهري، ثم تأويلها بشيء حسي، باستخدام المجاز واللغة، وأقوال مفسري الجماعة، والهوامات والده أحياناً. قال المفسر في معجزة {عُلْمُنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ} (سورة النمل:16): "وهذا هو حال قول سليمان -عليه السلام-: {عُلْمُنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ}، فلما رأى المفسرون كلمة {الطير} هنا ظنوا أن من خصوصيات سليمان أن الله -سبحانه وتعالى- علمه لغة السمان والحجل وغيرها من الطيور. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: ما الفائدة من تعليم منطوق الطيور؟ فهل تعلم الطيور معارف وعلومًا عظيمة حتى نقول أن سليمان -عليه السلام- علم منطوقها لكي لا يظل محروماً من معارفها وعلومها. كلا، بل الواقع أن الطيور لا تملك من العقل ما يملكه أغبي وأجهل إنسان في العالم، فماذا عسى أن يتعلم منها نبي الله سليمان -عليه السلام-....؟ الحق أن قول سليمان: {عُلْمُنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ} هو من قبيل الاستعارة والمجاز كما بينت من قبل، ولكن هؤلاء القوم لم يفهموه فوقعوا في نقاش لا طائل وراءه. الواقع أن الطير في العربية هو كل ما يطير، ويُطلق استعارةً على عباد الله المختارين المقربين الذين يحلقون عالياً في أجواء السماء الروحانية. وهناك إلهام باللغة الأردنية تلقاه سيدنا المسيح الموعود -عليه السلام- يسلط الضوء على معنى الطير وهو: أي أن آلاف الناس تحت أجنحتك!!". بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص421-424.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص420-470.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص251-252.

(6) رسالة ماجستير، صدرت عام 2017، في الجامعة الإسلامية بغزة، أشرف عليها الأستاذ الدكتور محمد حسن بخيت.

بشكل مفصل، عن تناول المفسر وبعض من مفسري الجماعة الأحمديّة لمعجزات الأنبياء، مع الرد عليها.

رابعاً: موقف المفسر من رفع عيسى -عليه السلام- وعودته آخر الزمان

قال المفسر بشير الدين محمود: "هذه الآية هي أحد الأدلة على وفاة سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، إذ نعرف منها أن حضرته سوف يبقى إلى يوم القيامة جاهلاً بما اقترفه أتباعه من أعمال وثنية، إذ يتخذونه شريكاً لله سبحانه وتعالى. فكيف يمكن للمسيح -عليه السلام- إن كان لا يزال حياً وسيرجع إلى الدنيا مرة أخرى وسوف يرى أعمال أتباعه النصارى - أن يقول الله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: 117)"(1). (2)

ينبنى المفسر فكر والده مؤسس الجماعة الأحمديّة، بأن المسيح مات ولن يعود، وأن الأحاديث التي ذكرت عودة المسيح عيسى ابن مريم يقصد بها شخص آخر، يكون دوره في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- شبيهاً لدور المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام- في أمة بني إسرائيل.(3)

والحقيقة، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لو قصد بالفعل، هذا المعنى الذي أتى به المرزا غلام أحمد، لقاله بكل صراحة ووضوح من دون تورية أو استعارة، لقال: سيبعث رجل اسمه أحمد أصله من فارس ويولد في قاديان ويكون دوره في أمتي شبيهاً لدور عيسى -عليه السلام-.

وقد عرض الإمام المحدث محمد أنور شاه الكشميري(4) في كتابه "التصريح بما تواتر في نزول

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج3، ص96.

(2) لا يقصد بالوفاة هنا الموت، ودليل ذلك قوله تعالى عن النوم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَلُكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: 42).

(3) ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: فتح الإسلام توضيح المرام إزالة الأوهام، ص112-113.

(4) محمد أنور شاه الكشميري الهندي: ولد عام 1292هـ في قرية ودوان التابعة لمدينة كشمير، لما بلغ الخامسة من عمره شرع في قراءة القرآن حتى ختمه، وكان يفتي للناس وهو ابن اثني عشر عاماً، ذهب الى دار العلوم في قرية ديپوند عام 1307هـ للتعلم وبقي فيها حتى أصبح معلماً فيها بسبب براعته وفطنته، ثم رحل الى دايبيل وأسس بها معهداً كبيراً يسمى (بالجامعة الإسلامية) وإدارة تأليف تسمى (بالمجلس العلمي)، وأصدر ما يفوق عن عشرين كتاباً منها هذا الكتاب الذي ألفه للرد على القاديانية الأحمديّة. توفي عام 1352هـ. ينظر: ترجمة المؤلف، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص12-

المسيح" ستة وسبعون حديثاً للنبي -صلى الله عليه وسلم- وخمس وعشرون أثراً من آثار الصحابة والتابعين، تؤكد جميعها على نزول المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام- مرة أخرى على الأرض بطريقة لا يمكن تأويلها على أنها المرزا غلام أحمد، وتقطع الشك في عقيدة عدم عودة المسيح عيسى ابن مريم. وهناك أدلة أخرى من آيات قرآنية أشارت إلى عودة عيسى -عليه السلام- (1).

خامساً: موقف المفسر من ختم النبوة

يرى المفسر بشير الدين محمود أن النبوة لم تختم ولم تقطع، وما ختم منها هي نبوة التشريع للرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-، أما نبوة المخاطبة مع الله ونزول الإلهامات فهي مستمرة. والدليل على ذلك تفسيره لآية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (2)، فقال: إن أكبر معجزة أُعطيها النبي -صلى الله عليه وسلم- هو كونه خاتم النبيين، أي قد خُتِمَتْ به كمالات النبوة كلها... ليس بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- نبوة إلا التي تكون تابعة له وخادمة. فلو ادعى بعده أحد أن نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- قد انتهت -والعياذ بالله- فلا شك في كونه كاذباً، لأن عصر نبوته -صلى الله عليه وسلم- لن ينتهي إلى يوم القيامة. بل لو ادعى أحد أنه يماثل النبي -صلى الله عليه وسلم- درجةً فهو أيضاً كاذب، إذ لا يمكن أن يماثله أحد درجةً. أما من يعلن أن الله تعالى قد أقامه لنشر دين محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأن كل ما ناله من درجة وفضل إنما ناله ببركة طاعته واتباعه للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم كان القرآن وحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- مصدّقين له، فلا بد أن يكون صادقاً في دعواه، لأنه مختوم بختم النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن خُتِمَ بختمه -صلى الله عليه وسلم- فلا بد أن يكون هو ابنه الروحاني، لأنه من أمته ومن تلاميذه (3) ... ويبدو أن الصحابة أنفسهم أدركوا أن الناس سوف يميلون إلى الإفراط في عقيدة ختم نبوة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولن

(1) منها: قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ} (سورة ال عمران: 46)، أي سيكلّمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهلاً. ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (420/6).

(2) سورة الأحزاب: 40.

(3) يقصد بها نبوة المرزا غلام أحمد.

يستوعبوا قصده -صلى الله عليه وسلم- وراء تركيزه على ختم نبوته، فأقوالهم التالية تلقي الضوء الكافي على هذا الأمر: أولاً: لقد نقل صاحب الدر المنثور عن ابن أبي شيبة أن عائشة -رضي الله عنها- سمعت بعض الصحابة يقولون إنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، فقالت في حماس: "قولوا: خاتم النبيين، ولا تقولوا: لا نبي بعده" (الدر المنثور، تفسير سورة الأحزاب)⁽¹⁾. وبديهي أن عائشة ما كانت لتفرض ما قاله الرسول -صلى الله عليه وسلم-، إذ كيف يمكن أن يقول: لا نبي بعدي، وتقول هي: لا تقولوا: لا نبي بعده؟ هذا محال منها. إنما كان مرادها أن كلمة {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} موجودة في القرآن الكريم ولا يمكن أن يخطئ أحد فيها، أما قوله -صلى الله عليه وسلم- "لا نبي بعدي" فيمكن أن يسيء البعض فهمه، ولذلك قالت: قولوا خاتم النبيين، ولا تقولوا لا نبي بعده. إن العارف يعلم أن قول الله تعالى {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، وقوله -صلى الله عليه وسلم- "لا نبي بعدي"، إنما معناهما أنه لن يكون بعده -صلى الله عليه وسلم- من ينسخ دينه وشريعته... ابن الأباري في كتاب "المصاحف"، فعن عبد الرحمن الأسلمي قال: كنت أُقرأ الحسن والحسين، فمرّ بي علي بن أبي طالب وأنا أُقرأهما "خاتم النبيين" بكسر التاء، فقال: أُقرأهما {خَاتَمَ النبيين} بفتح التاء والله الموفق. فسيدنا علي -رضي الله عنه- يفتي أن قراءة "خاتم النبيين" تابعة لقراءة "خاتم النبيين" بفتح التاء، ولكن المشايخ يقولون أن العكس هو الصحيح. لو كان معنى {خَاتَمَ} ما يفهمه العلماء، فكان ينبغي أن يفرح علي -رضي الله عنه- عندما رأى عبد الرحمن الأسلمي يعلم ابنه لفظ (خاتم) بكسر التاء، ولكنه أمره أن يعلمهما {خَاتَمَ} بفتحها لا بكسرها، مما يؤكد أن قراءة {خَاتَمَ النبيين} بالفتح هي الأحوط عند علي -رضي الله عنه-. صحيح أن قراءة (خاتم) بالكسر جائزة، ولكنه -رضي الله عنه- خاف أن يظن ابنه أن لا نبي بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى ولو كان تلميذا له وتابعا له -صلى الله عليه وسلم-، فلذلك أمر معلّمهما أن يُقرأهما {خَاتَمَ} بفتح التاء لا بكسرها. مما يعني أن علياً -رضي الله عنه- يرى أن كلمة {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} لا تعني المعنى الذي يفهمه العامة -أي الذي يختم النبيين ويُنهى

(1) أخرج السيوطي في تفسيره "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، سورة الأحزاب، (6/618): "وأخرج ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قُولُوا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَلَا تَقُولُوا لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ".

النبوة كليةً - وإلا لما نهى معلّم ابنه عن قراءة (خاتم) بكسر التاء⁽¹⁾... باختصار، إن هذا الحديث يثبت إمكانية النبوة⁽²⁾.

والرد عليه:

أولاً: الحديث الأول: منكر إن لم يكن موضوع مكذوب؛ لاحتوائه على علتين:⁽³⁾

الأولى: انفرد به جرير بن حازم⁽⁴⁾، الذي اختلط قبل موته⁽⁵⁾، وهو مدلس.⁽⁶⁾

الثانية: انقطاع السند بينه وبين سيدتنا عائشة رضي الله عنها-، انقطاعاً شاسعاً.

وأقول أيضاً: ولو كان هناك صحابي واحد، قال بهذا الكلام، لرأيت العشرات من الأحاديث الصحيحة المتواترة.

الحديث الثاني: سنده منقطع، ولا يفهم منه أنه أكمل النبيين، فقراءة الجمهور تعني: "بِكَسْرِ التَّاءِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَتَمَهُمْ، أَي جَاءَ آخِرُهُمْ".⁽⁷⁾

ثانياً: إذا أردنا أن نعتبر "خاتم" بمعنى أن أكمل النبيين، فهذا معنى ثانٍ للآية وليس معناها الرئيسي، مع أن الإمام القرطبي حذر من تداول هذه الرواية، فقد نقل عن ابن عطية قوله: "هَذِهِ الْأَلْفَاظُ عِنْدَ"

(1) الرواية بالتحديد من دون مبالغة المفسر، أخرجها السيوطي في تفسيره "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" (6/ 618): "وأخرج ابن الأثيري في المصاحف عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كنت أقرأ الحسن والحسين فمر بي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنا أقرئهما فقال لي: أقرئهما وخاتم النبيين بفتح التاء". وهي قراءة حفص بن عاصم "خاتم" بفتح التاء، وقرأ الباقر "خاتم" بكسر التاء أي ختم النبيين فهو خاتم. ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص 578.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص481-494.

(3) ينظر: عيسى، هذه هي الأحمدية القاديانية فاحذروها، ص93-94.

(4) جرير بن حازم بن زيد الجهضمي: من الأزد ويكنى أبا النصر. وكان ثقة إلا أنه اختلط في آخر عمره. أخبرنا وهب بن جرير بن حازم قال: ولد أبي سنة خمس وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان. وقال وهب وسليمان بن حرب: مات جرير سنة سبعين ومائة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، (7/ 205).

(5) قال العجمي في كتابه "الاعتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط" (ص: 73): "قال ابن مهدي هو أثبت من قرءة قال واختلط. يعني جرير. فحجبه أولاده فلم يسمع منه أحد في حال اختلاطه وقال أبو حاتم تغير قبل موته بسنة".

(6) ينظر: ابن حجر، تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (طبقات المدلسين)، ص20.

(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (14/196).

جَمَاعَةُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ خَلْفًا وَسَلْفًا مُتَّفَقَةً عَلَى الْعُمُومِ النَّامِ مُفْتَضِيَةً نَصًّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْهَدَايَةِ: مِنْ تَجْوِيزِ الْإِحْتِمَالِ فِي الْأَفَاطِ هَذِهِ الْآيَةِ ضَعِيفٌ. وَمَا ذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالِاِقْتِصَادِ، الْإِحَادَ عِنْدِي، وَتَطَرَّقَ حَبِيبٌ إِلَى تَشْوِيشِ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَنْمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبُوَّةَ، فَالْحَدَرَ الْحَدَرَ مِنْهُ! وَاللَّهُ الْهَادِي بِرَحْمَتِهِ". (1)

ثالثاً: فسر النبي صلى الله عليه وسلم - معنى "خاتم النبيين" في هذه الآية، بأنه آخر الأنبياء. فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه: "حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ "مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ" (2).

فهذا هو تفسيرها، ومن يخالف هذا التفسير. فتفسيره مردود عليه؛ لأنه لا تفسير بعد تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قال الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله- (3): "إذ أنكر كون الاجماع حجة قاطعة في أصله. وقال: ليس يدل على استحالة الخطأ على أهل الاجماع دليل عقلي قطعي ولا شرعي متواتر لا يحتمل التأويل، فكلما تستشهد به من الأخبار والآيات له تأويل بزعمه، وهو في قوله خارق لإجماع التابعين؛ فإننا نعلم إجماعهم على أن ما أجمع عليه الصحابة حق مقطوع به لا يمكن خلافه فقد أنكر الإجماع وخرق الإجماع وهذا في محل الاجتهاد، ولي فيه نظر، إذ الاشكالات كثيرة في وجه كون الاجماع حجة فيكاد يكون ذلك الممهد للعدر ولكن لو فتح هذا الباب انجر إلى أمور شنيعة وهو أن قائلًا لو

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (196/14-197).

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (3535)، (186/4).

(3) الغزالي (450-505هـ): محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبه طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده. من أشهر كتبه: "إحياء علوم الدين"، و"الاقتصاد في الاعتقاد". ينظر: الزركلي، الأعلام، (21/7-22).

قال: يجوز أن يبعث رسول بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فيبعد التوقف في تكفيره ومستند استحالة ذلك عند البحث تستمد من الإجماع لا محالة فإن العقل لا يحيله وما نقل فيه من قوله: لا نبي بعدي ومن قوله تعالى: خاتم النبيين فلا يعجز هذا القائل عن تأويله فيقول: خاتم النبيين أراد به أولي العزم من الرسل، فإن قالوا النبيين عام، فلا يبعد تخصيص العام. وقوله لا نبي بعدي لم يرد به الرسول، وفرق بين النبي والرسول والنبي أعلى رتبة من الرسول إلى غير ذلك من أنواع الهذيان. فهذا وأمثاله لا يمكن أن ندعي استحالاته من حيث مجرد اللفظ فإننا في تأويل ظواهر التشبيه قضينا باحتمالات أبعد من هذه ولم يكن ذلك مبطلاً للنصوص، ولكن الرد على هذا القائل أن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبداً وعدم رسول الله أبداً وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع".⁽¹⁾

المطلب الثاني: إيمان المفسر بادعاء المرزا غلام أحمد النبوة

إن الفكرة السائدة في الكتب التي تتحدث عن القاديانية، أن المرزا غلام أحمد ادعى الإلهام والكشف، ثم ادعى أنه المهدي وعيسى بن مريم، ثم بعد ذلك ادعى النبوة.⁽²⁾

حقيقة الأمر، أن المرزا غلام أحمد تأثر بالأفكار الصوفية المنحرفة التي كانت تدعي المخاطبة والمكالمة مع الله، وأن النبوة لم تنته، ومنهم "محيي الدين بن عربي"⁽³⁾ الذي كان يستشهد بكلامه كثيراً، فقد قال في كتابه "الفتوحات المكية": "فما ارتفعت النبوة بالكلية، ولهذا قلنا: إنما ارتفعت نبوة

(1) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: ت(505هـ). الاقتصاد في الاعتقاد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1424هـ-2004م. ص137.

(2) النجار، عامر: القاديانية، ص5.

(3) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، الصوفي الفقيه، أحد أشهر المتصوفة ولقبه أتباعه بالشيخ الأكبر. ولد بمرسية سنة 560 ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية، ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق، ودخل بغداد، وارتحل إلى مكة. كان وكانت وفاته سنة 638هـ. أما المتكلمون فيه كثير جداً، وكان له علم كثير في فنون كثيرة، وله خداع كبير غر به خلقاً، فأنتى عليه لأجل ذلك ناس من المؤرخين ممن خفي عليهم أمره، وأطبق العلماء على تكفيره وصار أمراً إجماعاً بعد ذلك؛ بسبب كثير من أقواله الكفرية. له عدة مصنفات أشهرها: "الفتوحات المكية"، و"الفصوص"، و"تفسير ابن عربي". ينظر: البقاعي، مصرع التصوف، (213/2-214)، الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (86/2).

التشريع، فهذا معنى لا نبي بعده"⁽¹⁾. فأصبح المرزا غلام أحمد يردد كلامهم بالمخاطبة، بعد ذلك تجرأ وبدأ يستعمل مصطلحاتهم كالنبوة الظلية، والنبوة التابعة وغيرها⁽²⁾، بعد ذلك أصبح يتعامل مع نفسه والآخرين كأنه نبي. وهذا أدى فيما بعد، الى تخبط الجماعة الأحمدية في عقيدة نبوة المرزا غلام أحمد، فجماعة المولوي محمد علي (مؤسس الجماعة الأحمدية اللاهورية) التي انشقت من الجماعة الأم عام 1946م، يقولون بعدم نبوة المرزا غلام أحمد. والمفسر بشير الدين محمود وجماعته يقولون بنبوته. وكل منهم استدل برأيه من أقوال المرزا غلام أحمد، وسأكتفي بإيراد قول واحد لكل منهما، مع تعليقي على كل قول:

القول الأول: للمرزا غلام أحمد: "وسميتُ نبيًا من الله على طريق المجاز لا على وجه الحقيقة"⁽³⁾. استدل به المولوي محمد علي وجماعته، على أنه لم يقصد النبوة إطلاقاً، إنما هو لفظ مجازي لا أكثر؛ لأنه يستحيل نزول نبي بعد النبي صلى الله عليه وسلم-⁽⁴⁾.

تعليقي عليهم: إذا كانت مجازية بالفعل، فلماذا قالها؟ وخاصة أنها كلمة خطيرة؛ لأنها تقدر بختم النبوة. إذن فهو محتال يتلاعب بالألفاظ، ويستحيل أن يكون النبي محتالاً.

القول الثاني: للمرزا غلام أحمد: "إنني أنا الفرد الوحيد الذي خُصَّ من بين الأمة بهذه الكثرة من الوحي الإلهي والأمور الغيبية، وكل من خلا قبلي من الأولياء والأبدال والأقطاب في الأمة لم يعطوا هذا النصيب الوفير من هذه النعمة، ومن أجل ذلك أنا الوحيد الذي خُصَّ باسم "النبي"، بينما لم يستحقه هؤلاء جميعاً"⁽⁵⁾. استدل به المفسر بشير الدين محمود في كتابه "حقيقة النبوة"، على أن

(1) ابن عربي، محيي الدين: ت(638هـ). الفتوحات المكية، 4 مج. قدم له: د. محمود مطرجي. (بلاط). (بلام): دار الفكر للطباعة والنشر. (بلاط). (103/3).

(2) من أقواله: "فإذا أعطي هذا الشخص من الله اسم "مثيل المسيح" بصورة ظلية واشترك في لقب "الموعود" أيضاً". القادياني، المرزا غلام أحمد: فتح الإسلام توضيح المرام إزالة الأوهام، ص292.

(3) ينظر: Split in the Ahmadiyya Movement by Maulana Muhammad Ali, ahmadiyyah .anjuman islam Lahore,u.s.a,1994,page:7-8

(4) ينظر: القادياني، المرزا غلام أحمد: الاستفتاء، ص79.

(5) القادياني، المرزا غلام أحمد: حقيقة الوحي، ص442.

نبوته حقيقية، لكنها ليست بمستقلة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وليست تشريعية.⁽¹⁾ وهذا رأي جماعته في كتابهم "النبوة والخلافة ومغالطات الجمعية الأحمدية اللاهورية".⁽²⁾

تعليقي عليهم:

أولاً: ليست هناك درجات في النبوة، إما نبي مرسل من الله، أو رسول. فلم يوضح القرآن الكريم ولا الحديث الشريف هذه التقسيمات المخترعة بأحد من أنبياءه الذين ذكروا في القرآن الكريم والحديث الشريف، ولو وجدت، لكان النبي -صلى الله عليه وسلم- أولى الناس بتبيانها.

ثانياً: عند ظهور النبي، فأول ما يبدأ به النبي أمر نبوته، فلماذا تأخر المرزا غلام أحمد بعد مبايعته في لدهيانه عام 1890م على أنها المهدي ومثيل المسيح، بعشر سنوات حتى ادعى هذا؟

إذن فهذا النص، يدل على تناقض أقواله. ويستحيل على النبي، أن يدعو الناس إلى عقائد متناقضة.

وقد رد المرزا غلام أحمد على إحدى التناقضات الموجودة عنده، التي تشبه هذا التناقض، في كتابه "حقيقة الوحي" فأجاب: "إن مثل هذا التناقض كمثل الذي ورد في "البراهين الأحمدية"، حيث كتبت أن المسيح ابن مريم سوف ينزل من السماء، ثم كتبت فيما بعد أنني أنا المسيح الموعودُ ظهوره. والسبب وراء هذا التعارض هو أنه مع أن الله تعالى قد سماني عيسى في "البراهين الأحمدية" وقال لي أيضاً: إن الله ورسوله قد أخبرا بمجيئك، إلا أن طائفة من المسلمين -وكنتم من بينهم- كانوا يعتقدون بكل شدة أن عيسى سوف ينزل من السماء، لذلك ما أردت حمل وحي الله -سبحانه وتعالى- على الظاهر بل أولته، وظللت متمسكاً بعقيدة جمهور المسلمين ونشرتها في "البراهين الأحمدية". ولكن بعد ذلك نزل علي وحي من الله بهذا الشأن كالمطر قائلاً: إنك أنت المسيح الموعودُ نزولُه. كما ظهرت معه مئات الآيات، وقامت السماء والأرض كلتاها شاهدةً على صدقي. وإن آيات الله المشرقة اضطررتني إلى القناعة أنني أنا ذلك المسيح الموعود مجيئه في الزمن الأخير".⁽³⁾

(1) ينظر: بشير الدين، محمود أحمد: حقيقة النبوة. تعريب: عبد المجيد عامر. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2018م. ص136-268.

(2) ينظر: النبوة والخلافة ومغالطات الجمعية الأحمدية اللاهورية. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2006م. ص71-90.

(3) القادياني، المرزا غلام أحمد: حقيقة الوحي، ص152.

وردي عليه: كيف له أن يؤول وحيًا الهياً جاءه -على فرض أنه جاءه-؟ أليس هذا كذباً على الله؟ ثم لا يمكن لله -عز وجل- أن يوحي لأحد من دون أن يعلمه ويفهمه الوحي، لمدة عشر سنين!! فرده هذا، اعتراف منه على تناقضه، ودليل على كذبه.

هذا ملخصٌ، لتناقضات كثيرة في أمر نبوته. لم أتناولها إلا من كتبهم التي زودتني بها الجماعة، أو نشرها على مواقعهم الرسمية.

تأثر تفسير المفسر بشير الدين محمود بادعاء والده الذي ادعاه بأنه نبي، فساق العديد من القصص على أنها معجزات، والظاهر فيها أنها لو تحقق فليست سوى كرامات. وساق أيضاً العديد من نبوءاته التي لم تتحقق، منها: عدم إصابة المؤمنين بالمرزا غلام أحمد بمرض الطاعون، الذي انتشر في البنجاب آن ذاك، بل لم يدخل المرض قرية قاديان⁽¹⁾. فقال المرزا غلام أحمد بما ادعاه أنه نبوة: "الأمراض تشاع والنفوس تضاع. إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم. إنّه أوى القرية. لولا الإكرام لهلك المقام"⁽²⁾، وعندما دخل الطاعون القرية قال في كتابه "حقيقة الوحي": "ولا يعني أن الطاعون لن يدخلها أبداً. كلمة آوى تعني في اللغة العربية تقديم المأوى لأحد ليحظى بالأمن بعد تعرضه للمصائب إلى حد ما"⁽³⁾. وأصيب بعض من جماعته، وهناك العديد من النبوءات التي ادعاها المرزا عن الطاعون لم تتحقق.⁽⁴⁾

وذكر في تفسيره "التفسير الكبير" كفر من لم يؤمن بالمرزا غلام أحمد نبياً، فقال: وهذه قضية هامة ما زالت محلّ نزاع بين جماعتنا وبين "البيغاميين"⁽⁵⁾ منذ مدة طويلة. حيث يتساءلون: أكافر من لم يسمع بمؤسس الجماعة؟ فعندما نقول: نعم، هو كافر، يرفع هؤلاء عقيرتهم مثيرين ضجة بأن هذا ظلم عظيم، فكيف يمكن أن يُعتبر من لم يسمع حتى باسم مؤسس الجماعة من أهل النار... عقيدتنا

(1) ينظر: قول المفسر في "الدابة" بالمبحث السابق، في المطلب الثالث: يوم القيامة وعلاماتها.

(2) القادياني، المرزا غلام أحمد: الاستفتاء، ص96.

(3) القادياني، المرزا غلام أحمد: حقيقة الوحي، ص263.

(4) ينظر: طاهر، هاني: حكاية الطاعون / الحلقة الثانية، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)، 2016/09/7،

<https://www.youtube.com/watch?v=1nU2rmGLUYo>

(5) يقصد بهم: جماعة المولوي محمد علي "الأحمدية اللاهورية".

عن المسيح الموعود -عليه السلام-⁽¹⁾. فالذي لم يسمع باسمه هو كافر، ولكننا لا نعتبره من أهل النار؛ إذ يمكن أن يختبره الله تعالى في الآخرة فيغفر له بناءً على إيمانه الفطري... وإذا كان كفره بنبي بسبب شرّه، فهو كافر ومن أهل النار.⁽²⁾

(1) يقصد به: المرزا غلام أحمد.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص484-486.

الفصل السادس

منهج التفسير الكبير في المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية

الفصل السادس

منهج التفسير الكبير في المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية

في هذا الفصل، نتعرض لمنهج المفسر بشير الدين محمود في تفسيره لآيات الأحكام، فمنهجه العام في تفسيرها: يذكر الأحكام الشرعية مباشرة دون نقاش لأقوال المذاهب والترجيح بينها في الغالب، ويعرض كثيراً الأحكام الفقهية من كتب التفسير وأبرزها "البحر المحيط لأبي حيان"، ويستشهد بالأحاديث النبوية، وأحياناً بأقوال نور الدين القرشي. كما يذكر الأحكام الشرعية التي يحتاجها الزمن المعاصر. مع إظهار ميزة الشرائع الإسلامية أثناء مقارنتها مع غيرها، وتبيين حكمتها، وموافقتها للاكتشافات العلمية الحديثة مما يشعرك بعظمة التشريع الإسلامي وإعجازه. والدفاع عن أحكام القرآن من الاتهامات الباطلة بأنه سرق من التوراة أو قلدها. ونادراً ما يفسر آيات الأحكام بالتفسير الإشاري، لكن إن فسره، فلا يفسره إلا تفسيراً إشارياً مقبولاً. وسنوضح ذلك في هذا الفصل، فقد قسمت هذا الفصل، إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول

منهج التفسير الكبير في فقه العبادات

فقه العبادات: ويقصد بها: الأحكام الشرعية التي تناولت عبادات أركان الإسلام (الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج). ونناقشها في المطالب التالية:

المطلب الأول: الصلاة

تناول المفسر بشير الدين محمود عدداً من المواضيع التي تتعلق بالصلاة، وفيما يأتي أهم ما تناوله المفسر بهذا الخصوص:

أولاً: الحكمة من الصلاة: من أقوال المفسر: "الإسلام هو الدين الوحيد الذي قد بين فلسفتها وحكمتها. لقد أوضح لنا أن الصلاة ليست غرامة، بل إنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. وكأن الإسلام يقول لك: صلّ، ولكن ليس لأن الله يريد أن تقوم بهذه الحركات الجسدية لعشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة، وإنما لأن الصلاة وسيلة لإصلاحك، فهي تنهى عن المنكرات وتمحو الخطايا. أما كيف تنهى الصلاة عن السيئات؟ فهذا موضوع طويل لا أستطيع الخوض فيه الآن، إنما أكتفي هنا بالقول بأن القرآن الكريم لا يأمر بالصلاة فقط، بل يبين أيضاً حكمتها وغايتها".⁽¹⁾

ثانياً: أهمية الصلاة: من أقوال المفسر: "يركز الله هنا على أهمية الصلاة أكثر فيقول: دعك من الحديث عن العلاقات الزوجية، فلو كنتم مطاردين من العدو، سواء كنتم مشاة أو على ظهور الدواب، فينبغي أن لا تهملوا الصلاة. فكأنه يقول: لا يجوز التغافل عن الصلاة في أي حال.. في الخوف أو في الأمن، حتى لا يجوز لكم ترك الصلاة وأنتم في خطر أشد من الخطر الذي يدعو لصلاة الخوف وقت القتال. فمهما كان حالكم يجب أن تُصَلُّوا"⁽²⁾. ومن أقواله: "كما إن الصلاة وسيلة لإصلاح الكيان الروحاني. وكما أن الجسم المريض لا ينجو من الموت بحجة أنه مريض فلا يستطيع تناول الطعام، كذلك فإن الجسم الروحاني لا يمكن أن ينجو من الموت بحجة أنه مريض فلا يستطيع أداء الصلاة".⁽³⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص401.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص534-535.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص749.

ثالثاً: **كيفية الصلاة وهيئتها وشروطها**: قال المفسر: "فقد فرض على المسلم أن يتوضأ لها، أو يتيمم عند الضرورة ليقوم مقام الوضوء"⁽¹⁾. وقال أيضاً: "وتؤدى الصلاة الإسلامية خمس مرات في اليوم"⁽²⁾. وهذا ما وجدته بالنسخ العربية المترجمة، أما في النسخة الأوردية الأصل، فقد تحدث المفسر بشير الدين محمود بشكل موجز غير مغل، عن كيفية الوضوء والطهارة والصلاة الإسلامية، وعن صلاة الجنائز، وصلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الشكر، وصلاة الخسوف والكسوف⁽³⁾. بما يوافق منهج السنة والجماعة، ولا أدري لماذا حذفت الشركة الناشرة هذا الكلام تحت عنوان "الصلاة الإسلامية" في الجزء الأول، ربما للاختصار!!

رابعاً: **الحرص على تعليم الأولاد الصلاة**: من أقوال المفسر: "لقد بين الله تعالى هنا أن الأولاد يتبعون خطوات الوالدين، فعلى كل مسلم في عصر رقي المسيحيين أن يوصي أولاده بالصلاة وأن يواظب بنفسه عليها لكي يتأسوا بأسوته. ذلك أن الذي يداوم على العبادة يرزقه الله حلالاً ولا يسأله رزقاً"⁽⁴⁾.
خامساً: الآداب قبل الصلاة: من أقوال المفسر: "﴿يَبْتَئِيءَ آدَمَ حُدُوءَ زَيْنَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: 31)، ولذلك أمر الشرع بالوضوء قبل الصلاة، وأن تؤدى الصلاة بثياب طاهرة، وأن لا يؤكل شيء ذو رائحة كريهة قبل الصلاة"⁽⁵⁾.

سادساً: **معنى الصلاة الوسطى**: قال المفسر: "فما هي هذا الصلاة الوسطى؟ قال البعض صلاة التهجد، وإنني أميل إلى هذا الرأي، فهي بين صلاة العشاء والصبح. وقال البعض إنها الصلاة التي تحين وقت انشغال الإنسان بأعماله (الكشاف والبحر المحيط)⁽⁶⁾. وهناك بعض الأحاديث التي تبين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: إنها صلاة العصر. فعن سمرة بن جندب أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم غزوة الخندق قال: "حبسونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس. ملأ الله

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص92.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص94.

(3) ينظر: بشير الدين، تفسير كبير، ج1، قاديان، 2004م، ص100-121.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص565.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص438.

(6) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (1/ 287-288)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (544-545/2).

بيوتهم وقبورهم وأجوافهم نار" (البخاري والترمذي، التفسير)⁽¹⁾. ونفس هذا الحديث يثبت أيضا أن الصلاة الوسطى هي التي تحين وقت انشغال الإنسان في عمله، وقد جاءت صلاة العصر يوم الخندق أثناء انشغال المسلمين في القتال، ولعل هذا هو السبب في أن النبي سماها الصلاة الوسطى. والوسطى تعني أيضا الفضلى والعليا (الكشاف)⁽²⁾. والواضح أن الصلاة التي يؤديها الإنسان بترك مشاغله الكثيرة هي التي تكون له الوسطى، وسببا في كثرة نزول البركات والأنوار⁽³⁾.

سابعاً: الحكمة من تعيين الكعبة قبله للصلاة: من أقوال المفسر: وهناك سبب آخر هام لتعيين بيت الله قبله العالم وهو أن إبراهيم كان دعا ربه أن يبعث من أهل مكة رسولا عظيما، ويكون سبب هداية للعالم كله... فعندما يقف الإنسان في الصلاة قائلا "الله أكبر" متوجهاً إلى بيت الله الحرام.. يتجه فكره فجأة إلى ذلك الدعاء الإبراهيمي، ويرى من واجبه أن يوجه الناس إلى آيات الله نيابة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويعلمهم علم الكتاب، ويبين لهم الحكم وراء الأوامر الإلهية ويحاول أن يطهرهم. ولا يمكن أن يخطر بباله هذا الهدف العظيم الشأن ولن يتولد في قلبه هذا الحماس الشديد إذا ما اتجه إلى لندن أو نيويورك أو باريس... لذلك عين الله الكعبة المشرفة قبله للصلاة.⁽⁴⁾

ثامناً: الخشوع في الصلاة: قال المفسر: "أما الدرجة العليا منها فقد حثّ عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: أن تعبد الله كأنك تراه"⁽⁵⁾... إذاً، فإن أعلى درجة في الصلاة هي أن يكون المصلي على يقين كامل أنه يرى الله تعالى، ولكن ليس المراد من رؤيته ربه -سبحانه وتعالى- أن

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: "حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَيْسَى، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَيْبَةَ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَعَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»". البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الدعاء على المشركين، رقم الحديث: (2931)، (43/4).

(2) ذكر الزمخشري في تفسيره "الكشاف" (287/1): "الصَّلَاةُ الْوُسْطَى أَي الْوَسْطَى بَيْنَ الصَّلَوَاتِ، أَو الْفَضْلَى، مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْأَفْضَلِ: الْوَسْطُ".

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص533-534.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص215-216.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه: "حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّمِيمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِئًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: "الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ". قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَأِنَّهُ يَرَاكَ». البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، رقم الحديث (50)، (19/1).

يفكر في صلاته أنه مائل أمام تمثال وهو الله -كما يفعل الهندوس-؛ لأن الإسلام لا يُعلّم الوهم ولا يريد أن يخلق في ذهن الإنسان تصوراً زائفاً، إنما يعلمه أنه إذا قام في الصلاة فيجب أن يكون على يقين بأن الله تعالى يحسن إلى من يحسن إليه ويعاقب من يسيء إليه. فإذا تيسرت لك هذه الرؤية وأحسست أن الله تعالى يحسن إلى من يحسن إليك ويعاقب من يسيء إليك، أصبح حبك لله تعالى كاملاً وبلغت صلاتك درجة الكمال. بيد أن المرء إذا أدى الصلاة بالظاهر فقط بدون خشوع وحضور قلب فإنه لم يصل، وإنما قام بتمارين جسدية، ومثل هذه التمارين يمكن أن تقوي جسمه كما تقوي جسم الجندي، ولكنها لن تعمر قلبه بنور الإيمان.⁽¹⁾

تاسعاً: نتائج ترك الصلاة: من أقوال المفسر: "الحق أن الكسل عن الصلاة يحرم الإنسان وصال الله تعالى ومعرفة صفاته، فيكون مآله الغي والضلال، كما إن قلة الدعاء تؤدي إلى الفشل".⁽²⁾

عاشراً: سبب عدم انتفاع المسلمين من الصلاة: من أقوال المفسر: "لا شك أن المسلمين اليوم يصلون في المساجد، ثم لا يتورعون أيضاً عن كثير من المعاصي بعد خروجهم من المساجد، فيكذبون ويرتشون ويخدعون ويغشون ويخونون في المعاملات والتجارات؛ ولكن سبب ذلك أنهم لا يؤدون الصلاة بشروطها التي وضعها الإسلام، ولو صلوا بشروطها لتطهرت قلوبهم وزالت أدران معاصيهم ونجوا من شتى الذنوب والآثام، لأن الذي يحسن أداء الصلاة مراعيًا شروطها التي وضعها الله يجد في نفسه تغييراً سريعاً، ولا تمضي أيام كثيرة حتى يكتسب ملكة خاصة تمكنه من معرفة السيئات، فيطلع بها على دقائق المعاصي والآثام التي لا يطلع عليها الآخرون، وتحذره الملائكة من كل إثم وتنبهه عند كل شر، وبنال القوة لمحاربة الشيطان".⁽³⁾

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص744-746.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص384.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص752.

حادي عشر: أحكام شرعية أخرى متعلقة بالطهارة والصلاة:

1. لو كانت ثياب المرء كلها نجسة بالبول مثلاً -ليس حالة السفر فحسب، بل حال إقامته أيضاً- ولم يكن عنده ثياب أخرى، وحان وقت الصلاة فعليه أن يصلي في الثياب النجسة أيضاً، أو إذا كان هناك سِتْرٌ فيمكن أن ينزع ثيابه كلها ويصلي بجسم عارٍ، وليس عليه أن يبالي بنجاسة ثوبه أو بعريه⁽¹⁾. تعليقي: وهذا قول المالكية والحنابلة، إلا أنهم اختلفوا في وجوب إعادة الصلاة، لكن من سياق المفسر فأراه يوافق المالكية بأنه لا يعيدها وجوباً بل ندباً⁽²⁾.

2. كان الخليفة الأول (نور الدين القرشي) يرى أن الحائض يمكنها قراءة القرآن ممسكةً المصحف في يدها التي عليها ثوب أو منديل، أو يكون المصحف موضوعاً على ثوب طاهر، ولكن لا يجوز لها أخذ المصحف بيدها العارية لأن هناك احتمالاً أن يكون بيدها شيء من نجاسة الحيض⁽³⁾. تعليقي: أفتى المفسر في كتاب آخر بحرمة قراءة القرآن في أيام الحيض كما هي فتوى والده⁽⁴⁾، وهذا مذهب الجمهور⁽⁵⁾، وما أفتى عليه نور الدين القرشي مذهب المالكية.

3. اختلف الفقهاء في الوقت الذي يجوز فيه اللقاء بين الزوجين.. أهو بعد انقطاع دم الحيض أم بعد الاغتسال. الحقيقة أنه يجوز فيه بعد انقطاع الدم، ولكن الأحب إلى الله تعالى أن يكون ذلك بعد أن تغتسل⁽⁶⁾. تعليقي: وهذا هو مذهب الحنفية⁽⁷⁾.

4. إذا لم يعرف الإنسان جهة القبلة وهو في القطار أو الطائرة وما إلى ذلك فله أن يتجه في الصلاة إلى أي جهة⁽⁸⁾. تعليقي: وهذا قول الجمهور خلافاً للشافعية الذي جعلوا استقبال الفرض مطلقاً⁽⁹⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص749.

(2) الجزيري، عبد الرحمن: الفقه على المذاهب الأربعة. 5م.ج. ط1. القاهرة: مؤسسة المختار. 2001م. (1/150).

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج5، ص229.

(4) ينظر: نذر، انتصار أحمد: فقه المسيح. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2019م. ص410.

(5) ينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (1/42).

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص499-500.

(7) ينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (1/107).

(8) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص215.

(9) ينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (1/162).

5. الإسلام فرض صلاة الجماعة على كل مسلم إلا إذا كان عنده عذر⁽¹⁾. تعليقي: وهذا قول الحنابلة خلافاً للجمهور.⁽²⁾

6. الأحمديون غير المبايعين (اللاهوريون)، يصلّون وراء المسلمين غير الأحمديين خلافاً لتعاليم المرزا غلام أحمد⁽³⁾. تعليقي: هذه المسألة من المسائل الخلافية بين اللاهوريين والأحمديين في فهم قول مؤسس الجماعة، فاللاهوريون يرون أن الصلاة لا تجوز وراء من يكفر الأحمدية فقط، بينما الأحمديون فيرون بعدم جواز الصلاة خلف الغير أحمدي سواء أكان مُكفراً أو لا. والحقيقة، أن مؤسس جماعتهم أفتى بالأمرين معاً⁽⁴⁾. وهذا مخالف لإجماع المذاهب الأربعة ومذهب أهل السنة والجماعة بجواز الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، لكنهم اختلفوا هل الصلاة صحيحة وراء الفاجر أو الفاسق المبتدع أم لا بد لها من إعادة.⁽⁵⁾

المطلب الثاني: الزكاة

تناول المفسر بشير الدين محمود عدداً من المواضيع التي تتعلق بالزكاة، وفيما يأتي أهم ما تناوله المفسر بهذا الخصوص:

أولاً: الحكمة من الزكاة وحكمها: قال المفسر: "وهي فريضة من فرائض الإسلام، بها شرع الله تعالى للمجتمع البشري كله حقاً مفروضاً في المال؛ لأن المال المكتسب بجهود تعاونية من قبل سائر البشر. وهذا الحق لا يسقط بأداء الحقوق الفردية.. فمثلاً: إذا كان لرجل منجم يستخرج منه معدناً، فإنه يدفع أجور العمال نظير عملهم، ولكن القرآن يشرع بأن لهؤلاء العمال نصيباً في ملكية ذلك المعدن"⁽⁶⁾. وقال أيضاً: "فمن معاني قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾"⁽⁷⁾:

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص364.

(2) ينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (314/1).

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج8، ص245-246.

(4) ينظر: نذر، فقه المسيح، ص93-94. ينظر: النبوة والخلافة ومغالطات الجمعية الأحمدية اللاهورية، ص140-148.

(5) ينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (331/1).

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص97.

(7) سورة التوبة: 103.

"حُذِّ زكاة أموالهم من أجل تطهير قلوبهم وتطهير أموالهم بإخراج ما فيها من حقوق الآخرين، ومن أجل تمهيد السبيل لازدهار الأمة والبلد. مما يعني أن الزكاة ليست عبادة فحسب، بل هي سبيل لأداء حقوق العباد أيضاً". (1)

ثانياً: مبادئ الزكاة: قال المفسر -بما ملخصه-: لقد تناول القرآن الكريم مسألة الزكاة بتفصيل لا نظير له في أي كتاب سماوي آخر، لا شك أنه قد ورد في العهد القديم أن على المرء أن يُخرج عُشْر ماله زكاةً، كما أن في الهندوسية أحكاماً بإخراج الصدقات، ولكنها تفتقر إلى التفاصيل التي بيّنها الإسلام، حيث ذكر للزكاة مبادئ عديدة بيّنها كآلآتي: (2)

المبدأ الأول: أول مبدأ قدّمه الإسلام في الزكاة أن كل شيءٍ مِلْكٌ لله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مِلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الشورى:49)، أي أن الله تعالى هو المالك الحقيقي لكل ما في السماوات والأرض، وليس الإنسان.

المبدأ الثاني: أن الله تعالى خلق كل هذه الأشياء من أجل فائدة عباده أجمعين.

المبدأ الثالث: أن كل العباد لهم الحق في كل هذه الأشياء. فكما أن لأهل القرية كلهم حقاً في الأراضي الخالية هناك، كذلك لكل الناس الحق في جميع الأشياء، ولكن أنصبه الناس في الأراضي الخالية في القرى تكون متفاوتة، أما فيما يتعلق في هذه الأشياء التي خلقها الله فإن نصيب الجميع متساو فيها.

المبدأ الرابع: هو أن للقباض على شيءٍ أو العامل عليه حقاً زائداً فيه.

المبدأ الخامس: أن لا يكتز أحد المال في صورة نقود، بل يجب أن يجعل ماله يدور بين الناس لكي ينتفع به الآخرون.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص544.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص378-381.

المبدأ السادس: أن مساعدة الفقراء مسؤولية الأثرياء رغم أداء زكاة أموالهم، فأداء الزكاة لا تكفي، بل إذا بقي فقير بعد أدائها فالإسلام يوجب على كل مسلم مساعدته.

المبدأ السابع: أن الله تعالى جعل مساعدة الفقراء كفارةً لشتى ذنوبنا، فحيناً فرض علينا تحرير العبيد، وحيناً أمرنا بإطعام الفقراء وكسوتهم كفارةً عن ذنوبنا.

المبدأ الثامن: أن الإسلام قد جعل عند كل عبادة حقاً للفقراء، فقال مثلاً: إذا وُفِّقتم للصيام فأطعموا الفقراء، وإذا جاء العيد فأخرجوا الصدقات للمساكين.

المبدأ التاسع: لم يُهمل الإسلام حقوق الفقراء عند الانتصارات والفتوحات أيضاً، بل أمر بإعطاء الفقراء نصيبهم من أموال الغنائم.

المبدأ العاشر: عند ولادة طفل أمر الإسلام بالعقيقة والوليمة لإطعام الفقراء.

المبدأ الحادي عشر: أمر الإسلام بإقامة الوليمة عند الزواج لإطعام الفقراء.

المبدأ الثاني عشر: أمرنا الإسلام بإعانة الفقراء من أموال المتوفى، إضافةً إلى تقسيم تركته على ورثته.

المبدأ الثالث عشر: جعل الإسلام حقاً للفقراء عند كل حصاد أو ثمر جديد، قال تعالى: ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام: 141)، أي إذا أتيتم البيت بأي محصول أو ثمر من قمح أو بقل أو قطن، فآتوا الفقراء حقهم فيه أولاً ثم استهلكوا منه.

ثالثاً: شروط الزكاة: قال المفسر: "والزكاة مشروطة بتوافر مقدار معين من المال يزيد على حاجاته ويبقى عنده لسنة"⁽¹⁾. ولم يفصل المفسر أحكام الزكاة بشكل مفصل في تفسيره.

رابعاً: مصارف الزكاة: قال المفسر: "إن القرآن الكريم قد ذكر مصارف الزكاة أيضاً ليبين بوضوح تام كيف تُسدُّ أهمّ حاجات الأمة بأموال الزكاة. ولولا إنفاق هذه الأموال على سدّ هذه الحاجات

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص381.

لأصبحت الأمة بلا حيلة ولا قوة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 59). فالزكاة لها ثمانية مصارف: 1- الْفُقَرَاء، 2- وَالْمَسَاكِين، 3- وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا.. أي الذين يجمعون أموال الزكاة، 4- وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، 5- وَفِي الرِّقَابِ.. أي تحرير العباد أو إنقاذ المعرّضين للشدائد، 6- وَالْغَرَامِينَ، 7- وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ.. أي في الأمور التي أمر الله بالإنفاق فيها أو فيما يرضي الله تعالى، 8- وَأَبْنِ السَّبِيلِ⁽¹⁾.

خامساً: أحكام شرعية أخرى متعلقة بما يتعلق بالزكاة:

1. الإحسان للوالدين من الصدقة وليس الزكاة⁽²⁾. وهذا قول جمهور العلماء.⁽³⁾
2. لا زكاة على الخُلِّي الذي تعيرها المرأة للفقيرات ليلبسه في مختلف المناسبات⁽⁴⁾. تعليقي: هذا قول الحنابلة⁽⁵⁾، وقول والده المرزا⁽⁶⁾.

المطلب الثالث: الصيام

تناول المفسر بشير الدين محمود بعضاً من المواضيع التي تتعلق بالصيام، وفيما يأتي أهم ما تناوله المفسر بهذا الخصوص:

أولاً: الحكمة من الصوم: قال المفسر: "فبين الله تعالى حكمته قائلاً: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}⁽⁷⁾.. أي عليكم أن تصوموا لأن الصوم يزودكم بالتقوى، والتقوى تساعدكم على تجنب كل نوع من السيئات. عندما يشعر الصائم بالجوع فإنه يفكر بأنه قد تعرض لهذه المعاناة الشديدة رغم تناوله وجبتين في اليوم، فما بال الذين يعانون الفاقة أياماً! وهذا الإحساس يحفزهم على مساعدة الفقراء، الأمر الذي لا بد منه

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص545-546.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص99.

(3) ينظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، (373/5).

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص95.

(5) ينظر: سابق، سيد: فقه السنة. 3مج. (بلاط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 2003م. (460/1).

(6) ينظر: نذر، فقه المسيح، ص204.

(7) سورة البقرة: 183.

لنتقدّم الأمة. باختصار، إن الإسلام لم يأمر بالعبادة فحسب، بل قد بيّن حكمتها أيضاً، وأوضح أن العبادة إنما هي لمنفعة الإنسان، وليس أن الله تعالى يريد بها إظهار حُكْمه وهيمنته على العباد⁽¹⁾.

ثانياً: الفرق بين صيام المسلمين وغيرهم: من أقوال المفسر: "أما الصيام فلا يوجد عند أية أمة أخرى صوم جماعي. نعم، يوجد عند المسيحيين بعض الصيام ولكن بشكل ناقص، كما يوجد مثل هذا الصيام عند الهندوس أيضاً، فمثلاً يمنعهم البانديت عن أكل المطبوخ على النار، فلا يأكل أحدهم ما مسّته النار، ولكنه يشرب خمسة لترات من الحليب الذي لم تمسّه النار، ويقول إني صائم! أما الإسلام فقد فرض صيام شهر كامل، ثم أمرنا ألا نكتفي بالإقلاع عن الطعام والشراب فقط، بل علينا أن نكثر من القيام والعبادة والدعاء في شهر رمضان، ولا سيما في العشر الأواخر منه إذ فيها ليلة القدر. فالإسلام يتميز عن الأديان الأخرى في مجال الصيام أيضاً"⁽²⁾.

ثالثاً: كيفية الصيام: قال المفسر: كان هنا آخرون منهم يحتفظون بالخيط الأبيض والأسود، وكانوا لا ينفكون يأكلون ويشربون حتى يظهر لأعينهم الفرق بين الخيطين.. إلى أن أنزل الله كلمة (من الفجر)، فأدركوا أن ليس المراد خيطين ماديين، وإنما المراد أن يتضح الفرق بين الصبح الصادق والصبح الكاذب... وفي قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) لا يعني الليل الظلمة الشديدة، وإنما المراد هو غروب الشمس، فقد ورد في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" (مسلم، الصيام)⁽³⁾.. أي ما دام الناس يبادرون إلى الإفطار بمجرد غروب الشمس فسيبقون بخير⁽⁴⁾. وقال أيضاً: "وتقليداً لليهود ظن المسلمون أيضاً أن الإنسان إذا نام فلا يجوز له بعد ذلك أكل شيء، وكذلك لا يجوز للمتزوجين ممارسة علاقاتهم الزوجية خلال رمضان. لقد ظنوا أنه كما يحظر الطعام يحظر عليهم العلاقات الجنسية. يقول الله: لا نفع ولا داعي لهذه المشقة وإنما ينفع الإنسان ويباركه أن يتقيد بما فرضه الله عليه، ولا داعي أن يفرض الإنسان على نفسه قيوداً

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص401-402.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص381.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: "حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ»." مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور، رقم الحديث: (1098)، (2/771).

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص407-410.

من عنده، فهذا غير سليم. قوله (فتاب عليكم وعفا عنكم): أي رحمكم ومنّ عليكم بهذا التيسير، فوجب عليكم الشكر لله تعالى".⁽¹⁾

رابعاً: آداب الصيام: من أقوال المفسر: "أولئك الذين يتخذون من رمضان ذريعة للأكل حتى يسمنوا، كما قال الإمام المهدي⁽²⁾: إن رمضان عند بعض الناس بمثابة أيام الأكل والراحة. يكثر فيه من أكل الحلوى والمشويات والمقليات فيخرجون منه سمنا كما يخرج الحصان من أيام راحته وأكله. هذه الأمور تحرم الإنسان من الكثير من بركات رمضان. كذلك يجب أن لا يكون هناك تكلف وتنوع في الإفطار والسحور، ولا يظن الإنسان أنه ما دام قد جاع طوال النهار فليأكل الآن كثيرا متنوعا. إن أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- في زمنه لم يكونوا يتكلفون في إفطارهم وسحورهم، وإنما كانوا يرون الكفاية في الإفطار ببعض التمر أو الملح أو الماء أو الخبز. ومن واجبنا أيضا أن نتبع هذا الطريق ونحيي سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته مرة أخرى".⁽³⁾

خامساً: شروط الصيام: قال المفسر: "اشتراط الإسلام لصيام رمضان أن لا يكون الإنسان مريضا.. سواء كان قد أصيب بالمرض فعلا، أو يتهدده المرض إن صام. كما في حالة الحامل والمرضع، أو الشيخ الفاني الذي تدهورت قواه، أو الطفل الصغير الذي في طور النمو.. فعلى كل هؤلاء ألا يصوموا... ولنعلم أن الشريعة الإسلامية قد منعت الصغار الذين هم في سن صغير جدا من أن يصوموا، ولكن إذا أوشكوا على البلوغ وجب تدريبهم على بعض الصيام. إن سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قد سمح لي بالصوم -فيما أذكر- عندما كنت في الثانية أو الثالثة عشرة من عمري... فهناك إذن طبقة من المسلمين مالت إلى الإفراط، وطبقة أخرى مالت إلى التقريط.. مع أن الإسلام دين الوسط. فإذا كان يسمح للمسافر والمريض بألا يصوما في السفر أو المرض.. فإنه يفرض على المسلم البالغ الصحيح أن يصوم شهر رمضان، ويقضي هذه الأيام المباركة في عبادة الله وتسبيحه وتحميده وتلاوة القرآن الكريم والأدعية والذكر ليحظى بقرب الله تعالى. على أية حال،

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص408.

(2) يقصد به: المرزا غلام أحمد.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص393.

فإن الشرع الإسلامي قد أكد على الصيام أيما تأكيد، وكما أنه لا يجوز التشدد في الصيام كذلك لا تجوز الاستهانة به".⁽¹⁾

سادساً: أحكام شرعية أخرى متعلقة بما يتعلق بالصيام:

1. أن الحائض إذا صامت فليس فيه أي حسنة، بل هو جهل وغباء.⁽²⁾
2. أن الذين يُعانون من صعوبة بالغة في الصيام لضعفهم ويقعون بسببه في مشقة شديدة، عليهم ألا يصوموا، بل يعطوا فدية طعام مسكين.⁽³⁾
3. المرضى والمسافرين الذين يقدرّون على أداء الفدية عليهم أن يؤدوها إلى جانب الصيام في أيام أخرى. فمن الأمراض والأسفار ما يكون ترك الطعام فيه اجتهاداً مشتبهاً⁽⁴⁾. تعلّقي: وهذا قول والده⁽⁵⁾، ومذهب الفقيه الليث بن سعد، وإحدى أقوال الإمام مالك في المسافر الذي يفطر بعد دخوله في الصوم.⁽⁶⁾

المطلب الرابع: الحج

تناول المفسر بشير الدين محمود بعضاً من المواضيع التي تتعلق بالحج، وفيما يأتي أهم ما تناوله المفسر بهذا الخصوص:

أولاً: منزلة الحج وأهميته: قال المفسر: "الحج أحد أركان الإسلام، وهو وسيلة عظيمة لاجتماع الأمة واتحادها. الحج ليس فرضاً في أي ديانة أخرى، لكن الإسلام فرض على كل من استطاع إليه سبيلاً أن يحضر في مركز الإسلام مرة في حياته على الأقل. وفي الحج منافع شتى؛ منها أنه إذا اجتمع الغني والفقير والحاكم والمحكوم والعالم والجاهل كلهم في مكان واحد، فلا بد أن يُعملوا فكرهم

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص381-382.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص387.

(3) المرجع السابق. ص387.

(4) المرجع السابق. ص387.

(5) ينظر: نذر، فقه المسيح، ص195.

(6) ينظر: ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (69/9).

في حاجات الأمة، ويتنبهوا إلى أخطائهم وتقصيراتهم ويسعوا للتخلص منها. كما أن الإسلام قد نبّه بالحج إلى إصلاح مركز الإسلام، الأمر الذي يؤدي إلى إصلاح الأمة وتقدمها".⁽¹⁾

ثانياً: الحكمة من الحج: من أقوال المفسر: (واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون) نبّه هنا إلى أن الغرض الحقيقي من مناسك الحج أن تنشأ التقوى في قلوبكم. فطوافكم ببيت الله الحرام، وتقيلكم للحجر الأسود، وسعيكم بين الصفا والمروة، وذكركم الله في مزدلفة ومنى وعرفات والمشعر الحرام، ورميكم الجمرات.. كل هذا هدفه أن يتولد في قلبكم حب صادق لله تعالى، وتدركوا أنكم هكذا سوف تحشرون إلى الله في يوم من الأيام. فإذا وثقتكم صلتكم بالله وتحملتكم أنواع المشقة، ولم تترددوا في تقديم أي تضحية في سبيله، فسوف يبارك الله فيكم كما بارك في إسماعيل وإبراهيم وهاجر، وسوف يحمي ذريتكم في حماه على الدوام. فلتتخذوا التقوى شعاراً لكم، وتذكروا يوماً تحشرون فيه إلى الله ليحاسبكم على أعمالكم... ولكن هناك سؤال: ما الحكمة في زيارة هذه الأماكن والطواف هناك؟ أرى أن من أكبر الحكم الظاهرة من ذلك وأهمها أن الله قال في موضع آخر في القرآن الكريم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ (آل عمران: 96)، فأول بيت تم بناؤه لنفع العالم هو ذلك البيت الذي في مكة المشرفة. لم يبنه سيدنا إبراهيم، وإنما هو موجود منذ سيدنا آدم أيًا كان آدم هذا. وكان في قوله (وضع للناس) نبأ بأنه ما دام هذا البيت قد بُني لجمع العالم كله، فلا بد أن يُجمعوا هناك، ولهذا عيّن الله التواريخ المحددة للحج، وبعبارة أخرى: وجّه الله دعوة عظيمة على مائدته الروحانية لتوحيد الإنسانية، ولجمع الأتقياء والصلحاء من كل مكان، ولخلق قوة ووحدة عالمية بين العالم الإسلامي أجمع.. كي يزول ما بينهم من فروق وكراهيات بسبب اختلاف أقوامهم أو بلادهم، وتتقوى علاقتهم ويزدادوا حبا فيما بينهم⁽²⁾. وتحدث أيضاً بشكل مفصل عن الحكمة من كل شعيرة من شعائر الحج، لكن ما ملخصه: عندما يرى الحاج نفسه أمام بيت بُني منذ البداية لذكر الله يشعر بعلاقة روحانية عجيبة بينه وبين الذين ما زالوا منذ آلاف السنين ينخرطون في هذا السلك الروحاني الذي انخرط هو فيه الآن.. هذا السلك الروحاني لحب الله وذكره الذي جمع بين كل هؤلاء من السابقين أو الجدد... ثم عند السعي بين الصفا والمروة يتذكر الإنسان حادث السيدة هاجر، فيمتلئ

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص381.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص445.

قلبه باليقين بأن الإنسان لو أقام لوجه الله في أرض قفر وبرية، فإن الله لن يضيعه، بل يهيئ له الأسباب من عنده... ثم هناك رمي الجمرات، والغرض الحقيقي منها هو البراءة من الشيطان: وهناك حكمة في أسماء هذه الجمرات الدنيا والوسطى والعقبة.. وهي أن يعد الإنسان أنه لن يسمح للشيطان أن يقترب منه في الدنيا، وسوف يدخل عالم البرزخ ثم العقبي خالياً من أي تأثير للشيطان على روحه. ثم بتقديم الذبائح وجه الأنظار إلى أن على الإنسان أن يكون دائماً مستعداً للتضحية بنفسه في سبيل الله تعالى...⁽¹⁾.

ثالثاً: شروط الحج: قال المفسر: "فالحج مشروط بتوافر المال والصحة والأمن".⁽²⁾

رابعاً: العمرة والفرق بينها وبين الحج: قال المفسر: "والعمرة أن يُحرم الإنسان من داخل الحرم إن كان هناك، أما إذا كان قادمًا من خارج الحرم فليحرم من ميقاته. ويقوم المعتمر بالطواف بالكعبة سبع مرات، ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ثم يحلق رأسه أو يقصر شعره. وإذا أراد أن يقدم الهدى فليذبحه. ولكن ليس بضروري أن يقدم هدياً للعمرة. والفرق بين الحج والعمرة أن العمرة تؤدى في أي وقت من السنة، أما الحج ففي شهور معينة.. هي شوال وذو القعدة وذو الحجة. عن جابر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل عن العمرة: أواجبة هي؟ فقال: لا، وأن تعتمروا خير لكم (الترمذي، الحج)⁽³⁾".⁽⁴⁾

خامساً: كيفية الحج: قال المفسر: "وكل من يريد حج بيت الله الحرام عليه أن يُحرم عند وصوله إلى الميقات. والميقات اسم للأماكن التي يُحرم من عندها الحجاج بحسب التعاليم الإسلامية. والميقات للحجاج القادمين من المدينة المنورة "ذو الحليفة" ولأهل الشام "الجحفة" ولأهل العراق "ذات"

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص446-449.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص380.

(3) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنَعَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الْعُمْرَةِ أَوْاجِبَةٌ هِيَ؟ قَالَ: «لَا، وَأَنْ تَعْتَمِرُوا هُوَ أَفْضَلُ»." الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب الحج، باب ما جاء في العمرة، رقم الحديث: (931)، (261/3). قال عنه الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"، لكن الألباني ضعفه. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (8/20).

يفهم من استدلال المفسر بشير الدين محمود بهذا الحديث، أنه لا يرى أن العمرة واجبة.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص429.

العرق" ولأهل نجد "قرن المنازل " ولأهل اليمن "يلملم " وميقات الحجاج من باكستان أيضا يلملم، ويحرمون داخل السفينة بإزائها. ومن هم دون هذه المواقيت لا حاجة بهم إليها، وإنما عليهم أن يُحرموا من حيث يقيمون. ويبدأ الإحرام بأن يُقَصَّ المحرم شَعْرَهُ، ويستحم، ويتعطر، ثم يستبدل الثياب المخيطة بإزار حول خصره، ورداء على جسمه، ويترك رأسه حاسرا، ويصلي ركعتين نفلا، ثم يقضي أوقاته في التكبير والتلبية والتسبيح والتحميد، ويردد (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك). ويجب أن يردد هذه التلبية بعد كل صلاة بصوت مرتفع ولا يجوز للمحرم لبس الثياب المخيطة كالسروال والقميص والبيجاما والمعطف، وأغطية الرأس والجورب، واستخدام العطر، ولبس الثياب المعطرة أو الملونة، أو قص الشعر أو نتفه، أو تقليص الأظافر، أو التقلية من القمل أو قتله، أو صيد حيوانات البر، أو ذبح الصيد، أو تحريض أحد على الصيد، أو إعانة الصائد، أو العلاقات الجنسية، أو الكلام الشهواني أو فحش الحديث، أو ترديد الغناء الفاحش، أو الوقوف مواقف الفسق، أو الفجور، أو الشجار. كل هذه أمور محرمة على المحرم. وعندما يقع نظره لأول مرة على بيت الله تعالى فليرفع يديه للدعاء، فهذا وقت قبول الدعاء. وعندما يصل إلى البيت الحرام يطوف بالكعبة المشرفة سبع مرات، بادئا طوافه من عند الحجر الأسود، وإذا أمكن له فليقبل الحجر الأسود في كل شوط، وإذا لم يستطع ذلك فعليه أن يشير إليه بيده. وبعد الفراغ من الطواف يصلي ركعتين نفلا. ثم يقوم بالسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط. ويبدأ أول شوط من الصفا، وينتهي الأخير عند المروة. ثم يقيم الحاج في مكة المشرفة حتى الثامن من ذي الحجة، وفيه يخرج إلى منى ويصلي هناك الصلوات الخمس من الظهر إلى الفجر، وفي الصباح من يوم التاسع بعد صلاة الفجر يخرج من منى ليصل إلى عرفات بعد الزوال، وهناك يصلي الظهر والعصر جمعا، ويبقى في عرفات حتى بعد مغيب الشمس ويقضي أوقاته في الذكر والدعاء والعبادة. وبعد غروب الشمس يرجع إلى مزدلفة ليصلي المغرب والعشاء جمعا، ويبقى هناك منهمكا في العبادة والدعاء، وبعد صلاة الفجر لليوم العاشر من ذي الحجة، وقبل طلوع الشمس يذهب إلى المشعر الحرام ليدعو هناك، ثم يذهب إلى منى. وعندما يصلها بعد طلوع الشمس يرمي فقط جمرة العقبة سبع حصوات، ويردد عند كل رمية (الله أكبر) ثم يذبح أضحيته ويحلق رأسه. ثم يذهب في هذا اليوم أو اليوم التالي إلى مكة المكرمة ليطوف حول الكعبة. والأفضل أن يقوم بهذا الطواف طواف الإفاضة مساء هذا

اليوم. وفي اليوم التالي يرجع إلى منى ليرمي الجمار كلها بعد الزوال بدءًا بالجمرة الصغرى، ثم الوسطى، ثم العقبة.. سبع حصوات في كل مرة. ويكرر هذا العمل في اليوم الثالث والرابع أيضا. وتسمى الأيام التالية ليوم النحر: 11 و12 و13 من شهر ذي الحجة "أيام التشريق". ومن اليوم الثالث عشر يعود الحاج من منى ويقوم بطواف البيت الحرام طواف الوداع. والذي يقوم بكل هذه المناسك يكون قد أدى فريضة الحج وأرضى الله تعالى".⁽¹⁾

سادساً: أشار المفسر إلى بعض الممارسات الخاطئة في الحج، ومنها: "ومما لا شك فيه أن في الحج تركيزا كبيرا على الظاهر بحيث يختفي الباطن من هذه العبادات إلى حد كبير. فمثلا يقومون بتقبيل الحجر الأسود، والسعي بين الصفا والمروة، والطواف ببيت الله. ثم برمي الجمار عند ثلاثة تلال أصبحت كأبراج. كما يضطر الإنسان هناك للقيام بالعبادة لحوالي خمس ساعات، فإذا لم يكن مع أداء هذا المناسك استغفار لأصاب الصدا للقلوب. إنني لم أر في جموع الآلاف هذه شخصا واحدا يدعو، وإنما يرون أن الحج هو أن يحرك الإنسان منديله عندما يحرك المطوف منديله. لكن الله تعالى وفقني لدعاء كثير هناك. فيما أن هذه العبادة ليست عبادة معينة كالصلاة مثلا، لذلك لا يعرف الناس أهمية الدعاء فيها... فإذا لم يهتم الإنسان بالباطن وقام بأعمال الظاهر فقط وظن أنه عمل بأوامر الشرع.. فلا بد أن يصاب قلبه بالصدا".⁽²⁾

سابعاً: التفسير الإشاري المقبول لآية { فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ }⁽³⁾، فقال: هنا بين الله أنه إذا خرج المسلم بنية الحج أو العمرة، ثم اضطر للتوقف في الطريق لمرض أو حرب أو أي سبب قهري آخر.. فلم يستطع الوصول إلى مكة المكرمة ليقوم بمناسك الحج أو العمرة، فعليه أن يقدم ما تيسر من الهدى ولا يخرج من إحرامه إلا بعد أن يبلغ الهدى محله، أي يصل الهدى إلى مكان ذبحه، ويقول ابن القاسم: إذا كان معه الهدى قدمه وإلا فلا. وقول الجمهور إنه يقدم الهدى حيث أُحصر ثم يقوم بخلق رأسه وهو آخر منسك في الحج، ثم يخرج من الإحرام. ويقول الإمامان الشافعي ومالك إن المراد من (مَحَلَّهُ) نفس المكان الذي أُحصر

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص427-429.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص438-439.

(3) سورة البقرة: 196.

فيه ولكن الإمام أبا حنيفة فيرى أن الحرم هو محل الهدى (البحر المحيط)... ولكنني لا أرى داعياً لهذا الاختلاف، لأنه لو كان هناك حرب أو حال العُدُوّ دون وصوله إلى مكة فكيف يمكن أن يوصل هُدْيَه إلى مكة؟ فلا بد في هذا الحال أن يقدم الهدى حيث أُحصِر ويحلق رأسه...⁽¹⁾ تتضمن هذه الآية إشارة أيضاً إلى أنه سيأتي وقت على المسلمين يُمنعون فيه جبراً من زيارة بيت الله الحرام، ولكن الله سوف يمكنهم من التغلب على الكفار، ويستطيعون أداء الحج في أمن وسلام، وهذا ما حدث في صلح الحديبية حين خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- بنية الطواف ببيت الله الحرام، ولكن قريشاً لبسوا جلود النمرور، وأخذوا معهم نساءهم وأطفالهم، وأقسموا على الموت أنهم لن يسمحوا للمسلمين بدخول البيت الحرام. وفي آخر المطاف تصالح الطرفان على ألا يدخل المسلمون مكة هذا العام، وإنما يأتون في السنة التالية للطواف حول الكعبة، فرجع النبي وصحابته، ولم تمض فترة طويلة حتى فتح المسلمون مكة وبدأوا يزورون الكعبة بحرية تامة.⁽²⁾

ثامناً: أحكام شرعية أخرى متعلقة عن أحكام الحج:

تناول المفسر أحكاماً عديدة؛ بسبب أدائه لفريضة الحج. فقد ذكر المفسر بعض المواقف التي حدثت معه⁽³⁾، وبعض المواقف التي حدثت مع نور الدين القرشي (ال خليفة الأول) الذي حج قبله⁽⁴⁾. بينما لم يؤدي المرزا غلام أحمد فريضة الحج، إذ كان يرغب في ذلك لكنه لم يستطع، فحج عنه أحد من أبناء جماعته حج بدل بعد وفاته⁽⁵⁾. وهذا يفسر عدم تطرق المرزا غلام أحمد لأحكام الحج نهائياً. أما أبرز الأحكام التي تناولها المفسر:

1. في كل من القران والتمتع يجب تقديم الهدى، أما في الأفراد بالعمرة وحدها أو الحج وحده فتقديم الهدى مستحب.⁽⁶⁾

(1) وهنا قد رجح رأي الحنفية.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص429-430.

(3) مثال ذلك: ما أشرت إليه قبل قليل من قوله تحت عنوان "الممارسات الخاطئة في الحج".

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص444-449.

(5) ينظر: نذر، فقه المسيح، 210-215.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص431.

2. التمتع والقران لمن ليس من أهل مكة، لأن هؤلاء يتحملون المشقة في السفر إليها. أما أهل مكة فيمكن لهم أن يؤديوا العمرة في أي وقت ولا مشقة عليهم في ذلك، فلا تمتع ولا قران لهم⁽¹⁾.
تعليقي: وهذا قول الحنفية، خلافاً للحنابلة والشافعية والمالكية.⁽²⁾

3. إذا لم يستطع القارن أو المتمتع تقديم الهدى فعليه صيام ثلاثة أيام في مكة وسبعة أخرى بعد رجوعه منها، وأرى أنه يجب صيام هذه الأيام الثلاثة في أيام التشريق (11، 12، 13 من ذي الحجة)، فقله (في الحج) يعني في أيام الحج. أما الأيام السبعة الأخرى فيصومها عندما يرجع إلى بيته⁽³⁾. وهذا قول الشافعي في القديم.⁽⁴⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص432.

(2) أنواع النسك التي يحرم بها أهل مكة، رقم السؤال: (160092)، الإسلام سؤال وجواب للشيخ محمد صالح المنجد، تاريخ النشر: 2011/3/3، <https://islamqa.info/ar/answers>.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص431.

(4) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (538/1).

المبحث الثاني

منهج التفسير الكبير في فقه المعاملات

فقه المعاملات: ويقصد بها: الأحكام الشرعية العملية التي تنظم علاقة الإنسان بالمال⁽¹⁾. وقد كان المفسر بشير الدين محمود مقلداً جداً في التحدث عنها، وسألني الضوء على منهجه في المطالب التالية:

المطلب الأول: البيع

لم يتحدث المفسر بشير الدين محمود في تفسيره عن: بيع المطلق⁽²⁾، وبيع الصرف⁽³⁾، وبيع المربحة⁽⁴⁾، وبيع التولية⁽⁵⁾، وبيع الوضعية⁽⁶⁾، وبيع المساومة⁽⁷⁾، وما تحدث عنه من بيع المقايضة⁽⁸⁾، قال فيه: "أما الاقتصاد، فقد تغير تماماً. في الماضي كانت التجارة في العالم تجري بحسب ما يسمى المقايضة، حيث كان الناس يأخذون البضائع من مكان إلى آخر، ويبيعونها مقابل بضائع أخرى كانوا بحاجة إليها، ثم يأخذونها إلى بلد ثالث، ثم يأخذون من البلد الثالث ما يحتاجونه، وهكذا كانوا يستبدلون بضاعة مكان بضاعة، وكانت حاجات الجميع تُسدّ، وما كانت البلاد تضعف ولا تفقر، لأن ما كان يؤخذ منها تعطى مثله في صورة بضاعة أخرى. أما الآن فقد فُضي على هذا

(1) صالح، نزار عطا الله: **منهج مفسري آيات الأحكام في فقه المعاملات**. ط1. الأردن: دار النور المبين للنشر والتوزيع. 2018م. ص17.

(2) البيع المطلق: وهو بيع العين بالدين، نحو بيع السلع بالأثمان المطلقة: وهي الدراهم والدنانير، وبيعها بالفلوس الرائجة. الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**، (5/3600).

(3) بيع الصرف: وهو بيع الدين بالدين، وهو بيع الثمن المطلق بالثمن المطلق: وهو الدراهم والدنانير، أو كل عملة نقدية رائجة في الأسواق. المرجع السابق، (5/3600).

(4) بيع المربحة: وهو مبادلة المبيع بمثل الثمن الأول وزيادة ربح معين. المرجع السابق، (5/3600).

(5) بيع التولية: وهو المبادلة بمثل الثمن الأول (أي برأس المال) من غير زيادة ولانقصان. المرجع السابق، (5/3601).

(6) بيع الوضعية: وهو المبادلة بمثل الثمن الأول مع نقصان شيء منه أي البيع بخسارة معينة. المرجع السابق، (5/3601).

(7) بيع المساومة: وهو مبادلة المبيع بما يتراضى عليه العاقدان؛ لأن البائع يرغب عادة بكتمان رأس المال، وهذا هو البيع الشائع الآن. المرجع السابق، (5/3601).

(8) بيع المقايضة: وهو بيع العين بالعين، كبيع السلع بأمتالها، نحو بيع الثوب بالحنطة، وغيره. المرجع السابق، (5/3600).

النظام، وأصبح التركيز على نظام البنوك، وكل تجارة تتم بالصكوك البنكية، والنتيجة أن الدول الفقيرة تزداد فقراً وتنهار. كما قُضِيَ على تجارة الأفراد تقريباً، إذ تكونت شركات تدير المعاملات التجارية، ولو تدبرتم لرأيتم أن كل التجارات الكبيرة قد احتكرتها شركات لم يكن يعرفها أحد من قبل⁽¹⁾. بيد أنه لم يتحدث عن أركان البيع والشراء وأحكامها، ولا شروطها. إنما تحدث عن بيع الأعيان الغائبة، وحرمة الغش في التجارة، فقال: "أما التجارة فقد وضع لها الإسلام قواعد شتى لكي لا يعيش فيها أحد. فمثلاً قد نهى عن شراء شيء من دون رؤيته، فلا يجوز لأحد أن يبيع كومة من القماش، بل إذا أراد المشتري أن يراه ويتقحصه فعلى البائع أن يسمح له بذلك⁽²⁾... كذلك نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن بيع وشراء فيه غش"⁽³⁾.

أما بيع السلم، فقد قال فيه: "إن الإسلام أحلَّ بيع السلم، الغريب أن المسلمين اليوم يتعاملون بالربا، ولكن يحرمون بيع السلم، مع أن الإسلام أحلَّه وحرم الربا. يقال اليوم أنه لا حرج في أخذ الربا الذي تعطيه البنوك، مع أنه قول باطل تماماً. الربا ربا.. أيا كانت تسميته، وهو محرم. كذلك قد وضع الإسلام مبادئ كثيرة أخرى للتجارة، ولا بد من الالتزام بها لازدهارها. لقد بدأ النظام البنكي في البلاد الإسلامية نتيجة غفلة المسلمين عن هذه الأحكام، ولا يمكن إيقافه الآن دفعة واحدة، لأن ذلك يؤدي إلى انهيار الدول اقتصادياً. ولو أن المسلمين استمروا في بيع السلم منذ البداية لما أحكمت البنوك قبضتها عليهم اليوم، غير أنه يمكن إيجاد طرق أخرى بإعمال العقل والفكر لاستمرار التجارات. لقد كان الناس يمارسون التجارة في الماضي أيضاً، وكان بين المسلمين تجار كبار يقومون بالتجارة من دون ربا، ولم يكن عندها أي بنوك"⁽⁴⁾.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص570.

(2) وهذا قول الحنفية، وقد جمع ابن تيمية أقوال الفقهاء في "مسألة بيع الأعيان الغائبة" فقال: "وَتَغْلِبُ مَسْأَلَةُ بَيْعِ الْأَعْيَانِ الْغَائِبَةِ وَعَنْ أَحْمَدَ فِيهِ ثَلَاثُ رَوَايَاتٍ إِحْدَاهُنَّ: لَا يَصِحُّ بَيْعُهُ بِحَالِ كَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ فِي الْجَدِيدِ. وَالثَّانِيَةُ: يَصِحُّ وَإِنْ لَمْ يُوصَفْ وَلِلْمُشْتَرِي الْخِيَارُ إِذَا رَأَهُ كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَحْمَدَ: لَا خِيَارَ لَهُ. وَالثَّلَاثَةُ -وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ- أَنَّهُ يَصِحُّ بِالصَّفَةِ وَلَا يَصِحُّ بِدُونِ الصَّفَةِ كَالْمَطْلُوقِ الَّذِي فِي الذَّمَّةِ. وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ". ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (25/29).

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص392.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص392.

فلم يوضح مشروعية السلم ولا أركانه ولا شروطه ولا أوجه الاختلاف بينه وبين البيع، حتى تعريفه لم يذكره إلا المترجم (1). ولكن ما يفهم منه أنه يجيز بيع السلم وبيع المقايضة. (2)

بالنسبة إلى المزارعة والمساقاة فلم يتحدث عن أحكامهما ولا أركانهما ولا شروطهما، ما تحدث عنه فقط، هو حرمة بيع الثمار قبل النضج، وحرمة منع مرور الماء الذي ينتفع الآخرون منه ولو على أرضه. فقال: "أما الزراعة فقد وضع الإسلام لها قوانين رائعة، فمثلاً قد نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن بيع الثمر والزرع قبْل نضجه (البخاري، كتاب البيوع) (3)، لأن فيه مغامرة، إذ قد تهبّ العواصف، فيسقط الثمر، وتخرج الغلال أقلّ من المتوقع. لقد نهى الإسلام خاصة عن بيع الثمار قبل نضجها إلا أن تُباع الأرض مع أشجارها، حتى إذا خسر المشتري في الثمار غطّى هذه الخسارة بالزراعة. باختصار، إن بيع الثمر قبل نضجه ممنوع. ثم قال الله تعالى بشأن الزراعة: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام: 141).. أي إنما يجوز لكم الانتفاع بالمحاصيل إذا أدبتم حق الفقراء فيها، وإلا فلا. أما قضية إيصال الماء مروراً بأراضي الآخرين، فأوصى الإسلام بالألا يمنع المرء غيره من أخذ الماء مروراً بأرضه (البخاري، كتاب المساقاة) (4)، وإلا فإن هذا يؤدي إلى خراب الأراضي". (5)

كما تحدث المفسر عن حرمة الاحتكار (6)، فقال: "النبى -صلى الله عليه وسلم- قد نهى هنا عن احتكار الغلال حيث قال لتجارها فقط أنهم إذا احتكروها بنية أن يبيعوها إذا ارتفعت أسعارها فهذا ممنوعٌ، ولكن بوسعنا أن نستدل من ذلك استدلالاً واسعاً عامّاً، لأن الغرض من هذا الحكم ألا يمنع التجار الناس من حاجاتهم في المعاناة. إذًا، فكما أن محتكر الغلال مجرم عند الشرع كذلك

(1) السلم: مبادلة الدين بالدين، أو بيع شيء مؤجل بثمن معجل. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص392.
(2) وهذا فيه إجماع المذاهب الأربعة إلا ما حكى عن ابن المسيب في بيع السلم. ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: ت(852هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بلاط). بيروت: دار المعرفة. 1379هـ. (428/4).

(3) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب يَبِعُ الثَّمَارَ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ صَلَاحُهَا، (76/3).
(4) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب مَنْ قَالَ: إِنَّ صَاحِبَ الْمَاءِ أَحَقُّ بِالْمَاءِ حَتَّى يَرَوَى لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ»، (110/3).

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص393.
(6) تعليقي: وهذا مذهب والده، وجمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة بتحريم الاحتكار، خلافاً للحنفية الذي يقولون بكارهيتها. ينظر: نذر، فقه المسيح، ص279، ينظر: فتوتة، الاحتكار في الفقه الإسلامي، 143-153.

فإن محتكر القماش والثياب أيضاً مجرم. أو إذا احتكر تاجر الخشب أو الحديد عنده لبيعه حين ترتفع الأسعار فهو يخالف تعليم الإسلام حتماً. فلا يجوز الاحتكار في التجارة في الشريعة الإسلامية، أي لا يجوز أن يحتكر أحد البضائع حتى يبيعه عند ارتفاع الأسعار ولا يبيعه قبل ذلك".⁽¹⁾

المطلب الثاني: الدين والربا

تحدث المفسر بشير الدين محمود عن شروط يجب مراعاتها عند الدين، فقال -ما ملخصه:⁽²⁾

أولاً: عندما تتدائنون حدّدوا موعد سداد القرض (ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله).
ثانياً: اكتبوا التعامل في وثيقة واضبطوه. ومن فوائد هذا التسجيل التحريري أيضاً أن يبقى المدين مطمئناً لفترة معينة، فلا تحيطه المخاوف: كما أن المقرض يعرف متى يذهب للمدين ويطالبه بماله طبقاً للتعهد الكتابي، وهكذا ينتفع الدائن والمدين معاً.

ثالثاً: أن يكتب بقدر ما علمه الله من الكتابة، ويمكن أن يعني أيضاً أن يكتب لأن الله قد أنعم عليه وعلمه الكتابة، فيجب أن ينفع الناس كما تفضل الله عليه، ولا يرفض مساعدة من يحتاجون إلى الكتابة، ولا يتركهم للمعاناة.

رابعاً: أن يملي هذا الصك أو المعاهدة من أخذ الدين، لذلك أمر الله أن يملي المدين بنفسه لكي يكون هناك اعتراف بلسانه.

خامساً: أن هذه المعاهدة الخطية تبقى محفوظة لدى الدائن وعنده الفرصة ليقراها ويتعرف على ما فيها من خطأ أو صواب، أما المدين فإنه لا يحتفظ بها.

سادساً: أن لا يُنقص المدين في إملائه أي شيء من الدين بل يمليه صحيحاً.

سابعاً: يجب أن يشهد على هذا الصك أو المعاهدة شهيدان من الرجال الذين تعرفونهم وتعتمدون عليهم (واستشهدوا شهيدين من رجالكم)، وتستطيعون دعوتهم والاستعانة بهم وقت الحاجة بسهولة

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص428.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص636-642.

فلا يكون شخصا من غير بلدكم أو مسافرا أو أجنبيا، فيكون هناك خطر ضياع شهادته ولا تعرفون أين تجدونه عند الحاجة. وإذا لم يتوفر رجالان فيمكن الاستشهاد برجل واحد وامرأتين.

ثامناً: الشهداء إذا دعوا للإدلاء بالشهادة فلا يرفضوا (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا)، بل يجب أن يدلوا بها بصدق وبدون خوف من سخط أحد الفريقين.

تاسعاً: كتابة بيانات القرض كاملة، ومدة السداد بصفة خاصة، ومبلغ القرض مع مدة السداد وأسماء الشهود لكيلا يكون هناك فرصة للخيانة.

عاشراً: يجب ألا يكون استدعاء الكاتب والشهيد إلى المحاكم بدون إمدادها بالنفقة اللازمة حتى لا يتضررا (ولا يضار كاتب ولا شهيد) وإذا كان الكاتب محترفا فلا يُجبر على الكتابة بدون أجر، بل يُدفع له أجر مناسب، ويجب ألا يُدعى الشاهد على حساب وقت عمله ورزقه، عدم تعريض أحد منهما إلى الضرر.

وتحدث المفسر عن شروط الرهن، فقال: "أولاً: بوجوب تسجيل عملية التداين كتابةً على شكل اتفاق أو معاهدة بين الطرفين تُسجّل عليها شهادة الشهود. وثانياً: بوجوب أن يضع المدين رهنا عند الدائن إذا لم يتم تحرير المعاهدة، كأن يكونا في سفر ولم يجدا كاتباً لتسجيل الدين. والرهن جائز في الحضر أيضاً⁽¹⁾، لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ترك درعا له عند رجل استدان منه⁽²⁾، ولكن ذُكر الرهن في السفر لأن هناك مشقة عدم يسر الكاتب والشهود. ثم استمر في توجيه النصح فقال (فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه). إذا اطمأن الرجل إلى أخيه وأعطاه المال قرضاً بدون رهن.. فعلى المدين أن يكون أميناً شاكرًا لهذا الصنيع من أخيه، ويرد له المال في موعده، عند المطالبة به بدون أي تحايل أو تهرب".⁽³⁾

(1) وهذا مذهب والده. وجمهور العلماء من إجماع المذاهب الأربعة، وخالفوه في ذلك: مجاهد والضحاك، وأهل الظاهر. ينظر: نذر، فقه المسيح، ص282-283، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (140/5).

(2) ربما يقصد به المفسر الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده (98/43)، رقم الحديث (25934): "حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْأَسْوَدُ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "رَهَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيًّا دِرْعًا، وَأَخَذَ مِنْهُ طَعَامًا". وعلق عليه محقق الكتاب (شعيب الأناؤوط)، بأن إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص641.

أما الربا ⁽¹⁾ فقد أسهب المفسر بشير الدين محمود في الحديث عنها، وفيما يأتي أهم ما تناوله المفسر بهذا الخصوص:

أولاً: حرمة الربا بكافة صورته: قال المفسر: "يجب أن نتذكر أن كلمة الربا تشمل كل أنواع الربا. سواء كان هذا الربا من البنوك أو من مكاتب البريد أو من الجمعيات الخيرية أو من الأفراد فهو حرام في كل حال. ولكن الأسف أن المسلمين في هذا الزمن بدأوا يعرفون الربا تعريفات عجيبة مرتعبين من الأمم الأوربية. وقد قال البعض إن الإسلام نهى عن ذلك الربا الذي يأخذ فيه الإنسان مبلغاً بريح كبير، ولكن إذا أخذ ربحاً قليلاً فهذا ليس من الربا الممنوع وإنما هو ربح... أما البعض الآخر فقد أجازوا الربا بأخذ الفائدة من غير المسلمين. وأفتى غيرهم أن المسلمين المقيمين تحت حكومات غير إسلامية يجوز لهم أخذ الربا منها.. حتى قال البعض إن الربا هو ما يكون فيه مال كبير. ولم يحددوا مقدار المال، وهكذا فتحوا الطريق لكل إنسان وأجازوا أخذ الربا للجميع. مع أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- اعتبر الربا لعنة شديدة حتى قال عنه إن آخذه ومعطيه وشاهده كلهم في النار (الترمذي، البيهقي) ⁽²⁾. ⁽³⁾

ثانياً: الحكمة من تحريم الربا: من أقوال المفسر: "الحقيقة أن النهي عن الربا من أسمى تعاليم الإسلام. لا يريد الإسلام أن تجتمع الثروة في أيدي قليلة بينما يهلك الآخرون جوعاً، وإنما يريد أن تتاح لكل واحد، على قدم المساواة، فرصة للتسابق في مجال الرقي، وأن تتأسس المدنية على أسس سليمة صحيحة، ولذلك لا بد من أن ينتهي التعامل الربوي بكل أنواعه. لأن أكبر ضرر للربا هو أن الأثرياء يتمكنون من الحصول على المال، فيستولون على التجارة والزراعة والحرفة بكل أنواعها،

(1) الربا: لغة: الفضل والزيادة. واصطلاحاً: الزيادة على رأس المال دون حق، وما يزيد عن الاصل هو الربا. ينظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (1/326). ينظر: سابق، فقه السنة، (3/126).

(2) أخرج الإمام الترمذي في سننه، أبواب البيوع، باب ما جاء في أكل الربا، رقم الحديث: (1206)، (3/504): «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْلَ الرَّبَا، وَمُوكَلَّهُ، وَشَاهِدِيهِ، وَكَاتِبِيهِ». وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي جُحَيْفَةَ: «حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وَقَالَ الْأَبْيَانِي: «وَتَصْحِيحُ التِّرْمِذِيِّ لِحَدِيثِهِ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ عِنْدَهُ، فَالْإِسْنَادُ صَحِيحٌ». الْأَبْيَانِي، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (5/185).

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص625.

ويعيش الآخرون تحت رحمتهم، فالربا هو الذي كدس الثروة في هذا الزمن في أيدٍ قليلة، ووسع الشقة بين الأثرياء والفقراء".⁽¹⁾

ثالثاً: أنواع الربا: قال المفسر: "ولو تدبرنا لوجدنا أن الربا على نوعان: أحدهما ما يأخذه الثري من غيره من الأثرياء من المال لاستثمار أمواله، فيؤدي عليه الزيادة، كما يفعل التجار وأصحاب البنوك. والنوع الثاني ما يأخذه الفقير لسد حاجته من ثري كقرض، ثم يؤدي عليه الفائدة. وقد منع الإسلام من النوعين كليهما. ولم يمنع من إعطاء المال الآخر على زيادة فحسب، بل أيضاً منع اقتراض المال من أحد على زيادة. وفضلاً عن منع التعامل الربوي، فإنه جرّم الشاهدين عليها وكتبتها أيضاً".⁽²⁾

رابعاً: الإسلام قدم نظاماً اقتصادياً متكاملًا، بديلاً عن الربا. فقال المفسر -ما ملخصه-:⁽³⁾

1. ضرورة أن يتيسر لكل إنسان الطعام والشراب والثياب والسكن والعلم.
 2. يجب ألا يجتمع عند أحد مال بدون حدود.
 3. يجب ألا يبقى المال مدخراً عند أحد، بل يجب أن تدور الثروة دائماً لينتفع بها الجميع.
 4. يجب على الحكومة والمجتمع أن يسدا حاجات المضطر حقاً.
- وتحقيقاً للمبدأ الأول فإن الإسلام يأمر الحكومة أن تهيبّ للناس الطعام واللباس والسكن وغيرها.. ولذلك أسس نظام الزكاة والخراج، وفرض على الأفراد أداء الصدقة.
- وتحقيقاً للمبدأ الثاني منع الإسلام من الربا التجاري، لأن الثروة تتراكم بلا حدود بسبب الربا. يقوم الإنسان بالمجازفة بأموال الآخرين.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص625.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص625.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص628-629.

وتحقيقاً للمبدأ الثالث أسس الإسلام نظام الزكاة والميراث ومنع التعامل الربوي. وتحقيقاً للمبدأ الرابع أسس نظام الزكاة والصدقات والرهن أو القرض أو بيع السلم. وهكذا قدم الإسلام نظاماً مكتملاً مبنياً على هذه الأسس.

خامساً: من أهم عواقب الربا في نظر المفسر:

1. الربا سبب للحروب، منها: الحرب العالمية الأولى. قال المفسر: كان الربا هو الأساس لهذه الحرب، صحيح أن دول الحلفاء حاربت دفاعاً.. ولكن ما الذي شجع ألمانيا على شن الحرب؟ إنه الربا، كانت الحكومة الألمانية ترى أنها تستطيع في حالة الحرب الحصول على المال بطريق الربا لمواصلة الحرب، لو كان باب الحصول على الأموال بالربا مسدوداً أمامها ما فكرت في استمرار هذه الحرب الكبيرة... فالربا من أهم أسباب الحروب، ولذلك ذكر الله مسألة الربا بعد ذكر الحرب؛ لأن للربا صلة عميقة بالحروب.⁽¹⁾

2. سقوط الدول الإسلامية ودمارها. فقال: "إن التعامل الربوي هو الذي كان وراء سقوط كل الحكومات الإسلامية الأخيرة. لقد دُمِّرَت إما لأخذ الربا أو لإعطاء الربا. إذا اقترضوا بالربا بدأ المقرضون يثبتون أقدامهم في بلاد المقترضين شيئاً فشيئاً، مرة بعقد صفقة لإنشاء سكك حديدية، ومرة لحفر المناجم، وتارة لغير ذلك.. بالتدريج يستولون على البلد كله. أما إذا كان المسلمون هم المقرضون بالربا.. فكلما توترت العلاقات بينهم وبين البلاد الأخرى كان المقرضون منهم يميلون إلى العدو الأجنبي لحماية مصالحهم المالية لديهم، وهذا ما فعله المسلمون في ولاية (لكناو) وفي ولاية (أوده) بالهند، فقد أقرضوا الآخرين بالربا، وجمعوا كثيراً من الأموال في البنوك الإنجليزية، وعندما هاجم الإنجليز ولاية لكاناو، هددوا الأثرياء بمصادرة أموالهم المودعة في البنوك الإنجليزية، وكانت النتيجة أن هؤلاء قبعوا صامتين لا يحركون ساكناً لتأييد الحاكم المسلم".⁽²⁾

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص629-630.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص633.

3. اشتعال نار الفتن في العالم. قال المفسر: "النتيجة الحتمية للربا هي النار.. سواء كانت في صورة حروب، أو في صورة فتن وفساد، ولكن البيع لا يؤدي إلى هذه النتيجة. ثم إن ضرر الربا هذا ليس مؤقتا، بل تستمر نار الفتن هذه في الاشتعال ما دامت اللعنة الربوية مستولية على العالم".⁽¹⁾

المطلب الثالث: النفقات

تحدث المفسر بشير الدين محمود عن تسعة أنواع من الإنفاق ذكرت في القرآن، ويرى أنه من ترك أحدها ضعف في تقواه، وأن كثيرا من الناس يُحرمون ثوابًا عظيمًا لعدم إدراكهم لهذا التقسيم من النفقات. سأذكرها بتلخيص شديد:⁽²⁾

1. الزكاة: سبق التحدث عنها.⁽³⁾

2. الصدقة: وأساسها الرحمة والشفقة، ولم تُفرض بمقدار محدد، بل أمرها متروك لمقدرة الإنسان ومستوى تقواه ولحاجات المحتاجين في جواره. وتنفق بطريقتين: الأولى: تنفق على الذين يطالبون بسدّ حاجاتهم، مثل الفقراء الذين يسألون الناس ولا يرون فيه عارًا، فقد أمر الإسلام بالإنفاق عليهم بحسب المقتضى، قال الله تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ﴾ (الذاريات: 19). والثاني: هو المحروم المذكور في قوله تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: 19). والمراد من المحروم الذين لا يسألون الناس مع فقرهم... ويندرج في المحروم العجزة مثل البكم والعرج أو النساء اللاتي يُفَرِّزْنَ في بيوتهن أو الأطفال الصغار، أو الحيوانات المحرومة من النطق، فالإنفاق على كل هؤلاء صدقة.

النفقات الجماعية والدينية: ما ينفقه أهل الخير لسد حاجات القوم والملة، وهي لا تسمى صدقة لأنها لا تُنْفَق على سدّ حاجات الفقراء والمساكين، بل يعود نفعها على الفقير والغني، بل على الأمة كلها

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص631.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج1، ص97-100.

(3) ينظر: المطلب الثاني من المبحث السابق (المبحث الأول) من هذا الفصل.

أحياناً. فمثلاً إذا خرج المرء من بيته للجهاد أو زوّد مقاتلاً بطعام أو راحلة، فإنه ينفق على القوم وليس على الفرد.. فهو يندرج تحت قوله تعالى ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: 41).

3. نفقة الشكر: الفرق بينها وبين الصدقة أن الصدقة تُنفق دفعاً لمصيبة أو رغبةً في تحقيق غاية، أما نفقة الشكر فتنتفق شكراً لله تعالى بعد زوال مصيبة أو تحقق غاية، وقد جاء ذكرها في قوله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام: 141).

4. الفدية: والفدية تعني الصدقة، ولكنها تعني أساساً إنفاق شيء في سبيل الله تعالى تلافياً لتقصير في عمل صالح، فالفدية نفقةٌ يقدّمها المرء تلافياً لتقصير في عبادة.

5. الكفارة: نفقة أو عبادة يقوم بها المرء دفعاً لوبال معصية ارتكبها.. والفرق بين الكفارة والفدية أن الفدية تُدفع عندما يترك الإنسان وبإذن الله تعالى أمراً لا بد من العمل به في الظروف العادية، أو أن يقوم بعمل ولكنه يظن أنه قد قصر فيه، فيخرج صدقة تلافياً لهذا التقصير، أما الكفارة فتُدفع عند صدور معصية منه، أو عند اقترابه منها دون الارتكاب. والهدف من الكفارة النجاة من وبال الإثم أو التأكيد على التوبة عملياً.

6. ما يُنفقه المرء على زوجته أو أولاده لرقّي النظام الاجتماعي: وهي نفقة ضرورية وفريضة على المرء عند القرآن، ومن لم يدفعها صار أثماً، ومن واجب الحكومة الإسلامية أو النظام الإسلامي إكراهه على أدائها.

7. حق الخدمة: أي إذا عمل لك المرء عملاً فعليك أن تدفع له أجراً مناسباً وتحسن إليه، لقد بين الله تعالى هنا أنه لا بد من أن يؤدي المرء حق الخدمة من دون مماطلة أو تأخير.

8. هو ردّ الإحسان كخدمة الوالدين والإحسان إليهم، فخدمتهم لا يمكن أن تسمى أداء حق الخدمة، لأن الوالدين لا يقومون بخدمة الأولاد، بل يقومون بتربيتهم بدافع فطري ولا يتمنون أجراً على سهرهم على الأولاد، وإذا فعل الابن بوالديه أي معروف عندما كبر، فإنه لا يؤدي لهم حق الخدمة وإنما يسعى لرد إحسانهم له. قال الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ..أَنْ أَشْكُرَ لِي وَوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (لقمان: 14).

كما تحدث المفسر بشير الدين محمود عن ثلاثة أمور يجب مراعاتها عند الإنفاق في سبيل الله، وهي:

1. أن ينفق دون أي انقباض في قلبه، بل ببشاشة وطيب نفس.
2. إذا أنفق على أحد فلا يمتن ولا يتقل عليه عبئاً لا يليق، بل يقول في نفسه أن الله وفقني بفضله ورحمته لفعل هذا الخير.
3. أن ينفق أفضل ماله.

ثم قال: "هذه الأمور الثلاثة تستنبط من الآيات التالية: قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرْهُونَ﴾ (التوبة: 53) وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى﴾ (البقرة: 262) وقال ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: 92)".⁽¹⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص548.

المبحث الثالث

منهج التفسير الكبير في فقه العقوبات

فقه العقوبات: ويقصد بها: الأحكام الشرعية التي تناولت الجزاء لمن خالف أوامر الله تعالى ونواهيه التي زجر عنها، بحدّ أو تعزير.⁽¹⁾

فالعقوبات تنقسم الى قسمين، إذن: حدود وتعزير، أما الحدود فهي عقوبة مقدرة حدها الله تعالى وقدرها، فلا يجوز لأحد أن يتجاوزها⁽²⁾، وأما التعزير فهي عقوبات الجرائم التي ليس لها حد مقدر شرعاً.⁽³⁾

واختلف الفقهاء في الحدود، فالحنفية يقولون بأن الحدود خمسة: وهي حد السرقة وحد الزنا وحد الشرب وحد السكر وحد القذف. أما قطع الطريق فهو داخل تحت مفهوم السرقة بالمعنى الأعم، والجمهور يضيفون إليها: حد الردة والقصاص.⁽⁴⁾

في هذا المبحث، سأسلط الضوء على رأي المفسر بشير الدين محمود في الحدود، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: حد الردة

الردّة: لغة: هي الرجوع⁽⁵⁾، واصطلاحاً: هي رجوع المسلم العاقل البالغ عن الاسلام إلى الكفر باختياره دون إكراه من أحد سواء في ذلك الذكور أو الإناث.⁽⁶⁾

(1) ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، (ص: 322). ينظر: عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، (80-79/1).

(2) الزحيلي، وهبة بن مصطفى: الفقه الإسلامي وأدلته، 10مج. 4ط. دمشق: دار الفكر. (بلا.ت). (5275/7).

(3) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (5589/7).

(4) ينظر: الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (5275/7).

(5) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (338/1).

(6) سابق، فقه السنة، (301/1).

تحدث المفسر بشير الدين محمود أن الدين الإسلامي دين عظيم، ولا يمكن لأحد أن يرتد عنه إلا لغرض أو مطمع دنيوي⁽¹⁾، وعلى المسلمين أن يحذروا من تكفير الآخرين بالظن، فقال: "على الإنسان ألا يعتمد في قراراته على الظن، وإنما على العلم واليقين. إن شهادة السمع أو العين أو القلب وحدها لا تكفي، بل يجب على الإنسان أن يتحرى الأمر بكل الإمكانيات المتاحة قبل أخذ القرار. ومن أجل ذلك قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- مقولته الشهيرة: إذا كان هناك تسعة وتسعون احتمالاً لكفر شخص واحتمالاً واحد لإيمانه فلا تكفروه"⁽²⁾. ووضح وجوه الكفر، فقال: "الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والدعاء، والقدر والبعث بعد الموت"⁽³⁾.

فيما يتعلق بحد الردة، فيرى المفسر بشير الدين محمود بأنه لا يوجد هناك حد الردة، وإنما نسب للإسلام⁽⁴⁾، فقال: "يعتقد عامة المسلمين اليوم عقيدة بشعة بأن من ارتد عن الإسلام وجب قتله، ولكن الإسلام لم يعلم ذلك قط، إنما نسبوه إلى الإسلام باطلا"⁽⁵⁾. والسبب -على حد زعمه- أنها متعارضة مع آية قرآنية، فقال: "لا يجوز إكراه أحد بهذا الصدد. لما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى العالم كان العرب وغيرهم من الشعوب، ترى الجبر والإكراه في الدين جائزاً تماماً. ولكن القرآن الكريم أبطل هذه النظرية فأعلن بأن ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: 256). فمن أراد أن يُقنع أحداً فليقنعه بالدليل والبرهان، ولا يجوز إكراهه على اعتناق عقيدة ما"⁽⁶⁾. وهذا

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص384.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص506.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص506.

(4) يرى المفسر أن قتل المرتد التمس على الفقهاء، فالمرتد لا يقتل لخروجه من الدين، ولكن يقتل إذا حارب الدين، وقتل المسلمين، فقال: "(رجل يخرج من الإسلام يحارب الله ورسوله فيقتل أو يُصلب أو يُنفى من الأرض) (النسائي، تحريم الدم).. أي المراد من التارك لدينه المفارق للجماعة الذي يترك الإسلام ويحارب المسلمين. تبين هذه الرواية أن لا تمييز بين رجل وامرأة، فكل من يقتل يُقتل.. وأن النفس بالنفس". (بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص354). صححه الألباني. ينظر: النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: ت(303هـ). المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي). 9مج. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. 1406هـ-1986م. كتاب تحريم الدم. باب الصلب. رقم الحديث: (4048)، (101/7). وينظر: الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (7/ 254).

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص249.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص653-654.

يخالف إجماع المذاهب الأربعة وأهل العلم على وجوب قتل المرتد، وكذا تقتل المرأة المرتدة عند جمهور العلماء غير الحنفية.(1)

المطلب الثاني: القتل والقصاص

القتل: إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتوَلَّى لذلك يقال: قَتْلٌ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت. (2)

تحدث المفسر بشير الدين محمود عن حد القاتل العمد وعقوبته، فقال: "القرآن الكريم يصف عقوبة جريمة القتل العمد قائلاً ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ (النساء:93). ومن الثابت أيضاً في القرآن الكريم أن القاتل يُقتل أيضاً. فالقاتل-إذا-له عقوبتان: الإعدام في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة. فكأن الله يقول هنا: عاقبوه عقاب الدنيا بقتله، أما بقية عقابه فسيكون بعد موته"(3).

وتحدث عن الحكمة من هذه العقوبة (4)، ومن الذي يقوم بتنفيذ هذا الحدّ، فقال: "ولا يغيبن عن البال أنه من المحذور شرعاً أن يتولى الإنسان بنفسه إدانة أحد ثم ينفذ فيه العقوبة من تلقاء نفسه. ومن يفعل ذلك اعتبر مسرفاً في القتل... وهذا ما يؤكد قوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (5)، لأن معناه أن ولي القتل سوف يتلقى النصر من قبل الدولة؛ لذا عليه ألا يدين بنفسه أحداً، ولا يأخذ بيده تنفيذ الإعدام، وإنما يقتصّ بوساطة الدولة"(6).

(1) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (5580/7).

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 655.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 1، ص 368-369.

(4) قال المفسر: "الواقع أن الإسلام قد أرسى بهذا الحكم الأساس لأمن البلاد. إن سلام العالم إنما ينعدم نتيجة أحد السببين: أولهما عدم عقاب القاتل، وثانيهما إعدامه بطريقة عشوائية دون روية وتدبر. والحق أن العفو في بعض الحالات هو الأذى والأذى لتوطيد الأمن. ولكن القانون الرائج حالياً لا يمنح لأولياء القتيل خياراً كهذا، بل ينصّ على قتل النفس بالنفس في كل حال، مما يقضي على أمن البلاد، ويزيد نيران العداوة لهيباً. ولو أنهم عملوا بتعليم الإسلام لقلّت حالات القتل بشكل ملموس، ولتلاشى التباغض إلى حد كبير". بشير الدين، التفسير الكبير، ج 4، ص 501.

(5) سورة الاسراء: 33.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 4، ص 501-502.

لم يتحدث المفسر بشير الدين محمود عن قصاص الجوارح والجروح في "التفسير الكبير"، لكنه أقر بها، في تفسيره "التفسير الصغير".⁽¹⁾

المطلب الثالث: السرقة والحراية

السرقة: أخذ مال معين المُقدَّر غير مملوك للآخذ من حرز مثله خُفِيَّة⁽²⁾، والحراية -وتسمى أيضا قطع الطريق-: هي خروج طائفة مسلحة في دار الاسلام، لإحداث الفوضى، وسفك الدماء، وسلب الاموال، وهتك الاعراض، وإهلاك الحرث والنسل، متحدية بذلك الدين والاخلاق والنظام والقانون.⁽³⁾ تحدث المفسر بشير الدين محمود عن حرمة السرقة والحراية، وحرمة التبرع بمالهما⁽⁴⁾، وتشويه الفطرة لدى السارق مستدلاً بقصة رواها معلمه نور الدين القرشي⁽⁵⁾، وأن الإسلام شرَّ الاستئذان للحد من السرقة⁽⁶⁾، وأهمية محاربة قطاع الطرق واللصوص، فقال: "وهذا هو التعليم القادر على إرساء السلام في العالم؛ ذلك أنه إذا هاجم قطاع الطرق قرية وخرج أهلها للتصدي لهم فلن يجرؤوا على اقتحامها، لإدراكهم أن أهلها مستعدون لحربهم. ثم إذا علم كل فرد من المجتمع أنه إذا قُتل دون ماله أو عرضه فهو شهيد، فلن يخاف الموت، لعلمه أنه إذا قُتل في هذا الاشتباك فهو شهيد، وإذا نجا من القتل فإنه يكون قد حمى ماله وعرضه أيضا"⁽⁷⁾. لكنه لم يتحدث في تفسيره "التفسير الكبير" عن حد السرقة والحراية. بيد أنه ذكر في تفسيره "التفسير الصغير" حد السرقة بقطع اليد⁽⁸⁾، وحد الحراية القتل بقطع الرأس بالسيف، أو القتل على الصليب (الصلب)، أو تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفون من الأرض.⁽⁹⁾

(1) ينظر: بشير الدين، تفسير صغير، ص 146-150.

(2) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (428/1).

(3) سابق، فقه السنة، (311-310/2).

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص 607.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص 242-244.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص 360.

(7) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص 406.

(8) ينظر: بشير الدين، تفسير صغير، ص 148.

(9) من أقوال المفسر في "التفسير الصغير": "إن قطع اليد والقدم في جانب واحد يجعل المصاب عاجزا عجزا تاما. وتكشف الآية عن أن الإسلام لا يتردد في اتخاذ أشد الوسائل لاقتلاع الشر من جذوره عندما تتطلب ذلك دواعي حماية المجتمع أو الدولة". بشير الدين، تفسير صغير، ص 147.

المطلب الرابع: شرب الخمر

الخمر: لغة: ستر الشيء وغطاؤه (1)، واصطلاحاً: ما أسكر من عصير العنب وغيره، وسميت بالخمر؛ لأنها تغطي العقل. (2)

تحدث المفسر بشير الدين محمود عن استعمال الخمر من الهندوس والفرس واليهود والنصرانية والعرب ما قبل الإسلام بشكل مفصل (3)، ثم تحدث عن تحريم الإسلام له، فمن أقواله: وفي موضع آخر من القرآن الكريم هناك نهى قطعي عن الخمر بكلمات أشد: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: 90-92). سبق أن ذكرت أن الإسلام قد نهى عن شرب الخمر في وقت لم تكن تُستقبح في أي من الديانات السابقة، بل كانت عموماً تحبذ استخدامها... بل إن الطب في ذلك العصر كان يعتبر الخمر غذاء مقويا جدا ونافعا للصحة. ورغم كل هذا نهى الإسلام عن تعاطي الخمر نهيا قاطعا. ولم يمهأ اعتباطا بدون مبرر، وإنما قدم الأدلة على مضارها، ولم يكن في أدلته متعصبا، وإنما ذكر ما في الخمر من بعض المزايا. (4)

ثم تحدث عن الحكمة من تحريمها، وما اكتشفه الطب الحديث، فمن أقواله: "ومن الحقائق التي لا يحوم حولها شك أن الخمر لا تضر بالجسم فقط، بل لها تأثير شديد جدا على أخلاق الإنسان... أيضا أثبتت خطأ وبطلان البحوث العلمية القديمة عن الخمر، واضطر معظم العلماء إلى الاعتراف بأن ضرر الخمر أكثر من نفعها، ويرجع الفضل في إبطال هذه الأفكار القديمة المستحكمة إلى العالم النفسي (كربلن) بالتعاون مع زملائه المنفقين معه في الرأي. لقد بذلوا جهودا وأثبتوا أن تناول جرعة ضئيلة من الخمر، ولو مرة واحدة تضر بألياف رقيقة وخلايا حساسة في المخ الإنساني. كذلك

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 298.

(2) ينظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (1/255).

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج 2، ص 477-486.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج 2، ص 482-483.

قام الأستاذ (هوج) باختبارات تتعلق بتأثير الكحول على عضلات الإنسان، وتوصل بها إلى أن تناول الخمر يضر ضرراً بالغاً بقوة التحمل والجلد والذكاء. كما أن الدكتور (الكسندر برايس) هو من كبار علماء الأغذية.. قدّم بحوثه في صدد الخمر فقال: لم يبق هناك أدنى شك في أن الخمر في الحقيقة سم قاتل يدمر الألياف. فهو أولاً: يبدي تأثيره المسكّر، ثم يحدث ضرراً بالغاً بالأعصاب".⁽¹⁾

لكن المفسر لم يتحدث نهائياً، عن حدّ لشارب الخمر، بيد أن الجماعة الأحمديّة - كما ذكرت في موقعها الرسمي - أن الخمر لا حدّ له، إنما يقدر له عقوبة تعزيرية⁽²⁾. وأعتقد أنه موقف المفسر، وهذا مخالف لإجماع المذاهب الأربعة الذين أجمعوا على وجوب حدّ الجلد لشارب الخمر، ولكنهم اختلفوا في عدد الجلدات.⁽³⁾

المطلب الخامس: الزنا

الزنا: وطء المرأة من غير عقد شرعي.⁽⁴⁾

تحدث المفسر بشير الدين محمود عن الحكمة من تحريم الزنا، واستنبط بعض الحكم من تحريمها من خلال مناسبته في الآيات⁽⁵⁾، ومن أضراره الصحية⁽⁶⁾. كما تحدث عن الخطوات الوقائية للحيلولة من الوقوع بالزنا، وأهمها: غض البصر، واجتناب المواقع التي يتم فيها الزنا.⁽⁷⁾

أما حدّ الزنا عند المفسر، فسأوضحها من خلال النقاط التالية:

أولاً: متى يقع حد الزنا: يرى المفسر أنه يقع في حالتين: الشهادة، أو إقرار الزاني (المجرم) بالزنا. قال المفسر: طريق الشهادة على وقوع عملية الزنى، وهو كالاتي: إن الذي يتهم غيره يتحتم عليه

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص485-486.

(2) إسلام أحمديّة (الموقع الرسمي للجماعة الإسلامية الأحمديّة)، أسئلة وأجوبة،

https://islamahmadiyya.net/qas_new.asp

(3) ينظر: سابق، فقه السنة، (2/265).

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص384.

(5) مثال ذلك: قال المفسر: "لقد جاء النهي عن الزنا هنا بعد النهي عن قتل الأولاد فوراً، وفيه إشارة لطيفة إلى أن الزنا أيضاً

يؤدي إلى قتل الأولاد". بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص497.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص499.

(7) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص498.

أن يأتي بأربعة شهداء يشهدون على صدق اتهامه. والثابت من أقوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة أن الشهود لو اختلفوا في مكان وقوع الزنى فلن تُقبل شهادتهم أبداً، وستُعتبر شهاداتهم شهادة واحدة ولو كانوا أربعة، إذ لا بد من أربعة شهود عيانٍ علاوةً على الشخص المدعي الذي يجب أن يتحدث عن حادث واحد وفي مكان واحد، كما لا بد أن تكون شهادة الشهود مكتملة تامة لدرجة أن يشهدوا على أنهم قد شهدوا عملية الفاحشة بشكل تام، وقد قال الفقهاء بهذا الصدد أن على الشهود الأربعة أن يشهدوا أنهم قد رأوا الرجل والمرأة متصلين كما يكون الميل في المكحلة... أما إقرار المجرم فليكن معلوماً أن الإقرار الصحيح إنما هو ذلك الذي يتم دون جبر وإكراه... ثم لا يكفي لثبوت الجريمة أن يقر المجرم بها مرة واحدة بل عليه أن يقر بها أربع مرات أمام القاضي وفي غياب الشرطة، ثم يجب أن يكون إقراره هذا مقروناً بالقسم، عندها سيجب عليه الحد. ولو أنكر المجرم ارتكاب الجريمة فيما بعد رغم إقراره بها أربع مرات من قبل، فأيضاً لن يثبت عليه الحد. ولكنه لو ذكر في شهادته اسم امرأة فسيفرض عليه حد القذف لأنه اتهمها بالزنى.⁽¹⁾

ثانياً: حد الزنا: قال المفسر: "لقد ثبت من هذه الآية القرآنية جلياً أن عقوبة الزانية والزاني هي مئة سوط. ويخبر الله تعالى في سورة "النساء" أن هذه العقوبة هي للأحرار من الرجال والنساء، أما غير الحرائر فعقوبتهن نصف هذه العقوبة إذا ارتكبن الفاحشة... إن عقوبة الزنى للمرأة الحرّة والرجل الحرّ هي مئة جلدة، وأن عقوبة الأمة أو الأسيرة هي خمسون جلدة بحسب القرآن الكريم"⁽²⁾. أما حكم الرجم للزانية المحصنة، فيرى المفسر أنه كان موجوداً في أول الأمر، وقد نفذه النبي -صلى الله عليه وسلم- على المسلمين تقليداً لما يفعله اليهود، حتى نزل الحكم القرآني⁽³⁾. مستشهداً بأقوال المعتزلة ومحبي الدين بن عربي، راداً على الشوكاني صاحب "نيل الأوطار"⁽⁴⁾ بقوله: "لقد ثبت من هنا أن الخوارج والمعتزلة أيضاً لا يرون الرجم حكماً إسلامياً. ويرى صاحب "نيل الأوطار" أن دليلهم

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص321-322.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص306.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص315-316.

(4) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: ت(1250هـ). نيل الأوطار، 8مج. تحقيق: عصام الدين

الصباطي . ط1. مصر: دار الحديث. 1993م. (7 / 109)

ضعيف لأنه مبني على القرآن فقط!! إنا لله وإنا إليه راجعون"⁽¹⁾. ونقاش هذا الأمر طويل جداً، ولكنني سأكتفي بالقول: أن فقهاء المذاهب الأربعة أجمعوا على رجم الزاني أو الزانية المحصنة.⁽²⁾

ثالثاً: كيفية تطبيق حد الزنا: قال المفسر: "إن ما يتضح من القرآن الكريم هو أن يعاقب المجرم أمام الناس سواء كان السوط مصنوعاً من الجلد أو القماش، وليس ضرورياً أن يكون السوط مثل الذي يُستعمل في المحاكم في هذه الأيام، والذي إذا ضرب به الإنسان مئة مرة مات في أغلب الأحيان. والآية الواردة في سورة "النساء" توضح بأن لا يُضرب بالسياط التي تؤدي إلى موته. إنما ينبغي أن تكون نوعية السوط ونوعية الشدة مما لا يكون معها احتمال الموت، أي أن لا يكون سوطاً يكسر أو يضر العظم؛ إذ سبق أن بينّا أن المراد من الجلد بالسياط إيذاء جلده فقط. كما ينبغي أن لا يكون الضرب قاسياً بحيث يكون هنالك احتمال موته... المراد من الزاني والزانية هنا من صار معتاداً على الزنى، أو جسوراً على هذه الفاحشة لدرجة أنه صار يرتكبها علناً⁽³⁾، أو المراد منه الزاني المحصن أو الزاني الشيخ الذي يحاول أن يزني رغم كبر سنه؛ فيأمر القرآن الكريم بضرب كل واحد من هؤلاء مئة جلدة إذا ما ثبتت جريمتهم"⁽⁴⁾.

أنهي بتفسير المفسر بشير الدين محمود الآية ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾، فقال: "لقد استنتج البعض من هذه الآية أنه لا يجوز زواج الزاني إلا بزانية أو مشركة ولا يجوز له أن يتزوج أية مؤمنة شريفة... لقد حصل كل هذا الخطأ من المفسرين لعدم إدراكهم لمعنى النكاح. إن النكاح له مدلولان: أولهما عقدُ القران وفق قانون الشرع؛ وهذا المعنى لا ينطبق هنا إذ تصبح الآية عندها لغوا لا معنى لها ولا مغزى. وثانيهما العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، وهذا هو المعنى الذي ينطبق هنا، وإذا طبقت هذا المعنى هنا لوجدت

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص313.

(2) سابق، فقه السنة، (274/2-275).

(3) وهذا الرأي غير صحيح؛ لأن الثابت من صحيح السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم - طبق حد الزنا، بمجرد ثبوت الحادثة، وقد اتفق الأئمة الأربعة: على أن الزنا يثبت بالإقرار، سواء أكان المقر ذكراً أم أنثى، وسواء أكان محصناً، أم غير محصن، وسواء أكان حراً أم عبداً، بشرط أن يكون بالغاً عاقلاً مميزاً، غير مستكره على إقراره. ينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (63/5).

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص316-317.

(5) سورة النور: 3.

هذه الآية تحتوي على مفاهيم راقية، إذ يقول الله تعالى هنا إن الزاني كلما يباشر إنما يباشر امرأة زانية. ومن الحقائق الثابتة أن الرجل الزاني إنما يسمى زانياً إذا كانت المرأة التي يجامعها أيضاً زانية. وإذا كانت المرأة عفيفةً فيُسمى الرجل زوجاً لها لا زانياً. وكذلك كل امرأة زانية إنما تسمى زانية إذا جامعته رجلاً آخر ليس زوجاً لها".⁽¹⁾

المطلب السادس: القذف

القذف: لغة: الرمي بقوة⁽²⁾، واصطلاحاً هو الرمي بالزنى أو الاتهام بالفاحشة.⁽³⁾

تحدث المفسر بشير الدين محمود عن الحكمة من حد القذف، والحكمة من اشترط القرآن الكريم أربعة شهود لإثبات تهمة الزنى بينما اكتفى بشاهدين في القضايا الأخرى، وعرض أنواع القذف ذاكراً للحكم فيهما، فقال: "تحدث الفقهاء عن أنواع القذف، فقالوا إذا كان قذفاً صريحاً فسيُفرض عليه الحد، أما إذا كان كلامه من قبيل الكناية والتعريض - كأن يقول للمرأة: أيتها الفاسقة، أيتها المؤجرة، يا ابنة الحرام - فلن يُعد هذا قذفاً ما لم يكن معه نية القذف، بل يُعدّ سباً وشتمية. أما إذا كان قوله تعريضاً كأن يقول: أنا لستُ بزاني، وهو يقصد بقوله هذا أنك أنت الزاني، أو أن يخاطب شخصاً بقوله: يا ابن الحلال، وهو يقصد به أنه ليس ابن الحلال؛ فيرى الإمامان الشافعي وأبو حنيفة أن هذا التعريض ليس قذفاً، بينما يرى الإمام مالك أنه قذف، وأما الإمام أحمد فيُعدّه قذفاً إذا ما تفوه بهذا الكلام في حالة الغضب وإلا فلا. (الرازي، وأحكام القرآن للجصاص)⁽⁴⁾ وعندي أن كل كلام ثبت عنه أنه أُريد به تهمة الآخر فهو قذف، وسيعاقب عليه صاحبه بعقوبة القذف، وهي ثمانون جلدة للحرّ وأربعون جلدة للعبد. ولكن القاضي هو الذي سيقدر هذا، وليس عامة الناس"⁽⁵⁾. وذكر حدّ القذف، قائلاً: "يعاقب المدعي بعقوبة إضافية بعد أن يُضرب ثمانين جلدة، وهي أن شهادته تصبح غير مقبولة أبداً، بل تزداد عقوبته أكثر، حيث يقول الله تعالى إن هؤلاء عند الله تعالى هم

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص319-320.

(2) ينظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (721/2).

(3) سابق، فقه السنة، (294/2).

(4) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (320/23)، الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي: ت(370هـ).

أحكام القرآن. كمج. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. (بلاط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1405هـ. (3/351).

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص322.

الفاسقون. ومن الواضح أن الذي يُعَدُّه الله تعالى فاسقًا، من المستحيل أن يقال إنه مؤمن أو تقي في الحقيقة".⁽¹⁾

أبرز الأحكام الشرعية التي تناولها المفسر في هذا الموضوع:

1. إذا قذف أحد امرأة غير متزوجة أو رجلا غير متزوج فلا حد عليه بحسب القرآن الكريم. بيد أن القانون أو القاضي سيفرض عليه عقوبة مناسبة.⁽²⁾

2. إذا اتهم أحد امرأة غير محصنة قد عوقبت في الماضي لارتكابها الزنى، فسيعاقب المدعي عقوبة التعزير.⁽³⁾

3. وضح المفسر معنى اللعان وحدها، فقال: "الذين يتَّهمون زوجاتهم بالفاحشة وليس لديهم شهود آخرون إلا أنفسهم، فليعملوا في هذه الحالة أن الزوج سيشهد أربع مرات أنه قد رأى امرأته تزني وأنه صادق في هذا القول. ثم يقول في المرة الخامسة إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ثم بعد ذلك ستحلف المرأة أيضا أربع مرات وتقول إن هذا الشخص يكذب، ثم تقول في المرة الخامسة إن غضب الله عليها إن كان هو من الصادقين. وبعد هذا الحلف من الطرفين سيُفصل بينهما.. أي سيتم الخلع بينهما. أما إذا قذف الرجل زوجته، ثم لم يأت بالشهود، ولم يُقَمَّ باللعان أيضًا، فسينفذ فيه الحد.. أي يُجلد ثمانين جلدة. أما إذا قام باللعان فلا حد عليه.. أي سينجو من ثمانين جلدة. ولو قامت المرأة أيضًا باللعان فلن تثبت عليها تهمة الزنى، وسيُعدَّ أمرهما سواء".⁽⁴⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص323-324.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص322.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص322.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص330.

المبحث الرابع

منهج التفسير الكبير في فقه الأحوال الشخصية

فقه الأحوال الشخصية: يقصد به: الأحكام الشرعية المتعلقة في تنظيم علاقات أفراد الأسرة التي تربطها علاقات النسب والمصاهرة، كأحكام الميراث والزواج.⁽¹⁾

وسألقي الضوء على منهج المفسر فيها، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الزواج

تحدث المفسر بشير الدين محمود عن حقيقة الزواج وأهميته⁽²⁾، والحكمة من زواج الكتابية وحرمة زواج المشركة⁽³⁾، وعظمة التشريع الإسلامي في موضوع الزواج⁽⁴⁾، وتحدث عن أقوال الفقهاء في المهر، ورأيه فقال: القرآن الذي لم يحدّد فيه المهر جائز، ولكن كما صرح الفقهاء فإنه يقدر فيه مهر المثل، أي يؤخذ فيه بالنظر إلى مهور نساء الأسرة ويقدر المهر بحسب ذلك... أقول لمن يستشيرني في مقدار المهر عند الزواج إن مقداره ما يكسبه المرء في ستة أشهر إلى سنة، وذلك لسببين: أولاهما أن سيدنا المسيح الموعود -عليه السلام- قد اشترط بأمر الله -عز وجل- على كل من يريد الانخراط في "نظام الوصية" أن يدفع عشر دخله... وثانيهما: أن هذه الآيات أيضاً تدعم موقفي كما بيّنت من قبل، إذ ورد فيها أن حما موسى -عليه السلام- قد طلب منه خدمة ثمان سنوات كمهر للزواج، أما أن يزيد عليها سنتين فهو مخير في ذلك، وهذا يعني أن الله تعالى قد اعتبر ثمن دخل موسى بل عشره أيضاً أقصى حد للتضحية.⁽⁵⁾

(1) ينظر: الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (1/ 33)

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص407.

(3) من أقواله: " فيما يتعلق بالمرأة المسيحية أو اليهودية فعلم ما يمكن أن تفعله لأن تعاليم ديانتها تضبط سلوكها، ولكن المرأة التي لا دين لها فلا يمكن أن نتوقع ما ستقوم به". بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص224.

(4) مثال ذلك: عندما فسر آية ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: 2)، فقال: "قبل مدة قليلة تقدم هندوسي كان عضواً في المجلس التشريعي الهندي بمسودة قانون عن زواج القاصرات، وقال في خطابه أمام المجلس بحسرة تعتصر القلب: ليس لدينا نحن الهندوس قانون عن الزواج كالذي سنّه الإسلام، وحمى به مجتمعه". بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص10.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج7، ص571-572.

أبرز الأحكام الشرعية التي تناولها المفسر في موضوع الزواج:

1. تزويج العبيد القادرين على الزواج لكي لا ينشر العزب منهم الفساد في المجتمع؛ كذلك أمرنا الله تعالى بتزويج الإماء.⁽¹⁾
2. ليس للمرأة أن تزوج نفسها بدون وساطة الولي، بل لا بد من وجود ولي. أما إذا لم يرض وليها فلا بد من الاستعانة بولي الأمر⁽²⁾. وهذا رأي الجمهور، خلافاً للحنفية.⁽³⁾
3. إن زواج المسلم من فتاة هندوسية أو يهودية مثلاً جائز عند الإسلام، ولا شك أن هذه العادة قد تلاشت في هذا العصر إلى حد كبير، إلا إن الملك المغولي "أكبر" هو الوحيد الذي عمل بهذا، ولكن غيره من المسلمين لم يعملوا به⁽⁴⁾. تعليقي: أجمعت المذاهب الأربعة على جواز الزواج من كتابية، وإن اختلفوا في تعريف الكتابية، أما زواج المسلم ممن لها شبهة كتابية كالمجوسية والهندوسية، فذهب الجمهور إلى حرمة الزواج من المجوسية - وهو الأرجح -، وذهبت الشافعية، وقول من المالكية إلى جواز الزواج منها؛ بسبب أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- الجزية منهم. لكنهم لم يتطرقوا إلى قضية الزواج من "الهندوسية"⁽⁵⁾. وأفتت اللجنة الدائمة بالسعودية إلى تحريم الزواج من الهندوسية.⁽⁶⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص379.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص522.

(3) سابق، فقه السنة، (40/4-41).

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص651-652.

(5) ينظر: أبو رعد، أميرة مازن عبد الله: أثر اختلاف الدين في أحكام الزواج في الفقه الإسلامي. رسالة ماجستير (غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية. 2007م. ص 38-73.

(6) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة، (18/292).

4. لا يجوز تزوج الفتاة الأحمدية بشاب غير أحمدى، ولو كان مسلماً⁽¹⁾. وهو مذهب والده⁽²⁾ الذي وضعه المفسر في تفسيره⁽³⁾، لكن الأحمديين اللاهوريين لا يلتزمون به⁽⁴⁾. وقد برّر محمد شريف عودة⁽⁵⁾ حرمة زواج الأحمدية من غير الأحمدي، فقال: "لولي الأمر أن يقيد بعض الأمور المباحة درئاً للمفسدة وجلباً للمصلحة"⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: الطلاق والنفقة

بيّن المفسر بشير الدين محمود حكم الطلاق أنه "حلال ولكنه مكروه ولا يحبذه الله تعالى"⁽⁷⁾، وأن الطلاق لا يكون إلا بعد أسباب قاهرة⁽⁸⁾؛ فالذي دمر كثيراً من الأسر في أوروبا هو تساهلهم بموضوع الطلاق⁽⁹⁾. وقد تحدث المفسر عن بعض الأحكام والمواضيع المتعلقة في هذا المطلب، أهمها:

أولاً: عدد الطلقات للرجل وأحكامها: قال المفسر: للرجل حق إعادة زوجته إليه بعد كل تطليقة من تطليقتين، ولكن بعد الطلاق الثالث لا حق له في إرجاعها. ولا تتم التطليقتان دفعة واحدة، بل لا بد أن تتم الطلقة الأولى ثم الطلقة الثانية كما يشير قوله تعالى (مرتان).. أي مرة بعد مرة. وتكون لكل طلقة منهما فترة للعدة وهي ثلاثة قروء كما ورد في الآية السابقة. وسواء أعلن لها طلاقه هذا أول

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص649.

(2) ينظر: نذر، فقه المسيح، ص223-224.

(3) قال المفسر عن سؤال سأل لوالده المرزا: "لماذا لا تسمح لأتباعك أن ينشئوا العلاقات معنا في الزواج وغيرها من القضايا والمعاملات؟ فأجاب حضرته -عليه السلام -: إذا كان عندك إناء مليء بالحليب الخالص ومزجت به بضع قطرات من اللبن الرائب شديد الحموضة، ألا يفسد كل الحليب... إن جنود الإسلام قلة، ولو تقاعس هؤلاء القلائل أيضاً فكيف يدودون عن حياض الإسلام ضد الأعداء!!". بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص649.

(4) ينظر: النبوة والخلافة ومغالطات الجمعية الأحمدية اللاهورية، ص131.

(5) محمد شريف عودة: ولد عام 1966م في حي الكبايير بحيفا، من أبوين أحمدين، درس على يد علماء الجماعة الذي تواجدوا في مركز الجماعة في حيفا منذ عام 1928 إلى يومنا هذا، خدم الجماعة في مناصب مختلفة منها: مسؤول الدعوة والتبليغ، ورئيس مجلس خدام الاحمدية، ثم أميراً للجماعة منذ عام 1999 إلى يومنا هذا، كما يدير مجلة "البشرى" التي تصدرها الجماعة الأحمدية. مقابلة مع محمد شريف عودة. 2021/3/30م.

(6) عودة، محمد شريف: الرد على الفيديو الثاني للشيخ عبد الله رشدي، فيديو من قناة (Mohammad Sharif)، تاريخ النشر: 2021/5/27، <https://www.youtube.com/watch?v=gAzIwgix09c>.

(7) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص517.

(8) وهذا رأي الأحناف والحنابلة. ينظر: سابق، فقه السنة، (162/2). ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص516.

(9) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص254-255.

مرة أو كرره عند كل قرء فهو تطليقة واحدة⁽¹⁾... وبعد انقضاء فترة العدة يمكن للرجل أن يتزوجها... أما إذا طلقها للمرة الثالثة فلا يجوز أن يتزوجها مرة أخرى إلا بعد أن تتزوج بشخص آخر زواجا شرعياً حقيقياً، وليس زواجا يراد به التحليل.. لأنه لا وجود لهذا النوع من الزواج في الإسلام⁽²⁾. وقال عن حكم الطلاق الرجعي: "بعد انقضاء العدة -أي ثلاثة قروء- يمكن أن يتزوج مطلقته، ولكن بعقد جديد. وهذه الفرصة يمكن أن تكرر له مرتين فقط".⁽³⁾

ثانياً: معنى الخلع: قال المفسر: "الطلاق والخلع في الحقيقة شيء واحد. إذا ترك الرجل المرأة فهذا هو الطلاق. أما إذا طالبت المرأة بالانفصال عنه فهذا هو الخلع. ويندرج الخلع أيضاً تحت أبغض الحلال عند الله. وفيما يتعلق بحقوق النساء فإن المسلمين قد نسوا مسألة الخلع تماماً مما عرض النساء إلى مشاكل كثيرة كبيرة، ولكن الأحمدية أحيت لهن هذا الحق، وساعدتهن على التخلص من هذه المعاناة التي كن يواجهنها بسبب تناسي هذه الحقوق".⁽⁴⁾

ثالثاً: معنى العدة والحكمة منها: قال المفسر: "أن الحكمة وراء العدة -وهي فترة انتظار المطلقة- واضحة جداً إذ يجد فيها الزوج فرصة للتفكير، وإذا كان في قلبه حب لزوجته احتفظ بها... إذا أدرك الزوج خطأه وأراد الرجوع إليها، فهو أحق بها من أي أحد غيره وله أن يرجع إليها في فترة العدة"⁽⁵⁾. وأيضاً قال: "ومن أهم الأسباب لتحديد الأشهر الأربعة والأيام العشرة عدة للأرملة أنه إذا كانت حاملاً تحرك الجنين في هذه الفترة وتبين حملها يقيناً".⁽⁶⁾

(1) وهذا مذهب والده، وهو قول مخالف للمذاهب الأربعة وجمهور العلماء في مسألة "من طلق امرأة ثلاثاً بلفظ واحد، فهل لزمه ما نطق به من العدد؟ أم تحسب طلاقة واحدة؟". فأفتى ابن عباس -رضي الله عنه- وطاووس، وعكرمة، وبعض المجتهدين، بأنها طلاقة واحدة. ينظر: نذر، فقه المسيح، ص267، ينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (257/4).

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص513-514.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص514.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص518-519.

(5) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص510.

(6) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص527.

رابعاً: أبرز الأحكام الشرعية للعدّة، وما يترتب بعد الطلاق والخلع:

1. بعد الطلاق لا يجوز أن يسترد الرجل مما أعطى زوجته التي طلقها.. من حلي أو ثياب أو مال أو عقار، بل عليه أن يؤدي للمرأة مالها من صداق ومهر إذا كان عليه منه شيء.⁽¹⁾
2. إذا حصل الطلاق بدون دخول على الزوجة، ولكنه قد عيّن لها مهراً، عليه أن يؤدي نصف المهر.⁽²⁾
3. إذا خلعت المرأة زوجها، تعيد للزوج مما أعطاهما إياه ولا أكثر من ذلك.⁽³⁾
4. عدة المطلقة ثلاثة قروء⁽⁴⁾، وعدة الأرملة -المتوفى عنها زوجها- أربعة أشهر وعشراً⁽⁵⁾، وعدة الحامل أن تضع حملها.⁽⁶⁾
5. نهى الله نهياً تاماً عن أن يتفق الرجل مع الأرملة اتفاقاً خفياً في أثناء العدة.⁽⁷⁾
6. تترك الأرملة تعيش في البيت لمدة سنة كاملة، وقد فرض على الورثة شرط انقضاء سنة كاملة لمصلحة المرأة المتوفى عنها زوجها وراحتها، فعليها أن تبقى في بيته أيام العدة فقط، فخرجها من بيته في أيام العدة محرم عليها. وأما بعدها فلها أن تترك هذا البيت لما فيه مصلحتها. وأن تكون لها حرية كاملة للإقامة في بيت زوجها لسنة كاملة، ولكن إذا تركت البيت قبل انقضاء السنة فلا مانع من ذلك⁽⁸⁾. تعليقي: وهذا قول التابعي مجاهد وبعض المفسرين بأن الآية محكمة لا نسخ فيها، وهو مخالف لإجماع المذاهب الأربعة وجمهور العلماء الذين يرون بأن السكنى لمدة سنة قد نسخت.⁽⁹⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص514.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص530.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص515.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص510.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص526-527.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص527.

(7) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص528.

(8) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص536-537.

(9) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (226/3).

خامساً: معنى الإيلاء وحكمها: قال المفسر: "الإيلاء هو الحلف، ولكنه في الاصطلاح أن يحلف الإنسان أن ينفصل عن زوجته. كان من عادة العرب أن البعض منهم كانوا لا يطلقون زوجاتهم، وإنما يقسمون ألا يقيموا معهن أي علاقة، وكانوا يظنون أنهم بحلفهم هذا قد تحرروا من المسئوليات الملقاة عليهم تجاه زوجاتهم... يقول الله: إذا فعل المرء هذا فأمامه مهلة أربعة أشهر؛ فإن تصالح معها في هذه الفترة وإلا فإن القاضي سوف يحكم بطلاقها منه-كما تبين الآية التالية. والواقع أن الله أمر في هذه الآية بالألا تُترك المرأة كالمعلقة، فإما أن يطلقها أو يرجع إليها... أما الذي يؤدي لمدة أقل من أربعة أشهر، كأن يعلن الإيلاء لمدة عشرة أيام مثلا ثم يرجع إليها، ثم يعلن لمدة أخرى ويرجع إليها وهكذا.. فإن وصل المجموع إلى أربعة أشهر ثم آلى بعد ذلك فلا يجوز إيلائه، وللزوجة حق الطلاق حتما... وقد اختلف الفقهاء في تفاصيل أحكام هذه الآية. فمنهم من يقول إنه إذا انقضت هذه الفترة، ولم يباشر فيها الرجل زوجته، ولم يرجع إليها باللسان.. فيفصل بينهما القاضي، وهذا قول الإمام مالك، ولكن الإمام أبا حنيفة يرى أن رجوع الزوج عن الإيلاء جائز قبل انتهاء فترة أربعة أشهر. فإن انتهت فلا حق له في الرجوع إلى زوجته، ويحصل الطلاق بينهما تلقائيا مع انتهاء هذه الفترة. هذا القول أفضل، ولكن قول الإمام مالك أحوط".⁽¹⁾

سادساً: أبرز الأحكام الشرعية في الرضاعة والنفقة:

1. فرض على ورثة المتوفى تربية أولاده الضعاف.⁽²⁾
2. إذا أردتم استرضاع أولادكم من امرأة غير والدته فلا حرج ولا ذنب في ذلك، ولكن بشرط أن ما اتخذتم من قرار بإعطائها أجراً يجب أن تعملوا به دائماً⁽³⁾. تعليقي: وهذا مذهب الجمهور ما عدا المالكية الذين يقولون بأن الحاضن ليس لها أجره على الحضانة.⁽⁴⁾

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص508-509.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص524.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص526.

(4) الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (4/445-446).

3. إذا انتهت فترة الرضاعة لا يُترك هؤلاء الأُولاد دون ولاية ورعاية، بل لا بد أن تُمدَّ هذه الفترة إلى حين بلوغهم⁽¹⁾، ويكون من واجب الورثة أن يتحملوا نفقاتهم من مأكَل وملبس ودراسة حتى يبلغوا، ويحسنوا تربيتهم حتى يكونوا أعضاء نافعين في المجتمع. حسب مقدرة الوالد. فإذا كان موسراً فبقدر ثرائه، وإذا كان فقيراً فعلى قدره.⁽²⁾

المطلب الثالث: الميراث والوصية

لم يتحدث المفسر بشير الدين محمود في تفسيره "التفسير الكبير" عن أركان الإرث، وشروطه، وموجباته، وموانعه، وأنواع الوارثين، وكيفية تقسيم الإرث. ما تحدث عنه، الحكمة من توزيع الميراث على الوارثين⁽³⁾، وظلم العرب قبل الإسلام في توزيع الإرث⁽⁴⁾، وتفوق الدين الإسلامي على غيره من المعتقدات في قضية الإرث، لكن دون تعمق.⁽⁵⁾

أما الوصية، فقد تحدث المفسر عن الحكمة من الوصية، في هذه النقاط:

1. يمكن أن يقف بعض أمواله إذا شاء للإِنفاق على الفقراء ويوصي بذلك أهله.⁽⁶⁾
2. يمكن للمورث أن يوصي بشيء من إرثه لأحفاده وأبناء إخوته.. وهكذا يقوم بإعانتهم بدون أي مخالفة لأحكام الشرع. لأنه بحسب قانون الوراثة الإسلامي إذا كان للمورث ابن مات في حياته تاركاً وراءه أولاداً فإنهم لا يرثون من تركة الجد المورث شيئاً. في هذه الحالة يمكن أن يوصي الجد-في حدود ثلث ماله-لحفدته وحفيداته هؤلاء.⁽⁷⁾

(1) تعليقي: وهذا مذهب الحنفية والمالكية، خلافاً للحنابلة الذين قالوا بأن مدة الحضانة سبع سنين، والشافعية الذين قالوا ليس للحضانة مدة معلومة. ينظر: الجزيري، **الفقه على المذاهب الأربعة**، (443/4-444).

(2) بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج2، ص524.

(3) قال المفسر: "أمر الإسلام بتوزيع الميراث.. أي تفرق أملاكه وأمواله وأرضه على الورثة، ولم يسمح الإسلام للمورث أن يعطي أمواله واحداً من أولاده حتى لا يجتمع ما كسبه في يد واحدة، فينال بعض الناس تفوقاً دائماً على الآخرين". بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج2، ص628-629.

(4) من أقوال المفسر: "كان العرب لا يعدلون في توزيع الإرث، وكانوا يهضمون حقوق الورثة مستغلين مكانتهم ونفوذهم، ولكن الإسلام أزال هذا العيب، وجعل لكل الورثة حقوقهم الشرعية". بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج9، ص193.

(5) ينظر: بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج10، ص413.

(6) بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج2، ص362.

(7) بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج2، ص362.

3. الورثة إذا كانوا كفارًا فليوصي بحسن معاملتهم وإعطائهم شيئًا من ماله، لأن والديه وأقاربه في حالة كفرهم لا يمكن أن يرثوا شيئًا بحسب الشرع لأنهم سينفقون هذا المال في محاربة الإسلام. فإذا وجدهم يستحقون المعونة، وأن إعطاءهم بعض المال فيه مصلحة وخير.. فليوص بإعطاء نصيب معين من الإرث لمن يراه منهم. أما إذا رأى أنهم سوف يستخدمون هذا المال في محاربة الإسلام فلا يوص لهم بشيء⁽¹⁾. تعليقي: وهذا مذهب من يرى أن آية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾ ثابت حكمها فيمن لا يرث، وهو مذهب ابن عباس -رضي الله عنه، والحسن البصري، ومسروق، وطاووس، والضحاك، ومسلم بن يسار، والعلاء بن زياد⁽³⁾، وهو مذهب الشافعي وأكثر المالكيين⁽⁴⁾، وقول السرخسي من الحنفية⁽⁵⁾. بخلاف الذين قالوا بنسخ حكمها بآية الميراث⁽⁶⁾.

4. البلاد غير الإسلامية، التي لها قوانين محلية للإرث فهي على قسمين: بعضها تأخذ بوصية المتوفى مثل روسيا، وبعضها لا تأخذ بها، وإنما تعمل بقوانين شرعتها الحكومة. فالبلاد التي تقبل بوصية المتوفى يمكن أن تتفع فيها هذه الوصية.. حيث يمكن للأقارب الورثة المحرومين من الإرث بسبب القوانين المحلية أن ينالوا نصيبهم بحسب الأحكام الشرعية نتيجة لهذه الوصية، وهكذا تحيا التعاليم الإسلامية في بلاد ليس فيها حكومات إسلامية⁽⁷⁾،⁽⁸⁾.

وقد ذكر المفسر أهم الأحكام الشرعية المتعلقة بالوصية:

1. تركت الشريعة الباب مفتوحاً ليوصي المتوفى حتى تلت المال⁽⁹⁾.

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص362.

(2) سورة البقرة: 180.

(3) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (234/5).

(4) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (263/2).

(5) ينظر: السرخسي، أصول السرخسي، (70/2).

(6) ينظر: المرجع السابق.

(7) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص362.

(8) وهذه من القضايا والأحكام الشرعية المعاصرة التي يبينها المفسر أثناء تفسيره.

(9) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص362.

2. الوصية لا تعني أن يعطي المورث أحداً من الورثة أكثر مما عيّنت له الشريعة الإسلامية من الإرث. فقد نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك نهياً شديداً وقال: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَعْطَى لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ" (1). (2)

(1) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث، رقم الحديث: (2120)، (433/4).

صححه الألباني. ينظر: الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (89/6).

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص362.

المبحث الخامس

منهج التفسير الكبير في القضايا الأخلاقية والاجتماعية المعاصرة

اعتنى المفسر بشير الدين محمود في القضايا الأخلاقية والاجتماعية بشكل كبير في تفسيره، وأسهب في الحديث عنها؛ لدرجة أنك تنسى معنى الآية أحياناً عندما يغوص بمسألة ما بكل أعماقها. والحديث عن هذه القضايا لا يمكن حصرها بمبحث واحد، بل تحتاج إلى دراسة مستقلة متعمقة، لتناول هذا الأمر بشمولية. لكنني أقصد بدراستي هذه، تبيين أبرز القضايا التي تناولها المفسر وكيفية تناوله لها، ومنهجه العام في ذلك.

المنهج العام للمفسر عند تناوله للقضايا الأخلاقية والاجتماعية من خلال استنباطها أو تفسيرها من الآيات: الدفاع عن التشريعات الإسلامية وما دعت به من أخلاق، من خلال مقارنتها بالمعتقدات الأخرى، وتبيين ضعفها وقرؤها أمام التشريعات والأخلاق الإسلامية.

ومن خلال استعراض أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وسيرته. ومن خلال ذكر أقوال والده المرزا غلام أحمد، وبعض المواقف التي حدثت مع المفسر، ومن خلال ذكر القصص، والأحاديث التاريخية، والأبحاث العلمية الحديثة. سأسعى إلى توضيح هذه الجوانب بقدر المستطاع في المطالب التالية:

المطلب الأول: الآداب الشخصية

الآداب الشخصية: وهي محاسن الاخلاق والأعمال التي تربط الشخص بربه وخالقه، وتحقق له السلوك الشخصي القويم.⁽¹⁾

تحدث المفسر بشير الدين محمود بشكل فلسفي معمق عن الفطرة الإنسانية المحرك الأول للأخلاق، وعرض عقائد الديانات الأخرى في ذلك، وعقيدة الإسلام، وما توصل له العلم من تأكيد على صدق نظرة العقيدة الإسلامية للفطرة. فمن أقوال المفسر: "باختصار، إن جميع الأديان إلا الإسلام تقول

(1) ينظر: وزارة الأوقاف السعودية، الآداب الإسلامية. (بلاط). المملكة العربية السعودية: (بلاط). ص 1-2. ينظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (9/1).

إن الإنسان قد ولد بفطرة سيئة. والحق أن كل هذه العقائد باطلة مرفوضة. فإن العقيدة الأولى منها.. التي تقول إن كل إنسان خلق بفطرة سيئة.. توجد في عامة الناس حيث يقولون إن الإنسان بشر وهو مجبر على ارتكاب الخطأ والإثم. ولكن دراسة فطرة الطفل تؤكد بطلان هذه العقيدة. إن الفطرة السيئة تعرف بالأعمال السيئة، ولكننا حين ندرس أحوال الأطفال نجدهم لا يكذبون بأنفسهم، بل إنهم يصابون بهذا العيب بعدما يرون الكبار يكذبون".⁽¹⁾

كما وضع المفسر بطريقة رائعة معنى وجود "النفس اللوامة" وأهميتها لدى الإنسان، ورد على شبهات بعض الفلاسفة الأوربيين⁽²⁾، وتحدث المفسر عن أمور أخرى في تفسيره "التفسير الكبير"، أهمها: معنى الطاعة لله، وكيفية تحققها⁽³⁾. وأهمية التوبة، والشكر لله، آداب الدعاء، وأنواع الصبر، وأنواع الابتلاء والفرق بينها وبين العذاب⁽⁴⁾. والتحذير من التكبر والغرور، وسوء الظن⁽⁵⁾، والعادات السيئة، مثل: الغناء، والميسر، والرقص، والتدخين، والخوض في حديث لا فائدة من وراءه. والنهي عن الزينة المحرمة، داعياً إلى اجتنابها⁽⁶⁾. وذكر أحكام الأطعمة والأشربة الرئيسية، مع تبيان الحكمة من حرمة بعض منها: كالميتة، والدم، ولحم الخنزير.⁽⁷⁾

من أبرز القضايا الشخصية المعاصرة، موضوع حجاب المرأة. فقد دافع المفسر عن حجاب المرأة، موضحاً أهم الأحكام التي تتعلق بالمرأة وحجابها. قائلاً: والذين يقولون إن الإسلام لا يأمر المرأة بتغطية الوجه نقول لهم إن القرآن يأمرها بإخفاء الزينة، والوجه أكثر الأعضاء زينة، وإذا لم يكن هناك حكم بتغطية الوجه، فما هي الزينة التي أمرت المرأة بإخفائها؟ لا شك أننا ندعو إلى أن لا

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج9، ص248.

(2) فقال: غير أن الأوربيين ينكرون الضمير هذا. كانوا في الماضي يرددون كلمة (Conscience) كثيراً، أما اليوم فقد وُلد بينهم فلاسفة قالوا بأن هذا الكلام فارغ، إذ ليس هنالك شيء اسمه النفس اللوامة أو Conscience أو الضمير، وإنما هو رذُ فعلٍ للعادات والتقاليد... باختصار، إن الإحساس بحسن الصدق والأمانة والعدالة والإنصاف والرحمة وغيرها من الحسنات الفطرية موجود في كل بلد وعند كل شعب وحتى القبائل البدائية. ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص241-249.

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، (152/6-153)، (542/10-551).

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، (277/2-278)، (193/3-194)، (390/4-391)، (687-688 / 7)، (247-246/8).

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص506-508.

(6) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، (152/6-153)، (736-730/6).

(7) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج4، ص391-396.

تغطي المرأة وجهها بحيث يؤثر سلباً على صحتها، فيمكنها مثلاً أن تضع على وجهها قطعة رقيقة من القماش أو أن تضع نقاباً كما تفعل نساء العرب حيث تكون العيون والأنف مكشوفة؛ ولكن لا يمكن أن يُترك الوجه خارج الحجاب⁽¹⁾. ثم يقول الله تعالى ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾⁽²⁾. يتضح هنا من قوله تعالى {أَوْ نِسَائِهِنَّ} أنه لا بد للمرأة أن تحتجب من بعض النساء أيضاً... يُسمح فقط للنساء اللاتي تعرفونهن معرفة تامة ولا خطر منهن إطلاقاً. ثم يقول الله تعالى {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ}⁽³⁾.. أي يجوز للنساء أن يبيدين زينتهن لإمائهن لأن الإماء يعتبرن كأهل البيت. ولكن هذا لا يعني، كما ظن بعض المفسرين خطأً، أن لا بأس من أن يبيدين زينتهن لعبيدهن (القرطبي، والرازي)⁽⁴⁾... فالآية لا تتحدث عن العبيد بل عن الإماء فقط اللواتي هن موضع ثقة كاملة⁽⁵⁾... أما السؤال: لماذا أمرت المرأة بالحجاب دون الرجل؟ فالجواب أن كلا الجنسين سيان في الحجاب. لم تؤمر المرأة بالحجاب عند الخروج من البيت لأن الحجاب فرض عليها فقط، إنما سببه أن نطاق عمل الرجل هو خارج البيت في الواقع ونطاق عمل المرأة هو داخل البيت. فعندما تذهب المرأة إلى النطاق الحقيقي لعمل الرجل تلبس الحجاب، بينما يكون الرجل هناك بدون الحجاب لأنه يكون في النطاق الحقيقي لعمله؛ ولو أمر بالحجاب في نطاق عمله لصعب عليه العمل؛ تماماً كما أن المرأة لو أمرت بلبس الحجاب وهي تعمل داخل البيت لتضايقت ولتتذخر عليها العمل... ويقال أيضاً أن الحجاب يعيق تقدّم النساء ويضر بصحتهن. ولكنه قول باطل كلية. فما هو الإنجاز الذي تحقّقه النساء السافرات ولا تحقّقه النساء المحجبات؟ عندما

(1) وهذا فقه المرزا غلام أحمد بتغطية وجه المرأة ماعدا العينين، وهو قول الحنابلة، وبعض الشافعية خلافاً للحنفية. ينظر:

الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (44/5). ينظر: نذر، فقه المسيح، ص 276.

(2) سورة النور: 30-31.

(3) سورة النور: 31.

(4) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (233/12). ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (365/23).

(5) وهذا رأي الحنفية، قال الإمام الجصاص الحنفي في تفسيره "أحكام القرآن" (175/5): "قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ

وَابْنُ سَبْرِينَ وَابْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَنْظُرُ إِلَى شَعْرِ مَوْلَاتِهِ وَهُوَ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَا مَحْرَمٍ".

كانت النساء يلتزم بالحجاب كما أمرهن الإسلام كنّ يتمتعن بصحة جيدة، وكن يشتركن في الحروب ويقتلن العدو (1).

وقال أيضاً: "لقد بيّن الله هنا أن النسوة اللاتي يصبحن طاعنات في السن ويتجاوزن سنّ الزواج، فيجوز لهن ترك الحجاب المعروف، غير أنه يجب أن لا يخرجن بالماكياج والحلي وما إلى ذلك؛ بمعنى أن الحجاب يكون إلى عمر معين ثم يسقط بعد ذلك. ولكن في بلادنا يعملون بحكم الحجاب بطريق خاطئ جداً، حيث تجد الفتيات يتحررن من الحجاب كلية، بينما تُجبر العجائز على القعود في البيوت... لقد تبين من هنا -ضمنياً- أن الوجه أيضا عورة، وإلا فسيعني قوله تعالى ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ (2) أنهن كنّ لا يسترن وجوههن وأيديهن من قبل، أما الآن فيجوز لهن أن يكشفن ذراعهن وصدورهن أيضاً، بل وكل أجسامهن. ومن ذا الذي سيقبل هذا المعنى؟" (3).

المطلب الثاني: القضايا الاجتماعية

قال المفسر بشير الدين محمود: "أن الحياة الإنسانية ذات جهتين: فردية وجماعية، ولا بد من مراعاتهما في مجال الدين والسياسة والأمة والأخلاق والتقدم وما إلى ذلك، وإلا لفسد المجتمع. والأمم التي لم تُراع في سياستها الحياة الجماعية والمسئوليات الجماعية أصابها الضعف في النهاية، أما الأمم التي اعتبرت الإنسان قطعة من آلة السياسة، فقد سدّت طريق التقدم أمام الناس، كما فعلت الشيوعية. إنما المبدأ الأصل والناجح في السياسة هو الحفاظ على التوازن السليم بين الفردية والجماعية في وقت واحد. وهذا هو المبدأ الناجح والنافع في الدين أيضا. والإسلام وحده الذي قد عمل بهذا المبدأ، فهو الوحيد بين الأديان الذي قد أعطى الروح الجماعية مقامها اللائق والمحترم لأول مرة في تاريخ الأديان" (4). لذلك تحدث المفسر بشير الدين محمود عن أهمية الأخلاق الحسنة مع الآخرين ومدى تأثيرها عليهم، فقال: "أدرك هؤلاء الملحدون بدراسة عميقة للتاريخ أن تصوّر العامة بأن بعض الأعمال تبقى من دون نتيجة تصوّر باطل؛ كلا، ليس هناك عمل يظل بدون

(1) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص363-389.

(2) سورة النور: 60.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص489-490.

(4) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص364.

نتيجة فردياً كان أم جماعياً، بل كل عمل يُعقب نتيجةً، فإذا كان حسناً فحسنة، وإذا كان سيئاً فسيئة. لقد أيقنوا من خلال النظر في القانون الطبيعي الجاري في الدنيا، لا بسبب ابتغائهم مرضاة الله، أنه ما من عمل إلا ويُجزى عليه صاحبه، ولذلك يسعون كأمةٍ جاهدين بالتحلي بالأخلاق السامية. إنهم لا يصدّقون القول فيما بينهم إرضاءً لله تعالى أو طمعاً في الجنة، بل لأن الناس لن يثقوا بهم بدون ذلك، وإذا لم يثقوا بهم لم يتعاونوا، وإذا لم يصدقوا القول مع الأمم الأخرى فقدوا ثقتها بهم وبارت تجارتهم. كانت للهند تجارة مع البلدان الأخرى تبلغ الملايين، ولكنها أصيبت بالكساد لأن أهلها لم يصدقوا القول... تجارة سويسرا مزدهرة بشكل خاص بعد تجارة أمريكا وإنجلترا. لو طلبت من هؤلاء القوم بضاعة وصلتك بحسب شروطك تماماً. فلو طلبت من فرنسا شيئاً مثلاً جاءك مطابقاً لشروطك بنسبة 90%، ولكنك لو طلبت من أحد تجار الهند بضاعة لكانت فاسدة بنسبة 90%".⁽¹⁾

أبرز القضايا الاجتماعية التي تناولها المفسر بشير الدين محمود في تفسيره، فهي: القضايا الأسرية والشخصية، التي تتعلق بعلاقة الفرد مع أسرته ومحيطه. من أهمها: بر الوالدين، وصلة الرحم، وحقوق الجار، وحقوق اليتيم⁽²⁾. مع تنبيهه لأهمية السلوكيات الاجتماعية الحسنة، مثل: الضيافة، والسلام والاستئذان⁽³⁾. والتحذير من السلوكيات السيئة، مثل: الغيبة، والكذب والغش⁽⁴⁾.

وتحدث عن حقوق المجتمع، وحقوق المرأة، وحقوق الملكية، وضرورة أن يفكر المسلمون تفكيراً جماعياً موحداً، من أجل حل مشكلاتهم، وأهمية ذلك عليهم.⁽⁵⁾

كما تحدث عن النظام السياسي في الإسلام، ويطلق على: كل ما يتعلق بنظام الحكم فيها، ومفهوم الدولة في الإسلام وواجباتها، وسياسة الدولة الداخلية والخارجية، وخصائص الحكم الإسلامي. وسأكتفي بذكر أبرز القضايا الاجتماعية المعاصرة، التي تتعلق بالنظام السياسي:

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص198-199.

(2) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، (485/4)، (504/4).

(3) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، (293/3)، (489-490/4)، (499/6).

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج 9، ص771-774.

(5) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص236-240.

أولاً: طاعة ولي الأمر، والثورة عليه: يرى المفسر بضرورة طاعة ولي الأمر ولو كان كافراً، وتحدث عن ضرورة طاعة ولي الأمر، إلا في حالة واحدة إذا اضطهدوا اضطهاداً شديداً ومنعوا الخروج من البلاد. حينها يسمح لهم بالثورة، فقال: "وينشأ هنا تساؤل: إن الجماعة الإسلامية الأحمدية كانت ولا تزال تتمسك بعدم الثورة على الحكومة، وهذه الآية تبين أن الثورة أمر سليم مستحب! ويبدو هذا السؤال في ظاهره ذا وزن، ويخيل للمرء أن تعليم جماعتنا استثنائي، ولكن لو أمعنا النظر لرأينا أنه ليس في ذلك جديد... يصرح الإسلام بأنه إذا غضب عليكم الحاكم واضطهدكم فانتظروا واصبروا حتى يأتي فرج الله تعالى. وإذا اشتد الاضطهاد بحيث لم تعودوا تستطيعون الصبر فاهجروا تلك الأرض إلى أخرى. فإذا منعكم من الهجرة ولم ينفك عن الاضطهاد فلکم أن تقاوموه وأنتم في بلده".⁽¹⁾

تعليقي: ينقسم حكم الخروج على الأئمة وولاية الأمور الذين يحكمون المسلمين إلى ثلاثة أحكام:

أ. الإمام (ولي الأمر) المسلم العادل المقسط: فالخروج عليه محرّم بالإجماع، وببديل على ذلك الآيات والأحاديث الأمرة بالطاعة لولي الأمر⁽²⁾، ويتفق المرزا مع أهل العلم في ذلك⁽³⁾، كذلك المفسر الذي دافع في تفسيره عن هذا المبدأ، معترضاً على النظم السياسية الأخرى.⁽⁴⁾

ب. الإمام (ولي الأمر) المسلم الظالم: ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه لا يجوز الخروج على أئمة الظلم والجور بالسيف ما لم يصل بهم ظلمهم وجورهم إلى الكفر البواح، وهذا مذهب الحنابلة⁽⁵⁾، وقول أبي العز الحنفي⁽⁶⁾. ويتفق المفسر في النص الذي ذكرناه-ووالده معهم.

ت. الإمام (ولي الأمر) الكافر: فلا طاعة له بالإجماع، ونقل الإجماع الإمام ابن حجر العسقلاني قائلاً: "أنه ينعزل بالكفر إجماعاً فيجب على كل مسلم القيام في ذلك فمن قوي على ذلك فله

(1) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص74.

(2) ينظر: الديميجي، عبد الله: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة. ط2. الرياض: دار طيبة. (بلا.ت). ص499.

(3) ينظر: نذر، فقه المسيح، ص299.

(4) قال المفسر: "إن انتخاب الحاكم في هذه البلدان يكون لبضع سنوات فقط، ثم يزال هذا العاقل الحكيم الأكفأ للحكم، ولكن دستور الإسلام يعلن أن الحاكم يُنتخب حتى مماته". بشير الدين، التفسير الكبير، ج10، ص575.

(5) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (444/4)، ينظر: الديميجي، الإمامة العظمة، ص501-503.

(6) قال: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا وإن جاروا". أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ص540.

الثواب ومن داهن فعلية الإثم ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض⁽¹⁾. وهنا خالف المرزا، وابنه المفسر إجماع الفقهاء بتبرير طاعة ومداهنة الحاكم الكافر. فقد جعل المرزا طاعة الإنجليز بخضوع القلب مبدأ من مبادئه⁽²⁾. وقد برّر المفسر تصرف والده، بقوله: "يعترض البعض على المسيح الموعود -عليه السلام- أنه كان مطيعاً للحكومة الإنجليزية. والحق أنه لم يطع تلك الحكومة -ويقدر ما أطاع- إلا عملاً بأمر الله وتعليم الإسلام، لذا فكانت طاعته للإنجليز طاعة لله في الحقيقة. لقد أمرنا الله تعالى بطاعة الحاكم أو الخروج من البلد"⁽³⁾!! وبرّر ابن المفسر أيضاً "ظاهر أحمد" في كتابه "هل الأحمدية غراس الإنجليز؟" ما فعله مؤسس الجماعة، فهو يرى -باختصار- أن ما فعله كان شكراً للإنجليز على صنيعهم بإعادة حق رفع أذان الصلاة للمسلمين، وسماحهم بصلاة الجمعة، وانقاذهم من اضطهاد السيخ لهم. ورد باقتباسات كثيرة لمشايخ عارضوا المرزا كالبطالوي وغيره، مدحوا الإنجليز ونالوا امتيازات منهم⁽⁴⁾.

ردّي عليهم: أخطأ المفسر هنا بفهم قول الإمام ابن حجر وغيره من علماء المسلمين، فالأصل أن يسعى المسلمون للإطاحة بولي الأمر الكفار في بلادهم وهم الإنجليز. فإن عجزوا فلا يبايعوهم، ولا يداهنوهم. فإن ضايقوهم في دينهم، مضايقة شديدة، فعجزوا عن المكوث في البلاد للحفاظ على إسلامهم، حينها وجبت عليهم الهجرة. صحيح أن الإنجليز أعادوا للمسلمين بعض حقوقهم في بداية احتلالهم للهند، من أجل سياستهم الاستعمارية فزّق تسد. ولكنهم فيما بعد، أجزموا بالمسلمين، فصدق عليهم المثل: "كالمستجير من الرمضاء بالنار".

أما سماح الإنجليز لهم بأداء شعائرتهم الدينية في بلادهم، لا يعني مدح الإنجليز ومداهنتهم كما أسلفت في التعامل مع الحاكم الكافر. فيما يتعلق بمدح المرزا للإنجليز، فلم يكن مدحه كبقية مشايخ عصره -مع أنني ضد مدح المحتل مهما كان صنيعه-. فقد بالغ المرزا جداً في مدحهم وتفوق عليهم،

(1) ابن حجر، فتح الباري، (123/13).

(2) ينظر: نذر، فقه المسيح، ص 297.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 9، ص 518-519.

(4) ينظر: أحمد، ظاهر: هل الأحمدية غراس الإنجليز؟. ط 1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2001م.

ص 5-22.

وجعل طاعتهم واجبة، والتفكير بهم بسوء معصية⁽¹⁾. كما وعارض أي إضراب في معارضة الحكومة⁽²⁾. أنهى بالقول: أن المرزا غلام أحمد أخطأ التقدير والتعامل مع الولاة الكافرين وعاملهم كأنهم ولاة أمر مسلمين عادلين. أما الاتهامات الكثيرة، التي ذكرها معارضي الجماعة بأنهم عملاء للإنجليز وصناعتهم، فلا أملك أي دليل أو وثيقة تدل على هذه الاتهامات، ولا أستطيع أن أتهم أحداً بدون بينة أو برهان.

ثانياً: المعاهدات الدولية: ذكر المفسر رأيه بالمنظمات الدولية الحديثة، فقال: "فيما يتعلق بالعلاقات الدولية فقد سنّ الإسلام لها قوانين لا يمكن أن يجاريه فيها دين آخر. لقد وضع الإسلام لإزالة الخلافات بين الدول تعليمات شاملة مكتملة لا توجد حتى في قوانين "عصبة الأمم" التي كانت سابقاً، ولا في قواعد "هيئة الأمم المتحدة" التي تكونت حديثاً؛ لأن هاتين الهيئتين لم تأخذا باقتراحات القرآن الكريم بشكل كامل... كنتُ في إنجلترا عندما تكوّنت عصبة الأمم، وكنت قد أعلنتُ في حينها أنها لن تنجح، لأن القرآن الكريم قد اشترط أنه إذا اختلفت دولتان ولم تخضع إحدهما لقرار الأمم الأخرى، فمن واجبها كلها شن الحرب عليها، ولكن لم تضع عصبة الأمم في قواعدها أي اقتراح لشن الهجوم على الدولة المعتدية. أما هيئة الأمم المتحدة التي تكونت حديثاً فأقول إن مصيرها هو مصير عصبة الأمم، فهي أيضاً لن تنجح أبداً ما لم تغير قواعدها، إذ لا تتضمن قواعدها ما يعلمه الإسلام. لا شك أنهم وضعوا فيه خيار سنّ الهجوم على الدولة المعتدية، ولكن لم يحددوا طريقة تنفيذه بدقة. ثم إنهم قد ضمّوا إلى هذه الهيئة دولاً دون دول... كذلك منحوا بعض الدول خيارات أكثر من الأخرى، مما يعني أنهم يتعاملون بالتمييز الذي يرفضه الإسلام بشدة، ولذلك قلت إن مآل هذه الهيئة أيضاً الفشل".⁽³⁾

ثالثاً: قضية الجهاد والقتال، من الصور العالقة عن الجماعة الأحمديّة أنهم أنكروا الجهاد. وقد ردت الجماعة بكتيب اسمه "الجهاد المفهوم الإسلامي الصحيح"، يوضحون فيه نظرة مؤسس الجماعة وموقفه من الجهاد. باختصار، يؤمن المرزا غلام أحمد بجهاد الكلمة، وجهاد النفس، وقاتل المعتدين

(1) ينظر: نذر، فقه المسيح، ص 297.

(2) ينظر: نذر، فقه المسيح، ص 314.

(3) بشير الدين، التفسير الكبير، ج 10، ص 397-398.

إذا حاربوا الدولة الإسلامية، لكنه لا يؤمن بالقتال لنشر دعوة الإسلام وهي ما تسميها الجماعة (بالحرب الدينية). بل يؤمن بنشر دعوة الإسلام بالدعوة إلى الله والأخلاق الحسنة.⁽¹⁾

دافع المفسر بشير الدين محمود في تفسيره عن أفكار والده، ودعم رؤيته عن الجهاد، مع رده على الخصوم، فقال: "أخذوا يشيعون بين الناس أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمديّة منكرٌ للجهاد! والحق أنه بهتان عظيم واقتراء مبين. إن حضرته -عليه السلام- لم يبلغ الجهاد قط، وعلى النقيض قد أعلن أنه لا بد من العمل بحكم الجهاد في كل عصر كأى ركن من أركان الإسلام. ولكن بما أن الجهاد بالسيف في كل وقت مستحيلٌ، وبما أن الكسل مدمر لأي جماعة، فقد جعل الله الجهاد قسمين، فإذا تعرض الإسلام للهجوم بالسيف فلا بد من الجهاد بالسيف؛ وإذا انتهى هجوم الكفار على الإسلام بسيف الحديد فمن واجبنا أن نهاجمهم بسيف القرآن. إذاً، فلا يمكن ترك الجهاد في أي وقت، بل لا بد للمسلمين من الجهاد حيناً بالسيف وحيناً بالقرآن".⁽²⁾

ولكيلا أطيل في المسألة، فالجهاد كما قسمه العلماء، نوعين: جهاد الدفع، وجهاد الطلب⁽³⁾. فالجماعة

(1) فقد قال المرزا: "فكرة الجهاد (العدواني) لدى المسلمين اليوم وانتظارهم لإمام سقّاك للدماء، ويُغضّهم للأمم الأخرى، كل ذلك ليس إلا بسبب خطأ وقع فيه بعض العلماء القليلي الفهم. أما الإسلام فلا يأذن برفع السيف إلا في حرب دفاعية، أو في محاربة الظالمين المعتدين عقاباً لهم، أو في الحرب التي تُشَنُّ حفاظاً على الحريات المشروعة. والحروب الدفاعية إنما هي تلك التي يُلجأ إليها لردّ عدوان العدو الذي يهدد حياة الناس". المرزا غلام أحمد، **المسيح الناصري في الهند**، ص 2. وأقول: أتفق مع المرزا غلام أحمد بهذا الرأي، لكن المشكلة في تطبيق المرزا غلام أحمد له؛ لأنه لم يعتبر الإنجليز أعداء احتلوا بلاد الهند، بل ولاية أمر. وتحدث عنهم وكأنه يعيش بلندن!! إذ قال: "كيف الجهاد ولا يُمنع أحدٌ من الصوم والصلاة، ولا الحج والزكاة، ولا من العفة والنقاة، وما سلّ كافر سيقاً على المسلمين، ليرتدوا أو يجعلهم عِضِينَ، فمن العدل أن يُسلّ الحُسام بالحُسام، والأقلام بالأقلام" (**إعجاز المسيح**، ص 63). وكلامه صحيح، لو قال هذا الكلام وهو في لندن، وليس في بلده المحتلة حينها من الإنجليز. فالحرب عليهم في زمنه هي "حرب دفاعية" كما قال بالنوع الأول، وليست دينية.

(2) بشير الدين، **التفسير الكبير**، ج 6، ص 637.

(3) الجهاد نوعان: جهاد الطلب: هو الذي يهدف إلى حماية حرية نشر الدعوة وإزالة العوائق أمامها كما يهدف إلى الدفاع عن المستضعفين والمضطهدين بالأرض وفق ضوابط وشروط حددها الفقهاء تحقيقاً للمصلحة ودرءاً للمفسدة. جهاد الدفع: وهو ما يفرضه واجب الدفاع الشرعي المقرر إذا حدث اعتداء على الأمة أو المجتمع أو الدين أو الوطن أو الأفراد. وهذا الجهاد يزول حكمه بزوال الاعتداء وخروج العدو من بلاد المسلمين/ مجمع الفقه الإسلامي، منظمة التعاون الإسلامي، الدورة الثانية والعشرون، قرار رقم: 207 (22/3) بشأن جهاد الطلب وجهاد الدفع، تاريخ النشر: الأحد 22/ مارس/ 2015،

<https://www.iifa-aifi.org/ar/3979.html>

الأحمدية، بما فيهم المفسر بشير الدين محمود لا ينكرون جهاد الدفع⁽¹⁾، لكن ما يعترضون عليه هو جهاد الطلب، الذي يراه المفسر أنه كان مسموحاً به في السابق؛ بسبب تضيق المشركين على المسلمين، ومنع الناس من الإيمان، لكنه انتهى في عصرنا الحالي، قائلاً: "فإن الله بيّن أنه يجوز لكم الاستمرار في الحرب فقط إلى زمن بقاء الفتنة، أي ما دام الناس يتدخلون في حرية الدين، ولكن إذا تغير الحال، وانتهى تدخلهم هذا، وتركوا أمر الدين لضمائر الناس، فلا يجوز لكم الحرب إلا أن تدافعوا عن أنفسكم".⁽²⁾

مع العلم، يرى المفسر أن الجهاد بالقرآن أعظم أنواع الجهاد⁽³⁾، وهو فرض على كل مسلم.⁽⁴⁾ وهذا رأي بعض المعاصرين من هذا الزمن، منهم: محمد رشيد رضا في تفسيره (المنار)، قائلاً: "الإفرنج ومقلديهم وتلاميذهم من نصارى المشرق يزعمون أن الجهاد هو قتال المسلمين لكل من ليس بمسلم، لإكراههم على الإسلام، وإن لم يعتدوا عليهم ولم يعادوهم، وقد علمت مما تقدم أنفاً وما سنفضله به تذكيراً بما فصلناه من قبل، أن هذا كذب وافتراء على الإسلام، ومنه ما تقدم في سورتي الأنفال والبقرة أن من غايات القتال فيه منع الفتنة في الدين، أي اضطهاد الناس لأجل إيمانهم وإكراههم على تركه".⁽⁵⁾

ولن أخوض في الحديث كثيراً عن هذه المسألة، ما أريد توضيحه، أن الخطأ الأكبر الذي وقعت به الجماعة، ووقع به المفسر، أنهم اعتبروا أن جهاد الطلب قد انتهى. صحيح أن القوانين الدولية في هذا الزمن، تكفل حرية العبادة واختيار الدين. لكن ما يدرينا لعل أوروبا غداً تعود أسوأ مما كانت

(1) قال المفسر: "قوله تعالى (وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)... الأمر هنا بإزالة الجبر والإكراه الذي يفرضه الكفار ليسلبوا المسلمين حريتهم الدينية. والشرط الثاني هو أن يحارب المسلمون فقط قوما حملوا السلاح في وجههم أولاً، فقال (الذين يقاتلونكم). والشرط الثالث أيضاً يستتبع من قوله تعالى (يقاتلونكم) أي يجوز لكم قتال من يقاتلونكم، ولا تقتلوا من ليس مقاتلاً في جيوش الكفار... مثل الصغار والعجائز والنساء". بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص416.

(2) بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص423.

(3) قال المفسر: "يقول الله تعالى (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)... أي أن كل جهاد سواء أكان بالسيف أو بالنفس أو بأي شكل آخر، أقل شأنًا من الجهاد بالقرآن". بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص634.

(4) ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج6، ص637.

(5) رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). 12 مج. (بلاط). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990م. (10/269-270).

عليه في العصور الوسطى، وتعيد محاكم التفتيش على المسلمين، ويمنعوا المسلمين من تبليغ دعوتهم في تلك البلاد، فنضطر إلى هذا الجهاد مرة أخرى. فالغاء الحكم الشرعي على الأبدية، خطأ وقعت به الجماعة.

في نهاية الفصل، لاحظت عزيزي القارئ بأن "تعليقي" كان على بعض الأحكام الشرعية، التي فيها خلاف بين المذاهب، أو خلاف المفسر بشير الدين محمود مع إجماع المذاهب، أو التي أفتى بها والده مؤسس الجماعة الأحمديّة. ونستنتج منها منهج المفسر في الأحكام الشرعية التي تناولناها في هذا المبحث، وهي:

أولاً: وافق المفسر بشير الدين محمود، مذهب والده (مؤسس الجماعة) الفقهي⁽¹⁾، بل وأفتى بأحكام شرعية لم يتطرق إليها والده. مثل: الزكاة على الوالدين، وأحكام الحج، وغيرها.

ثانياً: يأخذ المفسر بالحكم الأخير لوالده (مؤسس الجماعة) عند تدرجه في التحريم، أو نسخه للأحكام⁽²⁾. مثاله: تحريم الصلاة خلف المسلمين. فقد بدأ بتحريمها ضد مكفره ومعانديه، حتى حرمها فيما بعد خلف من لم يؤمن بنبوته. ووقف المفسر على حكمه الأخير مدافعاً عنه. وهناك أمثلة أخرى تحتاج إلى تحقيق، منها: ما ذكره هاني طاهر من نصوص يستنتج من ظاهرها إيمان المرزا غلام أحمد بحد القتل للمرتد، والرجم للزانية المحصن، ورد الجماعة عليه بعد ذلك. وهذا حوار يطول، وخاصة أنني لم أر الأحمديين اللاهوريين عارضوا المفسر في هذه القضايا. ولو قال المرزا حدوداً أخرى لم يقلها المفسر في خطبه وتفسيره، لعارضوه عليها. وهذا أمر يحتاج إلى دراسة طويلة؛ لأستطيع الوقوف على حقيقة الأمر. لكنني أكتفي بهذه النبذة البسيطة في الموضوع.

(1) إن أفتى ببعض المسائل التي تخالف مذهب والده، فإنه يتراجع عنها عندما يعلم أو يقرأ فتوى والده، كمسألة "الحائض يمكنها قراءة القرآن". فأفتى في "التفسير الكبير" بما يوافق نور الدين القرشي، لكن في "فقه المسيح" فله فتوى تحرم قراءة الحائض للقرآن كمنهج والده. ومثال آخر لم يتطرق إليه في تفسيره، كان يفتي بجواز قراءة آيات قرآنية تختص بالأدعية في الركوع والسجود، فلما علم تحريم والده لذلك، تراجع عنها وأفتى بفتوى والده. ينظر: قراءة أدعية قرآنية في الركوع والسجود، فيديو من قناة (mtaonline3)، 2020/09/8،

<https://www.youtube.com/watch?v=czaPDEiUWwE&t=187s>

(2) الجماعة الأحمديّة لا تؤمن بهذا الأمر، وتستطيع أن تستنتج ذلك من خلال ردودهم على اللاهوريين وهاني طاهر.

ثالثاً: سار المفسر على إجماع المذاهب الأربعة في كثير من المسائل⁽¹⁾، لكن خالف إجماع المذاهب الأربعة في بعض الأحكام الشرعية، وتقسم على قسمين:

1. مخالفة المذاهب الأربعة وإجماع أهل السنة والجماعة، في:

أ. عدم جواز الصلاة خلف المسلمين ولو كان من أهل التقوى والصلاح.

ب. يخالف المذاهب الأربعة في الحدود التي ليس فيها نص قرآني، فهو لا يرى أن هناك حداً للمرتد، ولا حداً للخمر، وحد الزانية المحصنة مئة سوط، وأن حد الزنا يقام على الذي صار معتاداً للزنى.

ت. جواز مشروعية زواج المسلم من الهندوسية.⁽²⁾

ث. طاعة الحاكم الكافر المتغلب، وتحريم الخروج عليه إلا إذا ضيقوا على المسلمين في دينهم، ومنعواهم من الهجرة بسبب شدة التضييق.

ج. منع جهاد الطلب على الأبدية.

2. مخالفة المذاهب الأربعة، مع وجود آراء معتبرة لعلماء أهل السنة والجماعة:

أ. تعدد الطلقات في مجلس واحد أو باللفظ كقوله طالق بالثلاثة، تعتبر تطليقة واحدة.

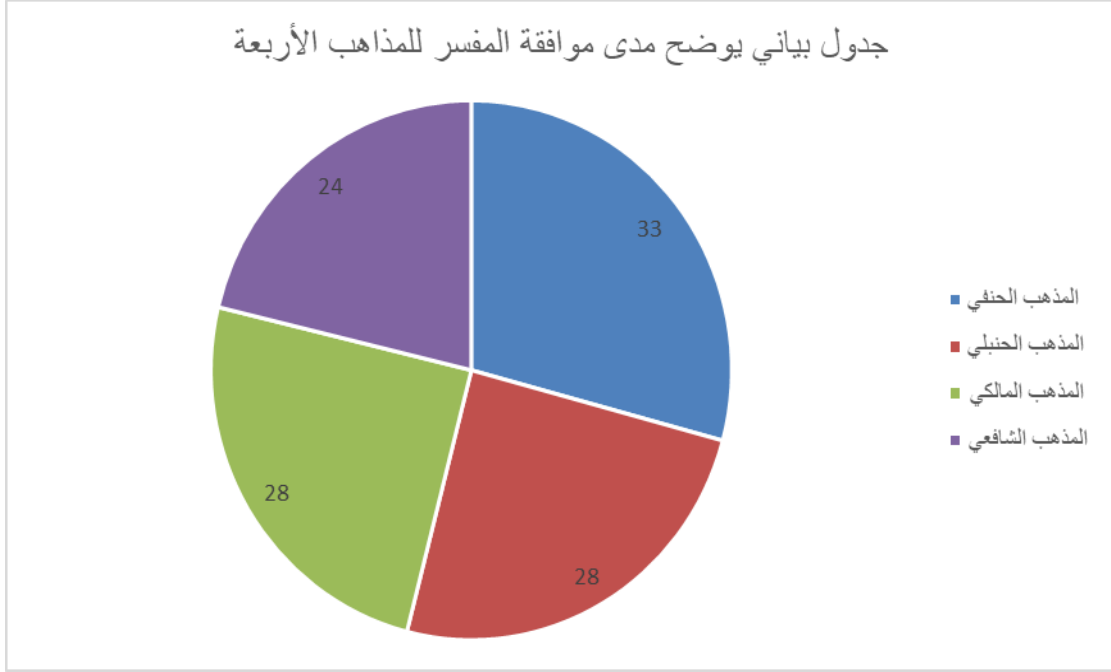
ب. جواز سكن الأرملة في بيتها حتى عام كامل.

(1) منها: حرمة صوم الحائض (ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص387، وينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (440/1)). ومنها: وجوب تقديم الهدى في القارن والتمتع، واستحبابه للمفرد (ينظر: بشير الدين، التفسير الكبير، ج2، ص431، وينظر: سابق، فقه السنة، (529/1)).

(2) ولا أدري إذا أفتى أحد من علماء السنة القدامى في باكستان بجواز ذلك.

رابعاً: لا يتقيد المفسر بمذهب فقهي معين، لكنه يميل إلى الأحكام الشرعية التي أفتى بها المذهب الحنفي بشكل أكثر من المذاهب الأخرى⁽¹⁾. فوافق المذهب الحنفي في 33 حكماً شرعياً، ووافق المذهب الحنبلي 28 حكماً شرعياً، ووافق المذهب المالكي 28 حكماً شرعياً، ووافق المذهب الشافعي 24 حكماً شرعياً. عرضناها جميعها في هذا المبحث.⁽²⁾

للتوضيح أكثر، إليكم المخطط البياني التالي:



الشكل (2): مدى موافقة المفسر للمذاهب الأربعة.

(1) فقد خالف الحنفية في عدة أحكام شرعية، منها: وجوب صلاة الجماعة على المسلم، ففي مذهب الحنفية سنة عين مؤكدة. لكنه أفتى برأي الحنابلة وهو الوجوب. كذلك، أفتى بوجوب تغطية وجه المرأة، ماعدا العينين، وهو قول الحنابلة، وبعض الشافعية خلافاً للحنفية. أيضاً عدم جواز زواج المرأة بدون إذن وليها، فوافق الجمهور مخالفاً الحنفية. كذلك حكم الاحتكار التحريم وليس الكراهة، وافق الجمهور، وخالف الحنفية.

(2) وهي الأحكام الشرعية التي تحت عنوان "أبرز الأحكام الشرعية التي تناولها المفسر" التي كانت في مطالب البحث، مع بعض التعليقات لبعض الأحكام الشرعية التي وردت في النصوص.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين، له الحمد وله الشكر في المبتدى والمنتهى فهو المعين، وأصلي على نبيه الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

في خاتمة هذه الدراسة، ظهر عندي مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

أولاً: النتائج:

1. أول من فسر القرآن الكريم في الجماعة الأحمدية هو مؤسس الجماعة الأحمدية (المرزا غلام أحمد)، الذي فسر سورة الفاتحة باللغة الأوردية في كتابه "البراهين الأحمدية"، ثم خلفه في ذلك نور الدين القرشي، وابنه بشير الدين محمود، وحفيده طاهر أحمد، وهؤلاء أهم ثلاثة فسروا القرآن في الجماعة.
2. التفسير الكبير لبشير الدين محمود: هو تفسير تحليلي لبعض سور القرآن الكريم، حيث فسر 59 سورة من سور القرآن الكريم، بما يقارب الثلاثة عشر جزءاً للقرآن الكريم. يعتمد منهجه على الاتجاه العقلي في التفسير.
3. اشتمل التفسير الكبير على جميع الألوان (التحليلي، والموضوعي، والمقارن، والإجمالي). لكن بنسب متفاوتة، فأكثرها التحليلي، وأقلها الإجمالي.
4. اعتمد بشير الدين محمود على التفسير بالرأي، واستخدم التفسير المأثور؛ لتوضيح تفسيره للقرآن أو لتكون دليلاً على صحة تفسيراته، ولكنه كان مقلداً في تفسيره القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.
5. دافع المفسر عن وجود المجاز في القرآن الكريم، كما يلاحظ إكثاره في تأويل الآيات القرآنية، خاصة إذا تعارض النص مع عقيدة والده مؤسس الجماعة الاحمدية (المرزا غلام أحمد) الذي تأثر كثيراً بأقواله ومعتقداته.

6. اعتنى المفسر بشير الدين محمود بالاستنباط اعتناء بالغاً، وهذا يدل على مدى إعماله للفكر والنظر في الآيات.

7. يعد التفسير الكبير تفسيراً باطنياً، ويتضح ذلك في تفسيره لبعض القصص القرآني، عندما ألغى المعنى الظاهر، وتعامل مع المعنى الإشاري فقط.

8. من محاسن تفسيره رد شبهات المستشرقين في كثير من مباحث علوم القرآن بطريقة جميلة.

9. لم يكثر المفسر بشير الدين محمود في تفسيره بأسباب النزول كثيراً، لكنه يفسر الآية أحياناً وفقاً لسبب النزول إذا صح السبب، ولم يتعارض مع رأيه.

10. المفسر يعتبر المكي ما كان قبل الهجرة والمدني بعد الهجرة -أي أنه نظر إلى الزمان-، كما اعتمد على "الروايات" في تحديد السورة إذا كانت مكية أو مدنية.

11. تؤمن الجماعة الأحمدية بمن فيهم المفسر بشير الدين محمود، أن ترتيب الآيات في المصحف هو عمل توقيفي من الرسول -صلى الله عليه وسلم-. وكذلك الأمر بالنسبة لترتيب السور وأسمائها.

12. يرى المفسر بأن الحروف السبعة هي لهجات القبائل المختلفة مطلقاً عليها "القراءات القرآنية". موضحاً أن القراءات هي من عند الله تعالى، كما أنه كان مقلداً جداً في توضيح القراءات القرآنية في تفسيره.

13. يرى المفسر بشير الدين محمود أن القرآن كله معجز بدون تفصيل، فلم يقل هذا إعجاز لغوي وذلك تشريعي وذلك علمي وذلك غيبي.

14. لا يؤمن المفسر وجماعته بوجود النسخ في القرآن الكريم، كما ناقش هذا الأمر مطولاً في تفسيره.

15. أكثر المفسر بشير الدين محمود من تناول الإسرائيليات، حتى إنه ذكرها في مباحث لا يتخيل أحد أن تذكر فيها، خاصة المباحث التي تتعلق بعلوم القرآن أو بقضايا فقهية وغيرها من

المباحث، من باب المقارنة والنقد ودحض الأكاذيب والتأكيد على صدق الإسلام وهذه من المحاسن البارزة له، أما المآخذ على استخدامه للإسرائيليات عندما كان يعتمد على بعض الإسرائيليات في إثبات صحة معتقدات الجماعة، أو عندما يكشف أموراً مبهمه، أو محاولة التوفيق بين الرواية التوراتية مع القرآن.

16. اعتنى المفسر بشير الدين محمود بتفسير مفردات القرآن والكشف عن معاني ألفاظه وغريبه، واهتم بذلك اهتماماً بالغاً، حيث خصص له حيزاً في كل مقطع يقوم بتفسيره من أول "التفسير الكبير" إلى آخره في جميع أجزائه العشرة تحت عنوان "شرح الكلمات". حيث فسر وشرح ما يقارب (1462) لفظاً قرآنياً.

17. استخدم المفسر بشير الدين محمود 13 معجماً ومرجعاً في تفسيره لكلمات وألفاظ القرآن، من أهمها: معجم "أقرب الموارد في فصح العربية والشوادر" بنسبة تقارب 74%.

18. لم يعتن المفسر بالنحو والإعراب كما اعتنى بمعاني ألفاظ الكلمات ووجوهها. لكنه تعرض لها في تفسيره، بهدف توضيح معنى الآية في تفسيرها، لكن من المآخذ الكبيرة على المفسر، استخدامه للنحو والإعراب في حرف معنى الآية الظاهري إلى معنى آخر يخالف المأثور.

19. اعتنى المفسر بشير الدين محمود بعرض النظريات العلمية وتفسير الآيات القرآنية بها، سواء وافقت التفسير المأثور أو خالفته، مما أوقعه في بعض الأخطاء الكبيرة.

20. من محاسن التفسير العلمي عنده، توضيح أخطاء بعض المفسرين عند تفسيرهم للآيات العلمية، التي تتعارض مع الحقائق العلمية المكتشفة. ودقته العلمية بنقله من البحوث العلمية من مصدرها.

21. المنهج العام في تفسير المفسر بشير الدين محمود لآيات العقائد، وهو مناقشة العقائد الأخرى كالزرادشتية والمسيحية واليهودية بشكل موسع، وتقنيده عقائدها من خلال القرآن. وسوق بعض الأدلة على وجود الله وأنه خالق كل شيء، مدافعاً عن عقيدة التوحيد، محذراً من عقيدة الشرك، مؤمناً بالأسماء والصفات وهذه من محاسن تفسيره. لكن من المآخذ هو انحرافه بتكليف "يد الله" بيد الرسول صلى الله عليه وسلم، و"العرش"، على أنها صفات الله.

22. سبب هذه الانحرافات في تفسيره لآيات العقيدة، هو تأثره واقتباسه من تفسيرات والده المرزا غلام أحمد -بالذات-، فاستعمل كثيراً من المجاز والاستعارة، وخاصة في تفسيره للآيات التي تذكر القضايا الغيبية.

23. يؤمن المفسر بشير الدين محمود وجماعته بالأنبياء جميعاً، كما يؤمن بأن بكرشنا، ورام، وزرادشت أنبياء للهندوس، ويؤمن بعصمة الأنبياء.

24. يتعامل المفسر بشير الدين محمود مع معجزات الأنبياء في غالبها، على أنها معجزات مادية خالية من خوارق العادة، وعلى أنها عبارة عن كشف وكرامات.

25. يتبنى المفسر فكر والده مؤسس الجماعة الأحمدية، بأن المسيح مات ولن يعود، وأن الأحاديث التي ذكرت عودة المسيح عيسى ابن مريم يقصد بها شخص آخر، يكون دوره في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - شبيهاً لدور المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام- في أمة بني إسرائيل. ويرى أيضاً أن النبوة لم تختتم ولم تنقطع، وما ختم منها هي نبوة التشريع للرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -، أما نبوة المخاطبة مع الله ونزول الإلهامات فهي مستمرة. مما انعكس ذلك على تفسيره.

26. تناقض المرزا غلام أحمد في ادعاء النبوة، من خلال كلامه وأقواله التي تعرضها كتب الجماعة، وهذا دليل كافي على عدم نبوته. فقد أدى هذا التناقض إلى خلافات بين الأحمديين من جماعة المفسر بشير الدين محمود، وجماعة محمد علي.

27. المنهج العام للمفسر بشير الدين محمود في آيات الأحكام والقضايا الأخلاقية، يذكر الأحكام الشرعية مباشرة دون نقاش لأقوال المذاهب والترجيح بينها في الغالب، ويعرض كثيراً الأحكام الفقهية من كتب التفسير وأبرزها "البحر المحيط لأبي حيان"، مع إظهار ميزة الشرائع الإسلامية وجمالها وعظمتها أثناء مقارنتها مع غيرها، وتبين حكمتها، وموافقتها للاكتشافات العلمية الحديثة مما يشعر بعظمة التشريع الإسلامي وإعجازه.

28. من المآخذ، مخالفة المذاهب الأربعة وإجماع أهل السنة والجماعة، في: عدم الصلاة خلف المسلمين ولو كان من أهل التقوى والصلاح، ومخالفتهم في الحدود التي ليس فيها نص قرآني، فهو لا يرى أن هناك حداً للمرتد، ولا حداً للخمر، وحد الزانية المحصنة مائة سوط، وأن حد الزنا يقام على الذي صار معتاداً للزنى. وجواز مشروعية زواج المسلم من الهندوسية. وطاعة الحاكم الكافر المتغلب، وتحريم الخروج عليه إلا إذا ضيقوا على المسلمين في دينهم، ومنعواهم من الهجرة بسبب شدة التضييق.

29. لا يتقيد المفسر بمذهب فقهي معين، إلا أنه يتقيد بفتاوى والده الذي يراه مصدراً من مصادر التشريع. ويميل إلى الأحكام الشرعية التي أفتى بها المذهب الحنفي بشكل أكثر من المذاهب الأخرى.

ثانياً: التوصيات:

1. تدريس منهج تفسير الجماعة الأحمدية للقرآن الكريم، وتحديدًا تدريس منهج "التفسير الكبير" للمفسر بشير الدين محمود، في مساقات "التفسير والمفسرون"، أو "مناهج التفسير الحديث"؛ بغرض التعريف على منهجه في التفسير والرد عليه.
2. كتابة كتب جديدة عن الجماعة الأحمدية، تكشف حقيقتهم، بشكل موضوعي. من دون الاتهامات الباطلة، والأكاذيب التي لحقت بهم. وخاصة أن الجماعة ترجمت الكثير الكثير من كتبها للغة العربية في آخر عشرين عام.
3. إجراء دراسة أو دراسات نقدية للتفسير الكبير في كل موضوع من مواضيعه بعد عرض استدلالات المفسر، ونقاشها بشكل مفصل، وخاصة في تفسيره لآيات العقائد.
4. عمل أبحاث ودراسات نقدية حول هذا التفسير، وأقترح على الباحثين أن تكون في المجالات الآتية:

أ. إجراء دراسة تبرز فكر واعتقاد الجماعة الأحمدية بشكل وافٍ وعمق.

- ب. دراسة نقدية للقصص القرآنية عند المفسر بشير الدين محمود.
- ج. دراسة الآراء النحوية واللغوية للمفسر في التفسير الكبير.
- د. دراسة "غريب القرآن" في التفسير الكبير للمفسر بشير الدين محمود بشكل موسع.
- هـ. دراسة مقارنة بين التفسير الكبير وكتب التفسير المأثور في المكي والمدني.
- و. إجراء دراسة عن موضوع "المناسبات" بشكل موسع في تفسيره.
- ز. دراسة نقدية للكتب التي كتبها المرزا غلام أحمد باللغة العربية.
- ح. تخريج الأحاديث التي عرضها المرزا غلام أحمد في كتبه، وتوضيح منهجه فيها.
- ط. إجراء دراسة مقارنة بين فقه الجماعة الأحمدية والفقه على المذاهب الأربعة.

مسرد الأعلام

الصفحة	العَلَم
9	نور الدين القرشي
10	محمد حسين البطالوي
10	محمد علي
11	محمد ظفر الله خان
19	عفاف شكري
19	محمد علي رشيد رضا
37	محمد حسين الذهبي
48	موسى بن الصباح
68	عبد الغني النابلسي
91	أبي بكر المورزي
96	وليد بن أحمد بن صالح بن محمد الحسين
105	هاني طاهر
106	عبد القادر إبراهيم مدلل
174	أبو علي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي
176	محمد أنور شاه الكشميري
179	جرير بن حازم
180	أبو حامد الغزالي
181	محيي الدين بن عربي
168	شعيب الأرنؤوط
229	محمد شريف عودة

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

تنويه: وردت بعض الآيات بأرقام مختلفة عن أرقامها المعروفة، وذلك يرجع لورودها هكذا في نص "التفسير الكبير" لبشير الدين القادياني؛ بسبب احتساب البسمة كآية في العد، والباحث نقلها نصاً حرفياً، لذا وجب التنويه.

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
2	8	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	المائدة
38	9	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	الحجر
38	44	﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْنَا كَرَمًا﴾	البقرة
38	20	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقْوَمُوا أَدْعُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مِمَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾	المائدة
39	57	﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحٰنَهُ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾	النحل
39	91-90	﴿تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرٰن مِنۡهُ وَتَنسَقُ الْاَرْضُ وَنَحَرُ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩١﴾ اَنۡ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا﴾	مريم
39	35	﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾	النبأ
39	23	﴿لَّا لَعُوۡ فِيهَا وَلَا تَاۡثِيۡمٌ﴾	الطور
67، 39	18	﴿اِلَّا مَنۡ اَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاَتَّبَعَهُۥۗۤ شِهَابٌ مُّبِيۡنٌ﴾	الحجر

39	212-210	﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٩﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾	الشعراء
40	10	﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ وَشَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾	الصفات
40	9-8	﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلَائِكَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا﴾	الجن
40	64	﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	النحل
41	64	﴿لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	يونس
42	98	﴿فَقَوْلًا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَفَعَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾	يونس
42	106	﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ﴾	يونس
43	16	﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ءَأَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	يونس
44	6	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	العاديات
45	3-1	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	القدر
46	27	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	النور
46	65	﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾	البقرة

47	62	﴿الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	يونس
53	82	﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾	يوسف
53	259	﴿أَوْ كَأَذَى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾	البقرة
53	49-48	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٩﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً كَافَّةً ﴿٦٠﴾ وَنُسَقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾	الفرقان
54	2	﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾	التكاثر
55	7	﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾	يونس
55	86	﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾	النساء
56	1	﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾	قريش
56	1	﴿فَدَأْفَلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	المؤمنون
57	22	﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾	مريم
58	10	﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرتْ﴾	التكوير
59	85	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	الإسراء
60	79	﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾	الإسراء
60	17	﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾	هود
61	2-1	﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾	الطارق
62	3	﴿النَّجْمِ الثَّاقِبِ﴾	الطارق
64	2-1	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	العصر
65	18	﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انَّسَقَ﴾	الانشقاق
56	48	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾	النمل
66	2	﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾	البروج

66، 128	6-5	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾	الشرح
66	5	﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾	يونس
68	259	﴿أَوْ كَأَنَّيَ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾	البقرة
69	33	﴿كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾	الكهف
70	4	﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾	يوسف
72	18-16	﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾	الانشقاق
74	17	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	القيامة
75	111	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾	الاسراء
75	108-107	﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾	الاسراء
75	5-4	﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾	الكهف
75	111	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾	الإسراء
76	32	﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	الاسراء
77	3-2	﴿إِنْ يَتَّقُواكَ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴿٢﴾ وَالسُّنْتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٣﴾ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ	الممتحنة

		وَلَا أَوْلَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٠﴾	
79	1	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	الزلزلة
79	2	﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾	الزلزلة
83	23	﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾	الأحزاب
84	114	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النُّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾	هود
85	6	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	العاديات
87	45	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾	المؤمنون
93	102	﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٍ ﴿١٠٠﴾ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿١٠١﴾﴾	البقرة
93	41	﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾	هود
94	3-1	﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾	الليل
103	2	﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾	الأعلى
104	55	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	النور

105	106	﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾	البقرة
109	92	﴿نُجِّيكَ بِدَنِكَ﴾	يونس
110	80	﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾	البقرة
111	80	﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطُكُمْ فِي يُونُسَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾	يوسف
112	66	﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾	يوسف
121	7	﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾	الحجر
121	62	﴿مُفْرَطُونَ﴾	النحل
121	90	﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾	الحجر
121	9	﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾	النحل
124	2-1	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾	المسد
124	55	﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾	آل عمران
125	3	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	البقرة
128	9	﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾	القارعة
129	1	﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾	إبراهيم
129	29	﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾	النحل
131	46	﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾	هود
131	1	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	القدر
132	4	﴿تَرْمِيهِمْ بِجِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾	الفيل

133	82	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾	هود
134	126	﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾	البقرة
135	19	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	ابراهيم
135	2	﴿فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾	العاديات
135	100	﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾	هود
136	4-3	﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ﴾	التكاثر
137	72	﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾	الإسراء
140	30	﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾	الأنبياء
140	4	﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	السجدة
142	9-7	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	السجدة
143	35	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	البقرة
143	59	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	آل عمران
144	12	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾	المؤمنون
144	13	﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾	النبا
145	66	﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّيُقَسِّمُوا لَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾	النحل
146	31	﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾	الأنبياء
150	163	﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	البقرة
152	1	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص

152	3	﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	الإخلاص
152	4	﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	الإخلاص
154	10	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	الفتح
155	7	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	غافر
155	72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	الأحزاب
157	50	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	النحل
158	1	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا﴾	فاطر
158	102	﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾	البقرة
159	14	﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾	البقرة
160	175	﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	آل عمران
160	112	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا﴾	الأنعام
160	6-5	﴿الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾	الناس
161	27	﴿وَالجَانَّ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾	الحجر

162	62	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾	الفرقان
162	212	﴿رُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	البقرة
163	17	﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾	النبا
163	18	﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾	النبا
163	20	﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾	النبا
163	24	﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	النور
164	105	﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾	الأنبياء
167	82	﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾	النمل
168	45	﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	الحجر
169	23	﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾	الرعد
169	7-6	﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِّن جُوعٍ﴾	الغاشية
169	31	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	النبا
169	22	﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾	الشورى
170	7-6	﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾	الهمزة
171	115	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾	طه
171	37	﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾	النجم
172	22	﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾	طه
172	102	﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾	البقرة

172	91	﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	الأنبياء
174	65	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	النساء
174	91	﴿فِيهِدْهُمْ أَقْتَدَةٌ﴾	الأنعام
175	117	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	المائدة
177	40	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾	الأحزاب
189	31	﴿يَبْنِيءَ آدَمَ حُدُودَ زَيْتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	الأعراف
193	103	﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾	التوبة
194	49	﴿اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	الشورى
195	141	﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ﴾	الأنعام
196	59	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	التوبة
200	96	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾	آل عمران
102	196	﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾	البقرة
214	19	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	الذاريات
215	141	﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَاتُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ﴾	الأنعام

215	14	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ... أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	لقمان
216	53	﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾	التوبة
216	262	﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذَى﴾	البقرة
216	92	﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾	آل عمران
218	256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾	البقرة
219	93	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾	النساء
219	33	﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾	الاسراء
221	92-90	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾	المائدة
224	3	﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	النور
227	2	﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	الحجر
234	180	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	البقرة

238	30	﴿وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾	النور
-----	----	--	-------

الحديث الشريف

الصفحة	المرجع	طرف الحديث
41	صحيح مسلم	الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له
41	مسند أحمد	بشراهم في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة...
41	صحيح مسلم	يا رسول الله، الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه ...
42	صحيح البخاري	ما ينبغي لأحد أن يقول إني خير من يونس بن متى
42	سنن ابن ماجه	أنا سيد ولد آدم ولا فخر
43	صحيح البخاري	لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ {لَمْ يَلْسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82] ...
44	المعجم الكبير للطبراني	الْكُنُودُ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ
45	تفسير ابن أبي حاتم	أَرْبَعَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبْدُوا اللَّهَ ثَمَانِينَ عَامًا...
45	صحيح البخاري	خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
47	تفسير ابن أبي حاتم	إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِأَهْلِ وِلَايَةِ اللَّهِ...
60	صحيح البخاري	ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ نُعْطَهُ...
82	سنن الترمذي	يا محمد، انسب لنا ربك؟ ...
91	صحيح البخاري	إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ...
96	الدر المنثور في التفسير بالمأثور	كَاف هَادِ عَالَمِ صَادِقٍ
69	سنن الترمذي	من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة...
123	صحيح البخاري	لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ...

124	صحيح البخاري	أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي... ..
144	سنن الترمذي	إن الله تعالى خلق آدم من قبضة... ..
156	جامع البيان في تأويل القرآن	ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم... ..
190	صحيح البخاري	مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا... ..
190	صحيح البخاري	الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته... ..
197	صحيح مسلم	لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ
201	سنن الترمذي	لَا، وَأَنْ تَعْتَمِرُوا هُوَ أَفْضَلُ
208	صحيح البخاري	لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ
210	مسند أحمد بن حنبل	رَهَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيًّا دِرْعًا... ..
211	سنن الترمذي	لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْلَ الرِّبَا... ..
235	سنن الترمذي	إن الله تبارك وتعالى أعطى... ..

أولاً: كتب تفسير القرآن الكريم وعلومه

- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: ت(327هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط3. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1419هـ.
- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف: ت(833هـ). منجد المقرئين ومرشد الطالبين. ط1. (بلا.م): دار الكتب العلمية. 1420هـ-1999م.
- الطيار، مساعد بن سليمان: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ط1. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. 1432هـ.
- أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي: ت(1127هـ). روح البيان. (بلا.ط). بيروت: دار الفكر. (بلا.ت).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: ت(751هـ). التبيان في أقسام القرآن. تحقيق: محمد حامد الفقي. (بلا.ط). بيروت: دار المعرفة. (بلا.ت).

- النَّحَّاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس. ت(338هـ). **الناسخ والمنسوخ**. تحقيق: محمد عبد السلام محمد. ط1. الكويت: مكتبة الفلاح. 1408هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي. ت(456هـ). **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**. تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1406هـ.
- أبو حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف: ت(745هـ). **البحر المحيط في التفسير**. تحقيق: صدقي محمد جميل. (بلاط). بيروت: دار الفكر. 1420هـ.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف: ت(745هـ). **البحر المحيط في التفسير**. تحقيق: صدقي محمد جميل. (بلاط). بيروت: دار الفكر. (بلاط).
- ريان، أسماء: **الحروف المقطعة في فواتح السور القرآنية**. رسالة ماجستير (غير منشورة). الجامعة الإسلامية-غزة، 2007م
- ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد: ت(403هـ). **حجة القراءات**. تحقيق: سعيد الأفغاني. (بلاط). (بلام): دار الرسالة. (بلاط).
- أبو شوفة، أحمد عمر: **المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة**. (بلاط). ليبيا: دار الكتب الوطنية. 2003م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**. ت(1393هـ). 30مج. (بلاط). تونس: الدار التونسية للنشر. 1984هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: ت(774هـ). **تفسير القرآن العظيم**. 8مج. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ.

- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة. (بلا.ط). مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2002 م.

- إسماعيل، محمد بكر: دراسات في علوم القرآن. ط2. (بلا.م): دار المنار. 1419هـ-1999م.

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله: ت(1270هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. 16مج. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ.

- البغا، مصطفى ديب ومحيي مستو: الواضح في علوم القرآن. ط2. دمشق: دار الكلم الطيب. 1418هـ-1998م.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء: معالم التنزيل في تفسير القرآن. ت(510هـ). 5مج. تحقيق: عبد الرازق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ.

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي: (ت:471هـ). درج الدرر في تفسير الآي والسور. 4مج. تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وآخرون. ط1. بريطانيا: مجلة الحكمة. 2008م.

- الجرمي، إبراهيم محمد: معجم علوم القرآن. ط1. دمشق: دار القلم. 2001م.

- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي: ت(370هـ). أحكام القرآن. 5مج. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. (بلا.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1405 هـ.

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: ت(597هـ). فنون الأفتان في عيون علوم القرآن. ط1. لبنان: دار البشائر. 1987م.

- الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية. ط1. العراق: اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري. 19282م.

-الخالدي، صلاح: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق. ط3. الأردن: دار النفائس. 2012م.

-الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر: ت(444 هـ). البيان في عدّ آي القرآن. تحقيق: غانم قدوري الحمد. ط1. الكويت: مركز المخطوطات والتراث. 1414هـ-1994م.

-الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون. 3مج. (بلاط). القاهرة: مكتبة وهبة. (بلاط).

-الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: ت(606هـ). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ.

-الرومي، فهد بن عبد الرحمن: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. 3مج. ط1. السعودية: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد. 1407هـ-1986م.

-الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن. 2مج. ط3. (بلاط): مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. (بلاط).

-الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر: ت(794هـ). البرهان في علوم القرآن. 4مج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. لبنان: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه. 1376هـ-1957م.

-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: ت(538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. 4مج. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ.

-السبت، خالد بن عثمان: مختصر في قواعد التفسير. ط1. (بلاط): دار ابن القيم. 2005م.

-السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: ت(1376هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. (بلاط): مؤسسة الرسالة. 1420هـ-2000م.

-السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور: صفحات في علوم القراءات. ط1. (بلا.م): المكتبة الأمدادية. 1415هـ.

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: ت(911هـ). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. 8مج. (بلا.ط). بيروت: دار الفكر. (بلا.ت).

-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: ت(911هـ). الإتقان في علوم القرآن. 4مج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (بلا.ط). (بلا.م): الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1394هـ-1974م.

-الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. ط1. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. 1417هـ-1996م.

-الصابوني، محمد علي: روائع البيان تفسير آيات الأحكام. ط3. دمشق: مكتبة الغزالي. 1980م.

-الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير. ط9. القاهرة: دار الصابوني للنشر والتوزيع. (بلا.ت).

-الصالح، صبحي: مباحث في علوم القرآن. (بلا.ط). (بلا.م): دار العلم للملايين. 2000م.

-الصغير، محمد حسين: مجاز القرآن. (بلا.ط). لبنان: دار المؤرخ العربي. (بلا.ت).

-الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن. 10مج. ط1. بيروت: دار المرتضى. 2006م.

-الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: ت(310هـ). جامع البيان في تأويل القرآن. 24مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر. (بلا.م): مؤسسة الرسالة. 2000م.

-الطيبار، مساعد بن سليمان: فصول في أصول التفسير. ط2. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي. 1423هـ.

-الطيبار، مساعد بن سليمان: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر. ط2. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. 1427هـ.

-العثيمين، محمد بن صالح: أصول في التفسير. أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية. ط1. (بلا.م): المكتبة الإسلامية. 1422هـ-2001م.

-الفراهي، عبد الحميد: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. ط1. الهند: الدائرة الحميدية. 2008م.

-الفراهي، عبد الحميد: مفردات القرآن -نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية. تحقيق: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي. ط1. (بلا.م): دار الغرب الإسلامي. 2002م.

-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري: ت(671هـ). الجامع لأحكام القرآن. 20مج. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط3. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1964م.

-القرعاوي، صالح سليمان: الوجوه في القرآن الكريم. ط1. الرياض: مكتب الرشد للنشر والتوزيع. 1990م.

-المحتسب، عبد الحميد: اتجاهات التفسير في العصر الراهن. ط3. الأردن: منشورات مكتبة النهضة الإسلامية. 1982م.

-المخزومي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي: ت(104هـ). تفسير مجاهد. تحقيق: محمد عبد السلام. ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة. 1989م.

-المراغي، أحمد بن مصطفى: ت(1371هـ). تفسير المراغي. 30مج. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1946م.

-المصلح، عبد الله عبد العزيز: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه. ط3. المملكة العربية السعودية: دار جياذ للنشر والتوزيع. 2011م.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: ت(728هـ). مقدمة في أصول التفسير. (بلا.ط).

لبنان: مكتبة الحياة. 1490هـ-1980م.

-خان، أبو الطيب محمد صديق: ت(1307هـ). فتح البيان في مقاصد القرآن. 15مج. (بلا.ط). بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر. 1992م.

-دراز، محمد بن عبد الله: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم. (بلا.ط). (بلا.م): دار القلم للنشر والتوزيع. 2005م.

-رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). 12مج. (بلا.ط). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990م.

-أبو شهبه، محمد: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. ط4. القاهرة: مكتبة السنة. 1408هـ.

-صالح، نزار عطا الله: منهج مفسري آيات الأحكام في فقه المعاملات. ط1. الأردن: دار النور المبين للنشر والتوزيع. 2018م.

-صرصور، فتحية إبراهيم: الرؤيا في القرآن الكريم. (بلا.ط). غزة: (بلا.ن). 2006م.

-عباس، فضل حسن: اتقان البرهان في علوم القرآن. 2مج. ط3. الأردن: دار النفائس. 2018م.

-عباس، فضل: قصص القرآن الكريم. ط1. الأردن: دار النفائس. 2010م.

-عبد الجواد، عبد الجواد خلف محمد: مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن. (بلا.ط). القاهرة: دار البيان العربي. (بلا.ت).

-عبد السميع، عماد علي: التيسير في أصول واتجاهات التفسير. (بلا.ط). الإسكندرية: دار الإيمان. 2006م.

-عفانة، حسام الدين: الحقيقة والمجاز في الكتاب والسنة. رسالة ماجستير. جامعة إمام القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة. 1981-1982م.

-عوض، إبراهيم: عصمة القرآن وجهالات المبشرين. (بلا.ط). مصر: مكتبة زهراء الشرق. 2005م.

-كفافي، محمد عبد السلام وعبد الله الشريف: في علوم القرآن دراسات ومحاضرات. (بلا.ط). بيروت: دار النهضة العربية. (بلا.ت).

-مسلم، مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي. ط3. دمشق: دار القلم. 2000م.

-مسلم، مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي. ط3. دمشق: دار القلم. 2000م.

-معبد، محمد أحمد: نفحات من علوم القرآن. ط2. القاهرة: دار السلام. 2005م.

-معبد، محمد أحمد: نفحات من علوم القرآن. ط2. القاهرة: دار السلام. 1426هـ - 2005م.

-منصور، عبد القادر محمد: موسوعة علوم القرآن. ط1. حلب: دار القلم العربي. 2002م.

ثانياً: كتب السيرة والحديث النبوي وعلومه

- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي: ت(235هـ). المصنف في الأحاديث والآثار. 7مج. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد. 1409هـ.

- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: ت(151هـ). السير والمغازي. تحقيق: سهيل زكار. ط1. بيروت: دار الفكر. 1978م.

- أبو الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري: ت(369هـ). العظمة. 5مج. تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. ط1. الرياض: دار العاصمة. 1408هـ.

- ابن العجمي، برهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد: ت(841هـ). الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط. تحقيق: علاء الدين علي رضا. ط1. القاهرة: دار الحديث. 1988م.

- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: ت(303هـ). المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي). 9مج. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. 1406هـ - 1986م.

- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: ت(852هـ). تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (طبقات المدلسين). تحقيق: عصام بن عبد الله القريوتي. ط1. عمان: مكتبة المنار. 1403هـ-1983م.

- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: ت(852هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بلاط). بيروت: دار المعرفة. 1379هـ.

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني: ت(241هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. 45مج. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. (بلام). مؤسسة الرسالة. 1421هـ-2001م.

-الجرجاني، أبو أحمد بن عدي: ت(365هـ). الكامل في ضعفاء الرجال. 2مج. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط1. بيروت: الكتب العلمية. 1997م.

- ابن عبد البر، جمال الدين أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: ت(463هـ). الأجوبة عن المسائل المستغرية من كتاب البخاري. علق عليه: عبد الخالق بن محمد ماضي. ط1. الرياض: وقف السلام الخيري. 2004م.

- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: ت(273هـ). سنن ابن ماجه. 5مج. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. (بلام): دار الرسالة العالمية. 1430هـ-2009م.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري: ت(213هـ). السيرة النبوية. 2مج. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1375هـ-1955م.

-الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. 9مج. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ-1985م.

-الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. 6مج. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. 1415 هـ-1995م.

-الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. 14مج. ط1. الرياض: دار المعارف. 1412 هـ-1992م.

-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: ت(256هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري). 9مج. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. (بلام): دار طوق النجاة. 1422 هـ.

-البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى: ت(458هـ). الأسماء والصفات. 2مج. تحقيق: عبد الله الحاشدي. ط1. جدة: مكتبة السوادي. 1993م.

-البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى: ت(458هـ). شعب الإيمان. 14مج. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. ط1. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. 1423 هـ-2003م.

-التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري: ت(741هـ). مشكاة المصابيح. 3مج. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. 3ط. بيروت: المكتب الإسلامي. 1985م.

-الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: ت(279هـ). سنن الترمذي. 5مج. تحقيق: أحمد شاکر وآخرون. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1395 هـ-1975 م.

-ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: ت(597هـ). غريب الحديث. 2مج. تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية. 1985م.

-الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم: المستدرک علی الصحیحین. ت(405هـ). 4مج. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411 هـ-1990م.

-الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم: ت(388هـ). غريب الحديث. 3مج. تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغريايوي. (بلا.ط). دمشق: دار الفكر. 1982م.

-الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: ت(748هـ). ميزان الاعتدال في نقد الرجال. 4مج. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر. 1963م.

-الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي: ت(360هـ). المعجم الكبير. 25مج. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. (بلا.ت).

-الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي: ت(360هـ). مسند الشاميين. 4مج. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1984م.

-الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود: ت(204هـ). مسند أبي داود الطيالسي. 4مج. تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي. ط1. مصر: دار هجر. 1419هـ-1999م.

-الكشميري، محمد أنور شاه: التصريح بما تواتر في نزول المسيح. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. (بلا.ط). بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية. 1981م.

-الكويتي، نبيل بن منصور بن يعقوب: أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري. 11مج. ط1. لبنان: مؤسسة السماحة. 2005م.

-المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي. 10مج. (بلا.ط). بيروت: دار الكتب العلمية. (بلا.ت).

-مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: ت(261هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم). 5مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بلا.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (بلا.ت).

ثالثاً: العقيدة والفرق والرفائق

- أبو العز الدمشقي، علي بن علي بن محمد: ت(792هـ). شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي. (بلاط). (بلام): مؤسسة الرسالة. 1411هـ-1990م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: ت(505هـ). الاقتصاد في الاعتقاد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1424هـ-2004م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: ت(751هـ). بدائع الفوائد. 5مج. تحقيق: علي بن محمد العمران. ط1. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد. 1425 هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: ت(751هـ). حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. (بلاط). القاهرة: مطبعة المدني. (بلاط).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: ت(751هـ). طريق الهجرتين وباب السعادتين. ط2. القاهرة: دار السلفية. 1394هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: ت(728هـ). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. 9مج. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. 1406هـ-1986م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: ت(728هـ). الإستقامة. 2مج. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. 1403هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: ت(456هـ). الفصل في الملل والأهواء والنحل. 5مج. (بلاط). القاهرة: مكتبة الخانجي. (بلاط).

- ابن عربي، محيي الدين: ت(638هـ). الفتوحات المكية، 4 مج. قدم له: محمود مطرجي. (بلا.ط). (بلا.م): دار الفكر للطباعة والنشر. (بلا.ت).
- نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. 1421هـ.
- يسري، محمد: طريق الهداية ومبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة. ط2. (بلا.م): (بلا.ن). 2006م.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي: ت(885هـ). مصرع التصوف. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل. (بلا.ط). مكة المكرمة: عباس أحمد الباز. (بلا.ت).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: ت(597هـ). المدهش. تحقيق: مروان قباني. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1985م.
- السفاريني، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم: ت(1188هـ). لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية. 2مج. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتباتها. 1402هـ-1982م.
- المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية: القاديانية فئة كافرة. تعريب: محمد بشير. (بلا.ط). باكستان: حديث أكادمي. (بلا.ت).
- النجار، عامر: القاديانية. ط1. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات. 2005م.
- الندوي، أبو الحسن وأبو الأعلى المودودي ومحمد الخضر: ثلاث رسائل عن القاديانية. (بلا.ط). الكويت: مكتبة دار البيان. 2017م.
- سابق، سيد: العقيدة الإسلامية. (بلا.ط). بيروت: دار الكتاب العربي. (بلا.ت).

- عيسى، سيف النصر علي: هذه هي الأحمدية القاديانية فاحذروها. (بلا.ط). (بلا.م): (بلا.ن). (بلا.ت).

- وزارة الأوقاف السعودية، الآداب الإسلامية. (بلا.ط). المملكة العربية السعودية: (بلا.ت).

رابعاً: كتب الفقه الإسلامي وأصوله

- أبو الثناء الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد: ت(749هـ). بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب. 3مج. تحقيق: محمد مظهر بقا. ط1. السعودية: دار المدني. 1986م.

- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى: 26مج. (بلا.ط). الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء. (بلا.ت).

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد: ت(728هـ). الفتاوى الكبرى. 6مج. ط1. (بلا.م): دار الكتب العلمية. 1408هـ-1987م.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد: ت(728هـ). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام. 5مج. جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. ط1. (بلا.م): (بلا.ن). 1418هـ.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد: ت(728هـ). مجموع الفتاوى. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. (بلا.ط). المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1416هـ-1995م.

- أبو رعد، أميرة مازن عبد الله: أثر اختلاف الدين في أحكام الزواج في الفقه الإسلامي. رسالة ماجستير (غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية. 2007م.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: ت(463هـ). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. 24مج. مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري. (بلاط). المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1387هـ.

-الجزيري، عبد الرحمن: **الفقه على المذاهب الأربعة**. 5مج. ط1. القاهرة: مؤسسة المختار. 2001م.

-الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد: ت(478هـ). **نهاية المطالب في دراية المذهب**. تحقيق: عبد العظيم محمود الديب. ط1. (بلاط): دار المنهاج. 2007م.

-الدميجي، عبد الله: **الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة**. ط2. الرياض: دار طيبة. (بلاط).

-الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: ت(606هـ). **المحصول**. تحقيق: طه جابر فياض العلواني. ط3. (بلاط): مؤسسة الرسالة. 1418هـ-1997م.

-الزحيلي، محمد مصطفى: **الوجيز في أصول الفقه الإسلامي**. 2مج. ط2. دمشق: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع. 1427هـ-2006م.

-الزحيلي، وهبة بن مصطفى: **الفقه الإسلامي وأدلته**. 10مج. ط4. دمشق: دار الفكر. (بلاط).

-السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل: ت(483هـ). **أصول السرخسي**. 2مج. (بلاط). بيروت: دار المعرفة. (بلاط).

-السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل: ت(483هـ). **المبسوط**. 30مج. (بلاط). بيروت: دار المعرفة. 1414هـ-1993م.

-الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان: ت(204هـ). **الرسالة**. تحقيق: أحمد شاكر. ط1. مصر: مكتبة الحلبي. 1358هـ-1940م.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: ت(1250هـ). إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. 2مج. تحقيق: أحمد عزو عناية. ط1. دمشق: دار الكتاب العربي. 1999م.
- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف: ت(476هـ). التبصرة في أصول الفقه. تحقيق: محمد حسن هيثو. ط1. دمشق: دار الفكر. 1403هـ.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد: ت(855هـ). البناية شرح الهداية. 13مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2000م.
- الكوراني، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل: ت(893هـ). الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع. 5مج. تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي. (بلاط). المملكة العربية السعودية: الجامعة الإسلامية -المدينة المنورة. 1429 هـ-2008م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد: ت(450هـ). الأحكام السلطانية. (بلاط). القاهرة: دار الحديث. (بلاط).
- المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد: ت(864هـ). شرح الورقات في أصول الفقه. ط1. فلسطين: جامعة القدس. 1999م.
- المجمع الفقهي الإسلامي: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة: ط2. المملكة العربية السعودية: رابطة العالم الإسلامي. (بلاط).
- الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر: ت(974هـ). الفتاوى الحديثية. (بلاط). (بلاط). (بلا.ن). (بلا.ت).
- رضا، محمد رشيد: فتاوى الإمام محمد رشيد رضا. تحقيق: صلاح الدين المنجد. (بلاط). (بلا.م): دار الكتاب الجديد. 2005م.
- سابق، سيد: فقه السنة. 3مج. (بلاط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 2003م.

- عودة، عبد القادر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي. 2مج. (بلا.ط). بيروت: دار الكاتب العربي. (بلا.ت).

- فتوتة، بلقيس: الاحتكار في الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية. ط1. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. 2010م.

خامساً: كتب اللغة والمعاجم والمصطلحات

- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي: ت(1094هـ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري. (بلا.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة. (بلا.ت).

- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: ت(817هـ). القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. 1426هـ-2005م.

- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي: ت(770هـ). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. 2مج. (بلا.ط). بيروت: المكتبة العلمية. (بلا.ت).

- عمر، أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة. 4مج. ط1. (بلا.م): عالم الكتب. 2008م.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: ت(395هـ). مجمل اللغة. تحقيق: زهير عبد المحسن. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1986م.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: ت(395هـ). معجم مقاييس اللغة. 6مج. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (بلا.م): دار الفكر. 1399هـ - 1979م.

- مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط. (بلا.ط). القاهرة: دار الدعوة. (بلا.ت).

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: ت(711هـ). لسان العرب. 15مج. ط3. بيروت: دار صادر. 1414هـ.

-الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: ت(321هـ). جمهرة اللغة. 3مج. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين. 1987م.

-الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله: ت(577هـ). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. 2مج. ط1. (بلا.م): المكتبة العصرية. 1424هـ- 2003م.

-التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر: ت(1158هـ). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. 2مج. تحقيق: د. علي دحروج. ط1. بيروت: مكتبة لبنان. 1996م.

-ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: ت(597هـ). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم. ط1. لبنان: مؤسسة الرسالة. 1984م.

-الخوري، سعيد: أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد. 5مج. ط1. طهران: دار الأسوة للطباعة والنشر. 1416هـ.

-الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: ت(666 هـ). مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية. 1999م.

-الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: ت(504هـ). المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. دمشق: دار القلم. 1412هـ.

-الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ت(1205هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. (بلا.ط). (بلا.م): دار الهداية. (بلا.ت).

-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة. مصر. (بلا.ت).

-المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي: ت(749هـ). الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: د.فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. ط1. لبنان: 1992م.

-المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي: ت(749هـ). توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. 3مج. تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان. ط1. (بلا.م): 2008م.

-قاسم، محمد أحمد ومحبي الدين ديب: علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني». ط1. لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب. 2003م.

-وهبة، مجدي وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. ط2. بيروت: مكتبة لبنان. 1984م.

سادساً: كتب التاريخ والأعلام وتعبير الرؤى

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: ت(748هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. 15مج. تحقيق: بشار عواد معروف. ط1. (بلا.م): دار الغرب الإسلامي. (بلا.ت).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد: ت(808هـ). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (مقدمة ابن خلدون). تحقيق: خليل شحادة. ط2. بيروت: دار الفكر. 1408هـ-1988م.

- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء: ت(230هـ). الطبقات الكبرى. 8مج. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1410هـ-1990م.

-أبازة، نزار ومحمد المالح: إتمام الأعلام. ط1. بيروت: دار صادر. 1999م.

-الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: ت(748هـ). سير أعلام النبلاء. 25مج. تحقيق: مجموعة من المحققين. ط3. (بلا.م): مؤسسة الرسالة. 1985م.

-الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي: ت(1396 هـ). الأعلام. ط15. (بلا.م): دار العلم للملايين. 2002م.

-النايلسي، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني: تعطير الأنام في تعبير المنام، ط1. بيروت: دار الفكر. (بلا.ت).

-المرعشلي، يوسف: نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر. ط1. لبنان: دار المعرفة. 2006م.

سابعاً: كتب الجماعة الأحمديّة القاديانية

- أحمد، مسرور: شروط البيعة. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2009م.

- أبو دقة، تميم: النشأة الثانية للإسلام. ط2. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2018م.

- عودة، فلاح الدين محمد: الجماعة الإسلامية الأحمديّة في الديار المقدسة والعالم. ط1. حيفا: الجماعة الإسلامية الأحمديّة. 2015م.

-أحمد، طاهر: الخدمات البارزة للجماعة الأحمديّة لأجل العالم العربي. (بلا.ط). لندن: (بلا.ن). (بلا.ت).

-أحمد، طاهر: الوحي العقلانية المعرفة والحق. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2004م.

-أحمد، طاهر: هل الأحمديّة غراس الانجليز؟. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2001م.

-الجابي، سليم: منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره. ط1. دمشق: (بلا.ن). 2006-2007.

-الجماعة الإسلامية الأحمديّة. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2005م.

-الجهاد المفهوم الإسلامي الصحيح. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة.
2010م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: إعجاز المسيح. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية
المحدودة. 2011م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: الاستفتاء. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة.
2005م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: البراهين الأحمدية. ترجمة: عبد المجيد عامر. ط1. المملكة المتحدة:
الشركة الإسلامية المحدودة. 2013م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: التبليغ. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة.
2014م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: الخطبة الإلهامية. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية
المحدودة. 2009م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: المسيح الناصري في الهند. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة
الإسلامية المحدودة. 2002م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: الهدى والتبصرة. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية
المحدودة. 2011م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: باقة من بستان المهدي. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة
الإسلامية المحدودة. 2007م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: خطبة دافع الوسوس. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية
المحدودة. 2011م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: **مرآة كمالات الإسلام**. ترجمة: عبد المجيد عامر. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2014م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: **مكتوب أحمد**. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2007م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: **منن الرحمن**. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2010م.

-القادياني، المرزا غلام أحمد: **نور الحق**. (بلا.ط). المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2007م.

-**النبوة والخلافة وغالطات الجمعية الأحمدية اللاهورية**. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2006م.

-بشير الدين، محمود أحمد: **التفسير الوسيط**. إعداد: لجنة من كبار علماء الجماعة. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2016م.

-بشير الدين، محمود أحمد: **حقيقة النبوة**. تعريب: عبد المجيد عامر. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2018م.

-بشير الدين، محمود أحمد: **ملائكة الله**. ترجمة: محمد طاهر نديم. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2019م.

-بشير الدين، محمود أحمد: **مناهج الطالبين**. ترجمة: محمد طاهر نديم. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2011م.

-ثابت، مصطفى: **السيرة المطهرة**. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2006م.

-خان، محمد ظفر الله: *حضرة المولوي نور الدين*. ترجمة: مصطفى ثابت. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2007م.

-دامسون، إيان: *رجل الله (قصة الخليفة الرابع)*. ترجمة: د. وسام البراقي. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2019م.

-شيخ عبد القادر، حياة نور. تعريب: عبد المجيد عامر، ومحمد طاهر نديم. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2008م.

-نذر، انتصار أحمد: *فقه المسيح*. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. 2019م.

ثامناً: محور الدراسة (التفسير الكبير)

-بشير الدين، محمود أحمد: *التفسير الكبير*. 10مج. ط1. المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية المحدودة. (ج1، 1413هـ-1993م). (ج2، 1416هـ-1995م). (ج3، 1418هـ-1997م). (ج4، 1425هـ-2004م). (ج5، 1426هـ-2005م). (ج6، 1427هـ-2006م). (ج7، 1428هـ-2007م). (ج8، 1429هـ-2008م). (ج9، 1431هـ-2010م). (ج10، 1432-2011م).

تاسعاً: المجلات الدورية

-أحمد، علي زواري: *قراءة في المنهج البلاغي للصابوني من خلال صفوة التفاسير*. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها (مجلة محكمة). المجلد السابع العدد الثامن: 01-12-2015.

-الزهراني، مشرف بن أحمد: *موقف المعاصرين من قضية النسخ*. مجلة العلوم الشرعية. جامعة القصيم. المجلد 7. العدد 3: (رجب 1435 هـ / أبريل 2014).

-النعيمي، فاضل عبد العباس: *من أساليب تفسير القرآن بالقرآن تفسير المجمع بالمفصل*. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. جامعة بابل. العدد 1: 2009م.

-دحماني، نور الدين: *نظرية التصوير الفني في الخطاب القرآني*. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية. العدد 21: عام 2019.

-رضا، محمد رشيد وآخرون: *مجلة المنار*.

-شكري، عفاف علي: *حول ترجمة معاني ألفاظ القرآن*. مجلة الشريعة الدراسات الإسلامية (الكويت). العدد 42: 2000م.

-السيد حيدر شيرازي وفاطمه زاده. *دراسة تحليلية إحصائية في النظائر اللغوية في تفسير مجمع البيان «الترادف والتباين والاشتراك»*. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. فصلية محكمة. العدد الثامن عشر: (صيف 1393هـ.ش/2014م).

-مجلة البشرية. *الجماعة الأحمدية*. حيفا. أيار 2008م.

-مجلة التقوى. *تصدر عن المكتب العربي بالجامعة الأحمدية في لندن*. بريطانيا. ديسمبر 2008.

عاشراً: مراجع أجنبية (الإنجليزية والأردية)

-Split in the Ahmadiyya Movement by Maulana Muhammad Ali:
.ahmadiyyah anjuman islam Lahore,u.s.a,1994

-بشير الدين، تفسير صغير، طبع أول، 1957م.

-بشير الدين، تفسير كبير، ج1، قاديان، 2004م.

حادي عشر: المقابلات الشفوية

- مقابلة مع عبد القادر المدلل. 2021/3/28م.

- مقابلة مع محمد شريف عودة. 2021/3/30م.

ثاني عشر: المصادر الإلكترونية

- مجلة الحكمة، تاريخ النشر: 2008، <https://www.alhikma59.com/R2.htm>
- مؤسسة هنداوي، [/https://www.hindawi.org/contributors/64835824](https://www.hindawi.org/contributors/64835824)
- حديث (لا مهدي إلا عيسى) لا يصح، رقم السؤال: (34890)، الإسلام سؤال وجواب للشيخ محمد صالح المنجد، تاريخ النشر: 2003/8/4، <https://islamqa.info/ar/answers/34890>
- طاهر، هاني: حكاية الطاعون / الحلقة الثانية، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)،
2016/09/7، [.https://www.youtube.com/watch?v=1nU2rmGLUYo](https://www.youtube.com/watch?v=1nU2rmGLUYo)
- أنواع النسك التي يحرم بها أهل مكة، رقم السؤال: (160092)، الإسلام سؤال وجواب للشيخ محمد صالح المنجد، تاريخ النشر: 2011/3/3، [. https://islamqa.info/ar/answers](https://islamqa.info/ar/answers)
- أحمد عبد الرحيم، صاحب نظرية "نظام القرآن" الشيخ عبد الحميد الفراهي، إسلام أون لاين،
[.https://archive.islamonline.net/5777](https://archive.islamonline.net/5777)
- عودة، محمد شريف: الرد على الفيديو الثاني للشيخ عبد الله رشدي، فيديو من قناة (Mohammad Sharif)، تاريخ النشر: 2021/5/27،
[. https://www.youtube.com/watch?v=gAzlwgix09c](https://www.youtube.com/watch?v=gAzlwgix09c)
- مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، الأستاذ الدكتور الشيخ محمد مصطفى الزحيلي،
<https://www.cilecenter.org/ar/node/1170>
- طاهر، هاني: قصة الخضر في الجماعة الأحمدية كانت المقدمة لما بعدها، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)، 2016/08/29،
<https://www.youtube.com/watch?v=rAJowboHfXU>

-طاهر، هاني: أثر الأردو على وحي الميرزا ح2، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)،
2016/12/7، [.https://www.youtube.com/watch?v=gqASWjRyOro](https://www.youtube.com/watch?v=gqASWjRyOro)

-طاهر، هاني: العُجْمَة عند ميرزا صاحب ح 2، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)،
2016/10/3، [.https://www.youtube.com/watch?v=KWZZtVNN6W8](https://www.youtube.com/watch?v=KWZZtVNN6W8)

-طاهر، هاني: الأحمدية تهدم اللغة، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)، 2019/7/27،
[.https://www.youtube.com/watch?v=hUKdHKnmJqI](https://www.youtube.com/watch?v=hUKdHKnmJqI)

-قراءة أدعية قرآنية في الركوع والسجود، فيديو من قناة (mtaonline3)، 2020/09/8،
[.https://www.youtube.com/watch?v=czaPDEiUWwE&t=187s](https://www.youtube.com/watch?v=czaPDEiUWwE&t=187s)

-الجيتاوي، د.سامي: طائفة القاديانية وتأويلاتها الباطنية لآيات القرآن الكريم، دنيا الوطن، تاريخ
النشر: 2008/5/5،

[.https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2008/05/05/132445.html](https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2008/05/05/132445.html)

-القاديانية أفكارها وعقائدها، اسلام ويب، تاريخ النشر: 2005/4/12،

<https://www.islamweb.net/ar/article>

-حكم علماء الإسلام في القاديانية، رقم الفتوى (105675)، اسلام ويب، تاريخ النشر:
2008/3/12، [/https://www.islamweb.net/ar/fatwa/105675](https://www.islamweb.net/ar/fatwa/105675)

-ما رأيكم في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية لمحمد علي؟، إسلام ويب، رقم
الفتوى: (253489)، تاريخ النشر: 2014/5/19،

<https://www.islamweb.net/ar/fatwa/253489>

- مجمع الفقه الإسلامي، منظمة التعاون الإسلامي، الدورة الثانية، قرار رقم: 4 (2/4) بشأن
القاديانية، تاريخ النشر: السبت 28 / ديسمبر / 1985،

<https://www.iifa-aifi.org/ar/1576.html>

-مجمع الفقه الإسلامي، منظمة التعاون الإسلامي، الدورة الثانية والعشرون، قرار رقم: 207 (22/3) بشأن جهاد الطلب وجهاد الدفع، تاريخ النشر: الأحد 22 / مارس / 2015،

<https://www.iifa-aifi.org/ar/3979.html>

-إسلام أحمدية (الموقع الرسمي للجماعة الإسلامية الأحمدية)، أسئلة وأجوبة،

https://islamahmadiyya.net/qas_new.asp

-إسلام أحمدية (الموقع الرسمي للجماعة الإسلامية الأحمدية)، رد الاعتراض حول تفسير قصة الخضر، <https://islamahmadiyya.net/inner.asp?recordID=33623>،

-دائرة الإفتاء الأردنية، القاديانية ليست من فرق المسلمين، رقم الفتوى: 341، تاريخ النشر: 27-09-2009،

https://aliftaa.jo/Question.aspx?QuestionId=341#.YQNN_o4za72

-الجزيرة، شعيب الأرنؤوط.. خادم السنة النبوية، تاريخ النشر: 2016/10/30، <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart>

-طاهر، هاني: نسخ التلاوة ونسخ الحكم عند مؤسس الجماعة الأحمدية، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)، 2016/08/29،

<https://www.youtube.com/watch?v=CVtk8BttlSQ>

-مدلل، عبد القادر: الرد على هاني طاهر -النسخ، فيديو من قناة (islamahmadiyya VOD)، <https://www.youtube.com/watch?v=gVxqLvnOQ1o>، 2016/ 9 / 2

-طاهر، هاني: مثال عملي على حقيقة لغة الميرزا العربية ، فيديو من قناة (هاني طاهر Hani Tahir)، <https://www.youtube.com/watch?v=-bn5ijafIao>، 2017/07/31،

-The Official Website of the Ahmadiyya Muslim Community. **About Holy Quran.** <https://www.alislam.org/articles/about-holy-quran/>

-The first edition of Maulana Muhammad Ali's translation of the Holy Quran with commentary, 1917, <http://www.ahmadiyya.org/m-ali/quran-1917.htm>

-The Lahore Ahmadiyya Islamic Movement, Maulana Muhammad Ali, <http://www.ahmadiyya.org/m-ali/contents.htm>

An-Najah National University
Faculty of Graduated Studies

**The Great Interpretation of Bashir
Al-Din Mahmoud Al-Ahmad
Al-Qadiani
A Critical Methodological Study**

By

Ahmad Youssef Ahmad Damiri

Supervised by

Prof. Odeh Abdullah

Dr. Saeed Dwekat

**This Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for
the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din),
Faculty of Graduate Studies, Al-Najah National University, Nablus-
Palestine.**

2021

**The Great Interpretation of Bashir Al-Din Mahmoud
Al-Ahmad Al-Qadiani
"A Critical Methodological Study"
By
Ahmad Youssef Ahmad Damiri
Supervised by
Prof. Odeh Abdullah
Dr. Saeed Dwekat**

Abstract

This study analytically and critically focuses on the great interpretation that is written by the Ahmadi Qadiani interpreter Bashir Al-Din Mahmud (son of the founder of the Ahmadiyya Community and his second successor). It is one of the most important interpretations of the Noble Qur'an among the Ahmadiyya community as it took the biggest care through being translated into several languages, taught among students of that community, and published in various media.

The researcher begins his study with an introductory chapter explaining the emergence and development of the Ahmadiyya community, the truth of its beliefs, its position on the Holy Qur'an, and the tireless efforts the community made in the interpretation of the Noble Qur'an.

Then, the researcher starts to talk about the great interpretation by introducing it and its author in the first chapter. In the second chapter, the researcher touches upon about the approach of the great interpretation wither it uses the interpretation by tradition (narration) or the interpretation by opinion. The third chapter revolves around its approach in the most important sciences of the Qur'an. The fourth chapter covers its approach in

linguistic and scientific interpretation. Whereas chapter five shows its approach in the interpretation of the verses of creed, chapter six specifies its approach in jurisprudential issues and social issues.

The study found that the great interpretation is a comparative analytical interpretation, based on opinion and discussion.